

الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء (عليها السلام)

المجلد الثالث

خطبتها في المسجد

(القسم الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة
السلام عليك أيتها الرضية المرضية
السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية
السلام عليك أيتها الحوراء الإتسية
السلام عليك أيتها التقية النقية
السلام عليك أيتها المحدثّة العليمة
السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة
السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة
السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله
ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين ص ٢٧٨ . مصباح المتعبد ص ٧١١
بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٩٥ ب ١٢ ح ٥ ط بيروت

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.
أما بعد: فهذا الجزء الثالث من كتاب (من فقه الزهراء)، صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله سبحانه
التوفيق والقبول، إنه سميع مجيب.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

ثم قالت: أيها الناس

نداء الناس

مسألة: ربما يقال بأنه ينبغي نداء الناس في مطلع كل حديث مهم، وقد خاطب الله سبحانه الناس بقوله: ((يا أيها الناس)) (١) و ((يا أيها الذين آمنوا)) (٢) في كثير من آيات الذكر الحكيم (٣)، كما خاطب أيضا بقوله تعالى: ((يا بني آدم)) فإنه ذكر خمس مرات في القرآن الكريم (٤).

وجاء في بعض الآيات: ((قل يا أيها الناس)) (٥).

وكذلك الأمر في كثير من الأحاديث القدسية (٦) و الروايات التي تبدأ بـ (يا ابن آدم) أو شبهه. وشواهد الرجحان وأدلة الأسوة قد تدل على الاستحباب وإن احتمل كون ذلك جريا على العادة الجارية في العرف، فليس من المستحب بل من المباح، لكن الأول اقرب (٧)، فتأمل.

قال تعالى: ((يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (٨).

وقال سبحانه: ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)) (٩).

وقال تعالى: ((قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله)) (١٠).

وقال سبحانه: ((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم)) (١١).

١- راجع مثلاً: سورة البقرة: ٢١ و ١٦٨، وسورة النساء: ١ و ١٧٠ و ١٧٤، وسورة يونس: ٢٣، وسورة الحج: ١ و ٥ و ١١.

٢- راجع مثلاً: سورة البقرة: ١٠٤ و ١٥٣ و ١٧٢ و ١٨٣ و ١٧٨ و ٢٠٨، وسورة آل عمران: ١٠٠ و ١٠٢ و ١١٨ و ١٣٠ و ١٤٩ و ١٥٦ و ٢٠٠، وسورة النساء: ١٩ و ٢٩ و ٤٣ و ٥٩ و ٧١ و ٩٤ و ١١٨.

٣- جاء قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا)) ٨٩ مرة في القرآن، و ((يا أيها الناس)) ٢٠ مرة.

٤- راجع سورة الأعراف: الآيات ٢٦ و ٢٧ و ٣١ و ٣٥ وسورة يس الآية ٦٠.

٥- انظر مثلاً: سورة يونس: ١٠٤ و ١٠٨. ولا يخفى ما في كلمة ((قل)) من الدلالة.

٦- راجع (كلمة الله) لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).

٧- من الواضح ان خطاب الجمهور يوجب شد الأسماع وتركيز الأفكار فيكون الحديث أقوى في التأثير.

٨- سورة البقرة: ٢١.

٩- سورة الأعراف: ١٥٨.

١٠- سورة يونس: ١٠٤.

١١- سورة يونس: ١٠٨.

- وقال تعالى: ((وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير)) (١).
- وقال سبحانه: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)) (٢).
- وقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)) (٣).
- وقال سبحانه: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين)) (٤).
- وفي الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: «يا بن آدم اطعني فيما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك» (٥).

من أحكام النداء

- مسألة: هناك أحكام وآداب ترتبط بالنداء مذكورة في محلها، فمن النداء ما هو واجب ومنه مستحب ومنه حرام ومكروه ومباح، كل في مورده، قال تعالى: ((ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون)) (٦).
- وقال تعالى: ((ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم)) (٧).
- وقال سبحانه: ((وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين)) (٨).
- وقال تعالى: ((ونادى فرعون في قوميه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون)) (٩).
- وقال سبحانه: ((إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)) (١٠).
- وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً وسلمان وأبا

١- سورة النمل: ١٦.

٢- سورة البقرة: ٢٠٨.

٣- سورة النساء: ٢٩.

٤- سورة النساء: ١٤٤.

٥- الخرائج والجرائح: ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

وهناك روايات أخرى ورد فيها الخطاب بـ (يا بن آدم) مثل: سئل الإمام الحسين (عليه السلام) عن أصوات الحيوانات، فقال (عليه السلام): «إذا صاح النسر فانه يقول: يا ابن آدم عش ما شئت فأخره الموت.. وإذا صاحت السمانة تقول: يا بن آدم ما أغفلك عن الموت...»، الخصال: ص ٤٤ ح ٨.

وعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «يا ابن آدم انك لا تزال بخير مادام لك واعظ من نفسك...» الحديث، مشكاة الأنوار: ص ٢٤٦، الفصل الأول: في عيوب النفس ومجاهدتها.

٦- سورة الصافات: ٧٥.

٧- سورة آل عمران: ١٩٣.

٨- سورة الأنبياء: ٨٩.

٩- سورة الزخرف: ٥١.

١٠- سورة الحجرات: ٤.

ذُر بأن ينادوا بأعلى أصواتهم أنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه فنادوا بها ثلاثاً» (١).

وفي شعر حسان بن ثابت يوم الغدير:

يناديهم يوم الغدير نبيهم***بخم وأسمع بالنبي مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم***فقالوا ولم يبدوا هنالك التعاديا

إليك مولانا وأنت ولينا***ولا تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإني***رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

هناك دعا اللهم وال وليه***وكن للذي عادى علياً معاديا (٢)

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصدقات، فقال (عليه السلام): «أقسمها فيمن قال الله عز وجل ولا تعط من سهم الغارمين الذين ينادون بنداء الجاهلية شيناً، قلت: وما نداء الجاهلية، قال: هو الرجل يقول يا لبني فلان، فيقع بينهما القتل والدماء» (٣).

وفي الحديث: إن من أسماء فاطمة الزهراء (عليها السلام): (محدثه) لأن الملائكة كانوا ينادونها يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، وتحديثهم (٤).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال:

«يمثل لفاطمة رأس الحسين متشطحاً بدمه، فتصيح واولداه، واثمرة فؤاده، فتصيح الملائكة لصيحة فاطمة (عليها السلام) وينادون أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة، قال فيقول الله عز وجل أفعل به (عليه السلام)» الحديث (٥).

وقولها (٦) صلوات الله عليها: (ثم) (٧) لا يقصد به وجود فاصل زمني بين الكلامين بل الفصل الرتبي، حيث كان الكلام حتى هذا المقطع يدور حول الأصول والفروع، والكلام من هنا يبدأ حول قضية حقها المسلوب حيث جاءت (عليها السلام) إلى المسجد لإثبات الحق وإحقاقه.

اعلموا أني فاطمة

١- مشكاة الأنوار: ص ٢١٥ الفصل العاشر في حق الجار.

٢- المناقب: ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧ فصل في قصة يوم الغدير، وخصائص الأئمة: ص ٤٢.

٣- مستطرفات السرائر: ص ٦٠٧.

٤- العدد القوية: ص ٢٢٦ نبذة من أحوال الصديقة الطاهرة (عليها السلام) وكيفية ولادتها.

٥- ثواب الأعمال: ص ٢١٩ عقاب من قتل الحسين (عليه السلام).

٦- أي قول السيدة زينب (عليها السلام) التي روت الخطبة.

٧- حيث قالت عليها السلام: (ثم قالت: اعلموا اني فاطمة..)

التعريف بالنفس

مسألة: يستحب أن يعرف الإنسان نفسه للناس إذا كان فيه الفائدة، ولذا عرف الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) نفسه في يوم كربلاء، حيث قال بأعلى صوته: «أنشدكم الله هل تعرفونني.. أنشدكم بالله هل تعلمون أن جدي رسول الله (عليه السلام) أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى.. وإن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً (عليه السلام) وأن حمزة سيد الشهداء عم أبي.. وأن جعفر الطيار عمي..» (١).

وقال (عليه السلام):

أنا الحسين بن علي***أحمي عيالات أبي

آليت أن لا أئنثي***أمضي على دين النبي (٢)

وكذلك الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) في المسجد الجامع في الشام، حيث قال (عليه السلام): «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا بن محمد المصطفى..» (٣).

وعن أبي ذر أنه قال: «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: علي (عليه السلام) قائد البررة، علي قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ملعون من جحد ولايته» الحديث (٤).

من غير فرق بين أن يكون التعريف بالاسم أو بالوصف، وقد جاء في القرآن الحكيم: ((إني رسول الله إليكم جميعاً)) (٥) وما أشبه ذلك (٦).

ومن هذا الباب ما ورد من حديث المفاخرة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وولده الحسين (عليه السلام) وما أشبهه، فقد ورد:

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فدخل الإمام الحسين (عليه السلام) فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله) وأجلسه في حجره (عليه السلام) فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله آيتنا أحب إليك؟ (عليه السلام) فقال الحسين: يا أبتني من كان أعلى شرفاً كان أحب إلى النبي. قال علي (عليه السلام) لولده: أتفاخرني يا حسين.

١- اللهوف: ٨٦ - ٨٧.

٢- المناقب: ج ٤ ص ١٠٩ فصل في مقتله (عليه السلام).

٣- الاحتجاج: ص ٣١١، احتجاج علي بن الحسين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

٤- إرشاد القلوب: ص ٢٢٠.

٥- سورة الأعراف: ١٥٨.

٦- وانظر أيضاً سورة الصف: ٥ و ٦، وفيها: ((وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون إني رسول الله إليكم...))، و ((وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً...)).

قال: نعم يا أبتاه إن شئت.

فقال علي (عليه السلام): أنا أمير المؤمنين، أنا لسان الصادقين، أنا وزير المصطفى (عليه السلام) أنا قائد السابقين إلى الجنة (عليه السلام) أنا حبل الله المتين الذي أمر الله تعالى خلقه أن يعتصموا به في قوله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً)) (١)، أنا نجم الله الزاهر (عليه السلام) أنا الذي قال الله سبحانه فيه: ((بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)) (٢)، أنا عروة الله التي لا انفصام لها، أنا باب الله الذي يوتى منه.. أنا بيت الله من دخله كان آمناً، فمن تمسك بولايتي ومحبتني أمن من النار (عليه السلام) أنا ((عم يتساءلون)) (٣) عن ولايتي يوم القيامة، (عليه السلام) أنا النبا العظيم (عليه السلام) أنا حي على الصلاة، أنا حي على الفلاح، أنا حي على خير العمل (عليه السلام) - إلى أنا قال (عليه السلام): - أنا قسيم الجنة والنار. فعندها سكث علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للحسين: أسمعت يا أبا عبد الله ما قاله أبوك وهو عشر عشر معشار ما قاله من فضائله ومن ألف ألف فضيلة، وهو فوق ذلك أعلى (عليه السلام) فقال الحسين (عليه السلام): يا أبت أنا الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وجدي محمد المصطفى سيد بني آدم أجمعين، لا ريب فيه، يا علي إن أمي أفضل من أمك عند الله وعند الناس أجمعين، وجدي خير من جدك وأفضل عند الله وعند الناس أجمعين (عليه السلام) - إلى أن قال: - يا علي أنت عند الله تعالى أفضل مني، وأنا أفخر منك بالآباء والأمهات والأجداد» الحديث (٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يفتخر يوم القيامة آدم بابنه شيث وافتخر أنا بعلي بن أبي طالب» (٥).

وفي كتاب سليم عن أبي ذر وسلمان والمقداد قالوا: «إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: أي أخي فاخر العرب فأنتم أكرمهم ابن عم وأكرمهم أباً وأكرمهم أخاً وأكرمهم نفساً وأكرمهم نسباً وأكرمهم زوجة وأكرمهم ولداً وأكرمهم عمّاً وأعظمهم عناءً بنفسك ومالك» (٦).

كما يستحب الانتساب إلى الأب أيضاً، ولذا قالت (عليها الصلاة والسلام): (وأبي محمد).

وهكذا نجد في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) المتقدم وكلام غيرهما.

وقبل ذلك قال تعالى: ((ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها)) (٧) و..

أما تعريف النفس لا بالقصد المذكور بل لأغراض شيطانية، فمن الرذائل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم

١- سورة آل عمران: ١٠٣.

٢- سورة الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

٣- سورة النبا: ١.

٤- الفضائل: ص ٨٣ - ٨٥.

٥- المناقب: ج ٣ ص ٢٤٢.

٦- كتاب سليم بن قيس: ص ٩٣.

٧- سورة التحريم: ١٢.

وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم» (١).

وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام):

أيها الفاخر جهلاً بالنسب***إن الناس لام ولأب

هل تراهم خلقوا من فضة***أم حديد أم نحاس أم ذهب

هل تراهم خلقوا من فضلهم***هل سوى لحم وعظم وعصب

إنما الفخر لعقل ثابت***وحياء وعفاف وأدب (٢)

وأيضاً:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً***يغنيك محموده عن النسب

فليس يغني الحسيب نسبته***بلا لسان له ولا أدب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا***ليس الفتى من يقول كان أبي (٣)

وأيضاً:

ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً***نعماً قليل يحتويك ترابها (٤)

قولها عليها السلام: (اعلموا أنني فاطمة) تعريف بنفسها الشريفة، كي لا يبقى أي مجال للتشكيك بشخصية

المتحدث، سواء لدى كل فرد فرد من الجمهور الغفير الحاضر في المسجد، أو عند الغائبين الذين يصلهم هذا

الحديث والاحتجاج في المدينة المنورة وسائر البلدان، في ذلك الجيل أو الأجيال اللاحقة..

وبذلك فإنها (عليها السلام) قد قطعت الطريق على أية محاولة تشكيكية بصدور هذا الحديث الصاخب منها.

فلا يمكن بعد ذلك للطغاة ومرترقتهم من ذوي الأقلام المسمومة وأصحاب الضمان المنحرفة أن (يجهضوا)

مفعول ذلك الحديث عبر سلاح (التكذيب) و (الإنكار): فمن قال إن هذا الحديث لفاطمة؟

أو من قال: إنها فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)؟ (٥).

وأبي محمد

١- شرح النهج: ج ٩ ص ١٠٧ يوم نهاوند.

٢- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ٦٩.

٣- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ٦٩.

٤- ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ٦٩.

٥- كما أنكر البعض وشكك آخرون في صحة نسبة عدد من خطب وكلمات نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين

علي (عليه السلام) أو جهل مدى صحة نسبة عدد من الكلمات إلى العديد من المعصومين (عليهم الصلاة

والسلام)، بل إن قسماً من الخطب والكلمات انتحلها أمثال معاوية لنفسه!.

لماذا (وأبي محمد)؟

قولها عليها السلام: (وأبي محمد) صلى الله عليه وآله، حيث إن المسلمين كانوا قد سمعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) يقول كراراً: (فاطمة بضعة مني) (١).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هي نور عيني وثمره فؤادي» (٢).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «هي مني وأنا منها» (٣).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله تعالى فطم من أحبها من النار» (٤).

وفي حديث: «لأنها فطمت هي وشيعتها من النار» (٥).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة مني أذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل» (٦).

ويقول (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة مني يسخطها من يسخطني ويرضيني ما أرضاها» (٧).

وفي حديث: «فمن أغضبها فقد أغضبني» (٨).

وفي حديث: «من سرها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني» (٩).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة أعز البرية علي» (١٠).

وقال (صلى الله عليه وآله) وهو آخذ بيد فاطمة (عليها السلام): «من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» (١١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقربين وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة إن الله

١- الأمالى للشيخ الصدوق: ص ١٠٢ المجلس ٢٢ ح ٣.

٢- الأمالى للشيخ الصدوق: ص ٤٨٦ المجلس ٧٣ ح ١٨.

٣- راجع علل الشرائع: ص ١٨٥ ح ٢ باب العلة التي من أجلها دفنت فاطمة (عليها السلام) بالليل ولم تدفن بالنهار.

٤- علل الشرائع: ص ١٧٨ ح ١ ب باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

٥- علل الشرائع: ص ١٧٩ ح ٥ باب العلة التي من أجلها سميت فاطمة (عليها السلام) فاطمة.

٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٣.

٧- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٨.

٨- المناقب: ج ٣ ص ٢٣٢ فصل في حب النبي إياها، عن البخاري.

٩- المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢ فصل في حب النبي إياها.

١٠- المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢ فصل في حب النبي إياها.

١١- كشف الغمة: ج ١ ص ٤٦٦.

اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين» الحديث (١).
 إلى عشرات الأحاديث الأخرى، فكان في الإشارة إلى ذلك (٢) إلفاتاً إلى حقيقة توجب لكلماتها (عليها السلام) وقعاً أكبر في النفوس، فهي (عليها السلام) بنت ذلك النبي الذي أنقذكم من الظلمات إلى النور ومن أسفل درجات الذلة إلى أرفع درجات العزة، وكلماتها امتداد لتلك المسيرة، وكما ضل من ضل بإعراضه عن كلامه (صلى الله عليه وآله) سيضل من سيعرض عن كلماتها (عليها السلام).
 ولذلك (٣) وجه آخر أيضاً: فالإشارة إلى هذه العلاقة السببية يثير عادة في النفوس عاطفة أقوى - خاصة والنبي (صلى الله عليه وآله) قد توفي منذ فترة قصيرة والعواطف شديدة التأجج والالتهاب - مما يدفع الناس إلى تقبل أقوى لمواعظها وإنذارها (٤).

أقول عوداً وبدواً (٥)

التأكيد والتكرار

مسألة: يستحب التأكيد والتكرار بشكل تفصيلي أو بنحو إجمالي للمطالب المهمة، لما يتضمن من التأثير الأكبر في تقبل المستمع للموعظة والإنذار، كما قالت عليها السلام: (عودا وبدوا). ومن هذا الباب بعض التكرار في القرآن الكريم وإن كان لدى الدقة غير الأول.
 ومنه أيضاً ما كرره رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التأكيد على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه الخليفة من بعده وذلك في أماكن عديدة وفي مناسبات مختلفة، كما في حجة الوداع حيث جمع الصحابة وكرر عليهم (ألسنكم من أنفسكم) ثلاثاً وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي (عليه السلام) وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار) (٦).
 ومنه أيضاً ما كرره (صلى الله عليه وآله) عندما أمر أصحابه بتجهيز جيش أسامة حيث قال: «أنفذوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه» وكرر ذلك (٧).
 وكذلك ما ورد في تكرار بعض الأدعية مثل قوله (عليه السلام): «من كان به علة فليقل عليها في كل صباح

١- روضة الواعظين: ١٤٩ مجلس في ذكر مناقب فاطمة (عليها السلام).

٢- أي إلى أنها (عليها السلام) بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

٣- أي: للسر في قولها عليها السلام: (وأبي محمد).

٤- وقد ذكر الإمام المؤلف دام ظله وجهاً ثالثاً لذلك قبل قليل تحت عنوان (اعلموا أي فاطمة).

٥- وفي بعض النسخ: (أقول عوداً على بدء) والمعنى واحد.

٦- الصوارم المهرقة: ص ١٧٦.

٧- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٥٢، وشرح النهج ج ١٧ ص ١٧٥.

أربعين مرة مدة أربعين يوماً: بسم الله الرحمن الرحيم (عليه السلام)» الحديث(١).
وروي عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا حدث الحديث أو سنل عن الأمر كرره ثلاثاً ليفهم ويفهم عنه»(٢).

ثم انه لا فرق في التكرار بين: التكرار باللفظ كقول ابن مالك: (كالضيغم الضيغم يا ذا السادي).
أو بالمعنى.. أو ما يدل على التكرار، كقولها (عليها الصلاة والسلام): (عودا وبدوا). وإنما قدمت (عودا) مع
ان الأول أسبق في الأسلوب والتسلسل الخارجي(٣) لان الكلام مكان العود وما هو المكان له يقدم كما ذكره
علماء البلاغة(٤)، كأنها عليها السلام تريد ان تقول: اني اقول مكرراً، ثم قالت: (وبدوا) تصريحاً بما يدل عوداً
عليه تلويحاً.

قولها عليها السلام: (عودا وبدوا) أي: أولاً وآخراً، أي ان كلامي الأخير هو ذات كلامي الأول، لا أن أقول
شيئاً ثم أتكلم بما يناقضه ويعارضه كما هو شأن كثير من السياسيين وأرباب السلطات ومن أشبههم.

ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً

عصمتها (عليها السلام)

مسألة: إن كلامها (عليها السلام) هذا مضافاً إلى سائر الأدلة(٥) يدل على عصمتها (عليها السلام)، فإن
المعصوم لا يخطأ ولا يغلط ولا يشطط، والشطط هو الابتعاد عن الحق.
والفرق بين القول والفعل واضح، والكلام وان كان في القول هنا لكنها (عليها السلام) ذكرت الفعل أيضاً
تأكيداً من باب الأولوية العرفية فمن لا يكون فعله شططاً لا يكون قوله غلطاً. وهناك وجه آخر وهو ان (القول)
لدى الدقة من مصاديق (الفعل)(٦).

قولها عليها السلام: (ولا أقول ما أقول غلطاً) أي أن كلامي لم يصدر إلا عن بصيرة وحكمة وهو مطابق
للواقع، إذ كثيراً ما يقول القائل شيئاً ثم إذا رأى المحذور فيه قال انه أخطأ في كلامه، وتنازل عن مقالته بهذه
الحجة.

١- أنظر مصباح الكفعمي: ص ١٥ الفصل ١٨، وغيره.

٢- مكارم الأخلاق: ص ٢٠.

٣- إذ (يبدأ) الإنسان بشيء ثم (يعود) إليه مرة أخرى.

٤- أي ان كلامها (عليها السلام) لأهميته جدير بان يعاد مؤكداً، فهو (محل) و (محطة) لان يعاد ويكرر.

٥- راجع مقدمة الجزء الأول من كتاب (من فقه الزهراء (عليها السلام)) حديث الكساء.

٦- فيكون (لا أفعل) تأكيداً لـ (لا أقول).

حرمة القول بالغلط

هنا مسألتان:

أ: القول بالغلط قد يكون حراماً.

وقد يكون مرجوحاً لا يمنع عن نقيضه.

وقد يكون غير ذلك (١).

إذ إن الغلط قد يقصد به العمد، وقد يراد به السهو، والقول بالغلط إذا أريد به العمد (٢) قد يكون محرماً كما في الأحكام الشرعية أو الأمور العقائدية أو ما أشبه ذلك، وقد يكون مرجوحاً، كما إذا كان فيما لم ير الشارع لمعرفته موضوعية (٣) ولا تترتب على الغلط فيه محذور ولا انطبق عليه عنوان محرم كالكذب، فتأمل.

وأما القول بالغلط - إذا أريد به السهو - فهو تابع في حكمه للتقصير في مقدماته.

ب: وكذلك الأمر في كل فعل شط عن الصواب وابتعد وكان من مصاديق الظلم للنفس أو للغير، عمداً أو سهواً كما سبق.

و (شططا) أي: ظلماً وابتعاداً عن الحق، والمراد من الفعل في قولها (عليها السلام): (ولا افعل ما افعل) هو مجيئها المسجد ومناصرتها علماً (عليه الصلاة والسلام)، والفعل يشمل الكلام أيضاً كما إن القول يشمل الفعل أيضاً وإن كان ذاك على نحو الحقيقة وهذا على نحو المجاز.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المستبد متهور في الخطأ والغلط» (٤).

وقال (عليه السلام): «من كثر مراؤه لم يأمن الغلط» (٥).

وفي الحديث عنه (عليه السلام): «إنه قضى في امرأة تزوجها رجل على حكمها فاشتتت عليه، فقضى أن لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط» (٦).

وفي القرآن الكريم: ((وانه كان يقول سفيهاً على الله شططاً)) (٧).

وقال تعالى: ((فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً)) (٨).

وقال سبحانه: ((إذ دخلوا على داود ففرع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط)) (٩).

١- إشارة إلى الخطأ سهواً، الذي لا ينطبق عليه حكم من الأحكام الخمسة لخروجه عن مقسمها.

٢- أي قال قولاً غير مطابق للواقع عمداً.

٣- أي لا مثل الشؤون الاعتقادية.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٥ الفصل ١٢.

٥- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٦٤ الفصل ٨.

٦- دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٢٢٢ فصل ذكر المهور ح ٨٣١.

٧- سورة الجن: ٤.

٨- سورة الكهف: ١٤.

٩- سورة ص: ٢٢.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم

لماذا رسول من أنفسكم؟

مسألة: يلزم في حكم العقل ومن باب قاعدة اللطف أن يكون النبي من البشر، وقد قال سبحانه: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم)) (١) أي مثلكم في الخلقة.

وقال تعالى: ((ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون)) (٢).

وذلك لأن البشر في مظان أن يكون أسوة وقدوة للناس (٣)، أما الملك فلا، إذ الناس يقولون إنه ملك وهو مجرد من دواعي المعصية وله قوى لا نملكها وله أحكام غير أحكامنا فلا يكون لنا قدوة، وكذلك إذا كان من الجن، أو من جنس آخر. ويمكن القول بأن جعله بشراً من باب اللطف ولكن ليس كل لطف واجباً، فليس سبحانه ملزماً بذلك، إذ الإلزام - فيما ألزم به تعالى نفسه - إنما يكون في أصل تبليغ الرسالة، سواء كان بسبب البشر أم بسبب غير البشر، كما قرر في علم الكلام.

عزيز عليه ما عنتم

من مواصفات القائد

مسألة: يلزم أن يكون القائد بحيث يعز عليه ويشق عليه ما عنت وشق وصعب على رعيته، كما يعز على الأب ما يجري على ابنه، إذ القائد هو الأب الروحي، ولأنه إذا لم يكن يهتم برعيته حتى يشق عليه ما يشق عليهم لا يصلح أن يكون ذلك الذي يقود سفينة الرعية نحو شاطئ السلام في خضم التيارات وأمواج الفتن وأعاصير البلاء.

ولمكانة (ما) يدل على عزة ذلك على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولو كان من أدنى درجات العنت، لأن الطبيعة سارية من الصغيرة إلى الكبيرة، كما قرر في علم المنطق.

قولها (عليها السلام): (ما عنتم) أي ما صعب وشق عليكم، فانه (صلى الله عليه وآله) كان يشق عليه كل ما شق على أمته في حال حياته وبعد مماته، ولذا قال (صلى الله عليه وآله) لعزرائيل (عليه السلام) عند حضوره لقبض روحه: (شدد عليّ وخفف على أمتي)، على عكس الحكام الدنيويين وطلاب القوة والسلطة الذين لا يهتمهم إلا أمر أنفسهم وإلا المزيد من الأموال والقدرة والشهوات، وإن كان كل ذلك على حساب

١- سورة التوبة: ١٢٨.

٢- سورة الأنعام: ٩.

٣- فهو يصلح أن يكون أسوة في تبليغه الرسالة رغم المصاعب، وفي التزامه بأوامره جل وعلا وتجنبه ارتكاب المعاصي رغم أنه - كسائر الناس - مركب من روح وجسد ورغم وجود القوة الغضبية والشهوانية و.. فيه، إلى غير ذلك.

الأمة واقتطاعا من أقواتها وحقوقها.

وهكذا كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ورد أنه (عليه السلام) نظر إلى فقير انخرق كم ثوبه، فخرق كم قميصه وألقاه إليه (١).

حريص عليكم

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «كان علي بن أبي طالب ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل» (٢).

حريص عليكم

الحرص على الرعية

مسألة: يلزم أن يكون القائد والراعي - في أية درجة ومنزلة كان، وسواء اتسعت دائرة رعيته أم تضيق (٣) - حريصاً على شؤون أتباعه ورعيته. ومعنى الحرص عليهم الحرص على هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وتقدمهم في شتى الأبعاد الجسمية والروحية، المادية والمعنوية، وذلك لأن حذف المتعلق يفيد العموم. ومن الواضح إن الحرص - وهو شدة الاهتمام والتمسك والتعلق بشيء - على الخيرات حسن ممدوح، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «المؤمن على الطاعات حريص وعن المحارم عفيف» (٤). أما المذموم فهو الحرص على الدنيا الفانية وشهواتها الدنية. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أربع من علامات النفاق قساوة القلب وجمود العين والإصرار على الذنب والحرص على الدنيا» (٥).

وقال (عليه السلام): «هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد» (٦). وعنه (صلى الله عليه وآله): «وإياكم والحرص فإن آدم (عليه السلام) حملته الحرص على أن أكل من الشجرة» (٧).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسين (عليه السلام): «أي بني الحرص مفتاح التعب

١- بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٧.

٣- أي سواء كان قائداً لامة أم لشعب أم لقبيلة أم لحزب أم لعائلة أم لفرد واحد.

٤- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٠ ح ١٥٣٧.

٥- الاختصاص: ص ٢٢٨.

٦- كشف الغمة: ج ١ ص ٥٧١.

٧- إرشاد القلوب: ١١٩ ب ٤٠.

ومطية النصب (عليه السلام) الحرص علامة الفقر» (١).

وقال (عليه السلام): (خير الناس من اخرج الحرص من قلبه) (٢).

هذا وفي بعض الروايات الواردة في تأويل الآية المباركة أنه (عليه السلام) تلا هذه الآية: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم)) قال: (من أنفسنا)، قال: ((عزيز عليه ما عنتم)) قال: ما عنتنا، قال: ((حريص عليكم)) قال: علينا، ((بالمؤمنين رؤوف رحيم)) قال: بشيعتنا رؤوف رحيم، فلنا ثلاثة أرباعها ولشيعتنا ربعها (٣).

بالمؤمنين رؤوف رحيم

بين الرأفة والرحمة

مسألة: يلزم أن يكون القائد رؤوفاً رحيمًا، والفرق بينهما أن الصفة الأولى تتعلق بالعمل والجوارح، والثانية ترتبط بالقلب والجوانح، في قبال اللفظ الذي يعكس خشونة الأفعال وهي حالة خارجية، وغلظ القلب وهي حالة داخلية، كما في الآية الكريمة: ((ولو كنت فظا غليظ القلب)) (٤).

أما ((الرحمن الرحيم)) في قوله تعالى: ((بسم الله الرحمن الرحيم)) (٥)، فالأول خارجي يتعلق بالظواهر والمظاهر، والثاني قلبي، وكلاهما من مادة الرحمة وبمعنى واحد، لا أن لهما معنيين كما قاله بعض المفسرين. ولذا يقال: فلان رحيم القلب، ولا يقال: رحمان القلب، وربما يقال بإطلاق كل منهما على الآخر لو انفرد كما قالوا بذلك في (المسكين والفقير) و (الظرف والجار والمجرور) والتفصيل في المفصلات.

فالمراد: ظاهره رحيم وباطنه رحيم، لا كبعض الناس حيث ترى الغلظة في ظاهره وباطنه، أو في ظاهره فقط، أو في باطنه فقط، فإن الغلظة إذا كانت في الظاهر لا تنفع معها - عادة - الرقة الباطنية، وإذا كانت الغلظة في الباطن كان الظاهر الرقيق تصنعاً لا واقعياً له، والتصنع قد ينفع في خداع الناس لفترة، إلا أنه ليس بدائمي ولا شمولي إذ إن الجوهر يصنع ما يصنع، ففي الخلوات - مثلاً - تصنع

الغلظة صنعتها في تلك المؤامرات التي تحاك خفية والخطط الشيطانية التي سرعان ما تنكشف للناس فتفضح تلك السريرة الشريرة وتلك الضمائر الخبيثة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علم (عليه السلام) فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرأفة همه والرحمة قلبه» الحديث (٦).

١- تحف العقول: ص ٨٨ - ٩٠.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤١ ح ٨٧٣.

٣- تفسير العياشي: ج ٢ ص ١١٨، والآية في سورة التوبة: ١٢٨.

٤- سورة آل عمران: ١٥٩.

٥- سورة الفاتحة: ١.

٦- الخصال: ص ٢٧، إن الله تبارك وتعالى قوى العقل بعشرة أشياء.

وفي الدعاء: «الذي أوجبته على نفسك من الرأفة والرحمة» (١).

وأيضاً: «يا معروفاً بالإحسان والرأفة والرحمة» (٢).

وأيضاً: «وأسألك باسمك الذي خلقت به ملائكة الرأفة والرحمة» (٣).

قولها عليها السلام: (بالمؤمنين) تخصيصهم بالذكر من جهة أن الصفتين السابقتين (٤) كانتا تشملان المؤمن والمنافق، فالرسول (صلى الله عليه وآله) ما كان يريد حتى عنت المنافقين، وكان حريصاً على إيمانهم وهدايتهم وإنقاذهم وكان يقول حتى بالنسبة إلى الكافرين: (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) (٥)، أما رأفته ورحمته فمصبها (المؤمنون).

فإن تعزوه وتعرفوه (٦) تجدوه أبي دون نسانكم

التعرف على الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يجب التعرف على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والقضية الشرطية في كلامها (عليها السلام) وإن كانت صحتها لا تتوقف على صدق المقدم بل ولا على إمكانه، إلا أن حكم المقدم هنا يستفاد من الخارج، كما هو بَيِّن لدى الالتفات.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد بيان لزوم معرفة الله وحدوده: «وبعده معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله) والشهادة له بالنبوة، وأدنى معرفة بالرسول الإقرار بنبوته وإن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك عن الله عز وجل (عليه السلام)» الحديث (٧).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «لم يبعث الله نبياً يدعو إلى معرفة ليس معها طاعة، وإنما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التي افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم إليه فأول ذلك معرفة من دعا إليه وهو الله الذي لا إله إلا هو وحده والإقرار ببروبيته، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصي (عليه السلام) ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذي افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهله (عليه السلام)» (٨).

وعنه (عليه السلام): «من زعم أنه يحل الحلال ويحرم الحرام بغير معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) لم

١- الإقبال: ص ٧٣.

٢- الإقبال: ص ٤٩١.

٣- البلد الأمين: ص ٤١٤، الأسماء الحسنی.

٤- وهما (عزيز عليه ما عنتم) و (حريص عليكم).

٥- إعلام الوری: ص ٨٣.

٦- وفي بعض النسخ: فإن تعزروه وتوقروه.

٧- كفاية الأثر: ص ٢٦٢.

٨- دعائم الإسلام: ج ١ ص ٥٢ - ٥٣.

يحل لله حلالاً ولم يحرم له حراماً (عليه السلام)» (١).

قولها صلوات الله عليها: (تعزوه) أي تنسبوه بذكر النسب منه واليه.

و (تعرفوه) تعرفون شخصه ونسبه، بالمعنى الأعم من النسبة اليه، حتى يعرفوا ان فاطمة (عليها الصلاة والسلام) منسوبة إليه (صلى الله عليه وآله).

و (أبي) تمهيد لكون فدك لها، لان فدك حتى إذا لم تكن نحلة - فرضاً - تكون إرثاً، لان فاطمة عليها السلام هي ابنته التي ترثه.

لا يقال: إذا كانت فدك إرثاً كانت للزوجات حصّة أيضاً؟

لأنه يقال: الزوجات كن يعترفن بان فدك ليست لهن فلم يبق إلا هي (صلوات الله عليها). كما إذا مات زيد وكان في حوزته كتاب، واعترف الأبناء بأنه ليس لهم وادعاه أحدهم فقط فانه يصبح له وحده، فهذه الجملة (٢) كالتمهيد على حسب كلام البلغاء.

ثم إن قولها (عليها السلام): (تجدوه أبي دون نساكنم) هل يدل على أنها صلوات الله عليها هي البنت الوحيدة للرسول (صلى الله عليه وآله)؟ قال بذلك بعض.

الانتساب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب لذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يبينوا نسبهم للناس ولا شك أن النسب والقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضيلة عظيمة في الدنيا والآخرة، والاستحباب إنما يكون إذا لم يتوقف حكم شرعي على ذلك وإلا وجب البيان، كما بالنسبة الى المرأة الهاشمية القرشية حيث أنها تبلغ سن اليأس في الستين من العمر وغيرها في الخمسين (٣).

وكذلك يجب بيان النسب فيما يتعلق بشؤون الخمس والزكاة - سلباً وإيجاباً - وغير ذلك، وهناك أحكام كثيرة ترتبط بالنسب المذكورة في الفقه.

وقد انتسب الإمام السجاد (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في خطبته أمام يزيد (٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما بال أقوام يقولون أن رحم رسول الله لا ينفع يوم القيامة بلى والله إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة» (٥).

ثم انه لا منافاة بين ما ذكرناه وما ورد من قوله (عليه السلام): «حسب الأدب أشرف من حسب النسب» (٦)

١- علل الشرائع: ص ٢٥٠ باب علل الشرائع وأصول الإسلام ح ٧.

٢- أي: (تجدوه أبي).

٣- هناك أحكام شرعية عديدة تترتب على كون المرأة دون سن اليأس أو بلوغها سن اليأس، المذكورة في كتاب النكاح والطلاق وغيرها.

٤- بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٧٤ ب ٣٩ ح ٢٢.

٥- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٣٢٧ المجلس ٣٨ ح ١١، والإفصاح: ص ٥١.

٦- غرر الحكم: ص ٢٤٨ ح ٥١١٢.

.)

و أخا ابن عمي دون رجالكم

وقال (عليه السلام): «نعم النسب حسن الأدب» (١).

وقال (عليه السلام): «فخر المرء بفضله لا بأصله (بأهله)» (٢).

وقال (عليه السلام): «ليست الأتساب بالآباء والأمهات لكنها بالفضائل المحمودات» (٣).

و أخا ابن عمي دون رجالكم

أخ الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب بيان أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) أخ للرسول (صلى الله عليه وآله) دون غيره. وفي ذلك تكريس لنفس الغرض الذي من أجله اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخاً، وقد يكون بيان ذلك واجباً (٤).

وإذا كان النظر إلى وجه علي (عليه السلام) عبادة (٥) وذكره عبادة (٦) فالخوض في فضائله عبادة وبشكل أولى.

قولها عليها السلام: (وأخا) أي أن علياً (عليه الصلاة والسلام) مخصوص بالاخوة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه ابن عم فاطمة (عليها السلام)، ولعله تمهيد لكونه (عليه السلام) وصيه (صلى الله عليه وآله) دون غيره، لأن الأخ يقوم مقام أخيه.

أو أن الجملتين لمزيد التعريف بهما ولوجود من قد يجهل الأصل أو الاختصاص (٧).

وفي الحديث عن زيد بن علي عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «كان لي عشر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يعطهن أحد قبلي ولا يعطاهن أحد بعدي، قال لي: يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة، ومنزلي ومنزلك في الجنة متواجهان كمنزل الأخوين، وأنت

١- غرر الحكم: ص ٢٤٨ ح ٥١١٨.

٢- غرر الحكم: ص ٤٠٩ ح ٩٣٨٧.

٣- غرر الحكم: ص ٤٠٩ ح ٩٣٨٨.

٤- كما إذا توقفت هداية إنسان على ذلك (أي على بيان فلسفة اتخاذ الرسول (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أخا دون غيره من سائر المسلمين وفيهم القريب والبعيد والشاب والشيخ و..).

٥- المناقب: ج ٣ ص ٢٠٢ فصل في محبته (عليه السلام).

٦- الاختصاص: ص ٢٢٣، والعمدة: ص ٣٦٥.

٧- الظاهر أن مراده (دام ظله) من (الأصل أو الاختصاص): أصل الاخوة، أو اختصاصها بعلي (عليه السلام).

الوصي، وأنت الولي، وأنت الوزير، عدوك عدوي وعدوي عدو الله، ووليك وليي ووليي ولي الله عز وجل» (١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم وهو في مسجد قباء والأنصار مجتمعون: «يا علي أنت أخي وأنا أخوك، يا علي أنت وصيي وخليفتي من وإمام أمتي بعدي» الحديث. (٢).

وفي كشف الغمة: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخى بين المسلمين ثم قال: يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» (٣).

وفي الحديث المروي عن الفريقين: «إن النبي أخى بين الناس وترك علياً (عليه السلام) حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني، قال: إنما تركتك لنفسك أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يدعيها بعدك إلا كذاب» (٤).

ذكر فضائل علي (عليه السلام)

مسألة: يستحب ذكر فضائل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للناس، وفي الخطاب بصورة خاصة ويلحق به كتابتها.

فان ذكر فضائله (عليه السلام) حسنة، وقد يكون واجباً إذا كان المورد من اللازم ذكره ومعرفته، ذاتاً أو طريقاً (٥).

وانما قلنا باستحبابه في الخطاب بصورة خاصة، لان الخطاب يفيد الغير، على عكس ما إذا لم يكن هناك خطاب وانما حديث وتذاكر لما يعلمه.

والحاصل إن الخطاب أخص من اصل المذاكرة، سواء علم الجميع أم اقتصر العلم على المتكلم وان كان الأمر في صور عدم علم المخاطبين أكد، فهي مراتب من الاستحباب - وربما وجب - حسب ما يفهم من الروايات والموازين العقلانية.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه محمد بن علي (عليه السلام) عن آبائه الصادقين (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ان الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم تزل

١- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧٧ المجلس ١٨ ح ٨.

٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٥٢ المجلس ٥٦ ح ٧.

٣- كشف الغمة: ج ١ ص ٢٩٤ في ذكر أنه (عليه السلام) أقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه مولى من كان مولاه.

٤- الطرائف: ص ٦٣ باب أن علياً أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله) روى عن مسند أحمد بستة طرق.

٥- (ذاتاً) كفضائله التي تعد من أصول المذهب كإمامته مثلاً، و (طريقاً) أي من باب المقدمة.

الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): النظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبادة، وذكره عبادة، ولا يقبل إيمان عبد

إلا بولايته والبراءة من أعدائه» (١).

هذا وقد أصر الأعداء على كتمان فضائل علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك ولكن ((يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (٢). وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب!» (٣). وعن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن حساب والآس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (٤).

ولنعم المعزي إليه

وقال (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير في خطبته: «معاشر الناس إن فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند الله عز وجل وقد أنزلها في القرآن أكثر من أن يحصيها في مقام واحد، فمن أنبأكم بها وعرفها فصدقوه» (٥). ولنعم المعزي إليه

الفخر بالانتساب للرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب أن يفتخر الإنسان بانتسابه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) (٦)، كما قالت (عليها السلام): (تجدوه أبي) و (ولنعم..) والائمة (عليهم السلام) - كما سبق - كانوا يفتخرون بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفعلهم حجة ومحط أسوة (٧).

١- الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٣٨ المجلس ٢٨ ح ٩.

٢- سورة الصف: ٨.

٣- شرح نهج البلاغة: ج ٤ ص ٧٣.

٤- الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٥٣ ب ٧.

٥- الاحتجاج: ص ٢٨ احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير.

٦- ولا يخفى الفرق بين هذه المسألة وما سبق من استحباب بيان النسب الشريف للذرية الطاهرة.

٧- وكما يقول الشاعر:

وهذا من الفخر المستحب لا المذموم كما هو واضح، وفي الروايات أن جبرائيل كان يفتخر على الملائكة ويقول: «من مثلي وأنا سادس الخمسة الطيبة» (١).

ومن انتسابهم (عليهم السلام) إلى جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما ورد كثيراً عنهم من قولهم: «سمعت جدي رسول الله» (٢).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء: «وأنشدكم الله هل تعلمون أن جدي رسول الله» (٣). وقال الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية: «أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة» الحديث (٤).

وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء، يرتجز ويقول:

أنا ابن علي الخير من آل هاشم***كفاني بهذا مفخر حين أفخر

وجدي رسول الله أكرم من مشى***ونحن سراج الله في الخلق تزهر

وفاطمة أمي سلالة أحمد***وعمي يدعي ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً***وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ونحن ولادة الحوض نسقي محبنا***بكاس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا في الناس أكرم شيعة***ومبغضنا يوم القيامة يخسر (٥)

ومن الواضح أن المستحب هو الافتخار بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا كان من باب ((وأما بنعمة ربك فحدث)) (٦) أو لأجل إلفات أنظار وشد القلوب أكثر فأكثر إلى رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) أو ما أشبه ذلك.

ولا يخفى أن المنتسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ثواب طاعته أكثر، وعقاب عصيانه أكثر، بدليل العقل والنقل، ومنه مقتضى آية نساء النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قال سبحانه: ((يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)) (٧) والآية، ورواية الإمام الصادق (عليه السلام) في قصة شارب الخمر وقوله (عليه السلام): (إن الحسن من كل أحد حسن وأنه منك أحسن لمكانك منا وإن القبيح من كل أحد قبيح وأنه منك أقبح لمكانك منا) (٨)

أولئك آبائي فجئني بمثلهم***إذا جمعنا - يا جرير - المجامع

١- راجع المناقب: ج ٣ ص ٣٥٩.

٢- راجع التوحيد: ص ٩٠ و ٣٠٧، والامالي للصدوق: ص ٢٠١ المجلس ٣٦ ح ١٣، والامالي أيضاً: ص ٣٤٥ المجلس ٥٥، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٧٦ ح ٥، وص ١٠٠ ح ٦، وج ٢ ص ٤٣ ح ١٥٤، وكمال الدين ٢٥٣ ح ٣، والاختصاص: ص ٢٣٨، وسائر كتب الحديث.

٣- الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٥٨ المجلس ٣٠.

٤- الإرشاد: ج ٢ ص ١٥.

٥- كشف الغمة: ج ٢ ص ١٩.

٦- سورة الضحى: ١١.

٧- سورة الأحزاب: ٣٢.

٨- راجع المناقب: ج ٤ ص ٢٣٦ والعدد القوية: ص ١٥٣ نبذة من أحوال الإمام الصادق (عليه السلام).

.)

قولها (عليها السلام): (ولنعم المعزي إليه) أي المنسوب إليه، فإن الإنسان يفتخر بنسبته إلى الكبار، وهذا من تنمية الكلام السابق، والفخر - في الإنسان الصحيح - في محله إذ وشائج القربى تؤثر في التسامي والارتفاع.

فبلغ الرسالة

تبليغ الرسالة

مسألة: يجب تبليغ الرسالة. والوجوب شامل حتى لمفرداتها المندوبة وشبهها. والدليل على وجوب تبليغ الرسالة بأحكامها الخمسة والأحكام الوضعية أيضا - إذا قلنا بأنها غير الأحكام التكليفية لا أنها منتزعة منها - وإن كان من تبليغ المستحب والمكروه والمباح: هو أن تبليغ الرسالة إيصال أحكام الله سبحانه وتعالى إلى العباد، من غير فرق بين أقسام الأحكام، وقد قال سبحانه: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)) (١).

وقال تعالى: ((الذين يبلغون رسالات الله)) (٢).

وقال سبحانه: ((فإنما عليك البلاغ)) (٣).

وقال تعالى: ((فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين)) (٤).

وقال سبحانه: ((ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم)) (٥).

وقال تعالى: ((أبلغكم رسالات ربي)) (٦).

وقال سبحانه: ((وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي)) (٧).

وقال تعالى: ((فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم)) (٨).

وقال عز وجل: ((وأبلغكم ما أرسلت به)) (٩).

إلى غير ذلك من الآيات والروايات في هذا الباب، ولا منافاة بين أن يكون العمل - كالنوافل - مندوبا وإبلاغ ذلك للعباد واجبا كما هو واضح، كما لا منافاة بين ما ذكرناه وما ذكره في المستحب من باب الأمر بالمعروف

١- سورة المائدة: ٦٧.

٢- سورة الأحزاب: ٣٩.

٣- سورة آل عمران: ٢٠.

٤- سورة المائدة: ٩٢.

٥- سورة الجن: ٢٨.

٦- سورة الأعراف: ٦٢.

٧- سورة الأعراف: ٩٣.

٨- سورة هود: ٥٧.

٩- سورة الأحقاف: ٢٣.

والنهي عن المنكر.

قال علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «ان الله عز وجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) للناس كافة ورحمة للعالمين فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه» (١).
ونقرأ في زيارته (صلى الله عليه وآله): «أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك» (٢).

صادعاً بالندارة

قولها (عليها السلام): (فبلغ) تعقيب لقوله تعالى: ((لقد جاءكم)) (٣) ولعلها (صلوات الله عليها) إنما عادت إلى أوصاف الرسول (صلى الله عليه وآله) لتكميل الأوصاف، أو أنها ذكرت ما ذكرت بين طائفتي الأوصاف، لنلا يستلزم التكثير في الصفات في نسق واحد ملالة السامع، كما هو مقتضى البلاغة في الفصل بما يحافظ على قوة الحديث وجاذبيته.

صادعاً بالندارة

الإنذار أبدأ

مسألة: يستحب الصدع بالإنذار، بل يجب أحياناً، وأصل الصدع يفيد معنى الكسر، قال تعالى: ((والأرض ذات الصدع)) (٤)، وقال سبحانه: ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله)) (٥) فإن الذين يبلغون رسالات الله سبحانه بالنسبة لغير المستعدين لقبولها يصدعون في التبليغ، قال تعالى: ((فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين)) (٦).

فعلى الإنسان أن يصدع بالحق وان كان في مجتمع لا يتقبل كلمة الحق ومنهجه بل يتقبل بعضهم فقط، بل وحتى إذا لم يتقبل ولا واحد منهم، لان على العالم أن يبلغ الرسالة سواء قبلها الجاهل أو لم يقبل كما ورد في الحديث الشريف: (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يبين علمه وإلا فعليه لعنة الله) (٧).
وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فان لم يفعل سلب منه نور

١- الجمل: ص ٢٦٧.

٢- مصباح المتجهذ: ص ٧٠٩، والبلد الأمين: ص ٢٧٦، وجمال الأسبوع: ص ٢٩.

٣- سورة التوبة: ١٢٨.

٤- سورة الطارق: ١٢.

٥- سورة الحشر: ٢١.

٦- سورة الحجر: ٩٤، والصدع بما يؤمر به هو إظهاره والجهر به، تقول صدعت بالحق أي جهرت به، ومن البين ان الإظهار والجهر بالحق يعود في جوهره الى الكسر والتعطيم لكل ما يخالف أوامر الله.

٧- راجع غوالي اللثالي: ج ٤ ص ١٧٠ ح ٣٩، وفيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

الإيمان» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية وناهيوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة» (٢).

وقال سبحانه: ((وما على الرسول إلا البلاغ)) (٣).

وذلك أن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تختلف عن شرائط وجوب التبليغ، فقد يكون الهدف من الإبلاغ إتمام الحجة فقط (٤)..

قال تعالى: ((فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)) (٥).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا» (٦).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من كتم علماً نافعاً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (٧).

قولها عليها السلام: (صادعا) أي منذراً ومظهراً للإنذار، إشارة إلى قوله سبحانه ((فاصدع بما تؤمر)) (٨)، وقلنا بان اصل الصدع الكسر، كأنه يكسر حاجز الخوف، أو حجاب السكوت، أو سلسلة الخرافات والضلالات.

مانلا عن مدرجة المشركين (٩)

الميل عن طريقة المشركين

مسألة: يجب الميل عن طريقة المشركين والكفار، ولذا وصف إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالحنيف، لان الحنيف عبارة عن المائل، فقد كان الناس على طريقة واحدة وجاء إبراهيم (عليه السلام) ووضع المناهج والبرامج مانلا عن طريقته، قال تعالى: ((ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)) (١٠). وكذلك رسول الله

١- علل الشرائع: ص ٢٣٦ ب ١٧١ ح ١.

٢- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ١٦٢.

٣- سورة النور: ٥٤.

٤- فعلى ذلك لا يشترط في الإبلاغ (احتمال التأثير) مثلاً وان اشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- سورة الرعد: ٤٠.

٦- غوالي اللئالي: ج ٤ ص ٧١ ح ٤٠.

٧- غوالي اللئالي: ج ٤ ص ٧٢ ح ١٤.

٨- سورة الحجر: ٩٤.

٩- وفي بعض النسخ: (ناكباً عن سنن مدرجة المشركين) وفي بعضها: (مانلاً على مدرجة المشركين) ويكون المعنى على هذه النسخة الأخيرة: ضد مدرجة المشركين، أو يكون على بمعنى عن، كما لا يخفى.

١٠- سورة البقرة: ١٣٥.

(صلى الله عليه وآله)، وهكذا بالنسبة إلى الأنبياء السابقين (صلوات الله عليهم أجمعين).
وقد ورد في سلمان عن الإمام الصادق (عليه السلام): «ان سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (١).
وفي الحديث عن أبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: ((فاقم وجهك للدين حنيفاً)) (٢) قال (عليه السلام): «هي الولاية» (٣).
وقال سبحانه: ((اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا الله واعرض عن المشركين)) (٤).
وقال تعالى: ((ولا تتبع سبيل المفسدين)) (٥).

التشبه بالكفار

مسألة: التشبه بالكفار مرجوح في الجملة، وقد يكون حراماً، ولربما استفيد من هذه الجملة ذلك، باعتبار استفادة الإطلاق من إضافة المفرد (٦) أو بلحاظ أن المقام بمنزلة النكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم (٧)، كما ورد في الحديث القدسي ((عليه السلام) أعدائي) (٨).
قولها عليها السلام: (مدرجة) أي ما درجوا عليه، أي الطريقة والمسلوك، فلم يسلك (صلى الله عليه وآله) سلوكهم في مختلف أبعاد الحياة (٩)، حيث انهم انحرفوا عن طريقة الأنبياء (عليهم السلام) وعن فطرتهم.

ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم

التركيز على أئمة الكفر

مسألة: بناء على التأسسي به (صلى الله عليه وآله) فالأصل في المعارك الدائرة على جبهات الكفر والإيمان أن يركز الضربات على (أئمة الكفر) ورؤوس الضلال، وهو أمر عقلي قبل أن يكون نقلياً، إذ أن دعائم الكفر لو

١- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٨٨.

٢- سورة الروم: ٣٠.

٣- تفسير القمي: ج ٢ ص ١٥٤ سورة الروم.

٤- سورة الأنعام: ١٠٦.

٥- سورة الأعراف: ١٤٢.

٦- إذ ان (مدرجة) مضاف لـ (المشركين) فتفيد: كل ما درج عليه المشركون.

٧- إذ ان (مانلا عن مدرجة المشركين) بمنزلة لم يمل الى مدرجة المشركين، وليلاحظ ان (مال الى) تناقض معنى (مال عن) فـ (مانلا عن) تساوي في المعنى (لم يمل الى).

٨- هنا كلمة غير مقروءة في النسخة الأصلية.

٩- إشارة إلى أن (ما درجوا عليه) يشمل العادات والتقاليد والبدع والخرافات جميعاً.

تقوضت تقوض ما يقوم بها دون العكس عادة، وعليه أيضا أن يضرب على الوتر الحساس ويأخذ بخناقهم و يصيبهم في مقاتلهم دون أن يشغل نفسه بالهامشيات وبما لا يبلغ منهم مقتلاً.

ومن الواضح إن ذلك هو الأصل والقدرة من الشرائط (١).

قال تعالى: ((فقاتلوا أئمة الكفر)) (٢).

قولها عليها السلام: (ضارباً ثبجهم) هو وسط الشيء ومعظمه، حتى لا يتمكنوا من القيام بعد أن ضرب ثبجهم.

وفي كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالنسبة إلى خيمة معاوية في صفين: (عليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب فاضروا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره، نافج حضنه مفترش ذراعيه) (٣).

و (بأكظامهم) الكظم مخرج النفس، حتى لا يتمكنوا من التنفس بالباطل.

منهج التصدي للأعداء

مسألة: ينبغي بيان طريقة الرسول (صلى الله عليه وآله) في التصدي لأعداء الدين (٤)، ومن الضروري القيام بدراسات تخصصية مستوعبة حول طريقة تصديده لأعداء الإسلام سياسياً وإعلامياً وعسكرياً وفكرياً واجتماعياً وغير ذلك، في المخططات بعيدة المدى والقصيرة الأمد أيضاً (٥).

قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) (٦).

وهناك تأكيد كبير على التصدي للأعداء والجهاد كما رسمه القرآن وطبقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام):

قال (صلى الله عليه وآله): «إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله» (٧).

وقال (صلى الله عليه وآله): «للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه وفقرأ في معيشتة ومحققاً في دينه، إن الله تبارك

وتعالى أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها» (٨).

١- أي إن من لا يستطيع التصدي لائمة الكفر مثلاً فعليه التصدي لأعدائهم، ومن لا يستطيع الأخذ بأكظامهم عليه إقلاقهم فيما عدا ذلك بنحو الترتب.

٢- سورة التوبة: ١٢.

٣- تفسير فرات الكوفي: ص ٣١ ٤ سورة الحجرات.

٤- راجع موسوعة الفقه، كتاب النظافة.

٥- استراتيجيا وتكتيكيا.

٦- سورة الأحزاب: ٢١.

٧- الامالي للشيخ الصدوق: ص ٦٩ المجلس ١٦ ح ١.

٨- الامالي للشيخ الصدوق: ص ٥٧٧ المجلس ٨٥ ح ٨.

هذا ولا يخفى أن الجهاد والحرب في الإسلام على أنظف صورة عرفها البشر كما فصلناه في بعض كتبنا (١).
 وسئل النبي (صلى الله عليه وآله): «أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند إمام ظالم» (٢).
 وقال (صلى الله عليه وآله): «أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر» (٣).
 وفي بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر» (٤).
 وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء» (٥).

استعراض قوة الإسلام

مسألة: يستحب استعراض قوة الإسلام ومقومات تقدمه ونجاحه وقد يجب، وبالعكس فإنه يحرم التخذيل والتثبيط في مختلف الأبواب الإسلامية وفروعها ولذا لا يعطى - في باب الجهاد - للمخذل أي سهم، على ما قرر في الفقه.
 وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة» (٦).
 وقال (عليه السلام): «ليحذر أحدكم أن يثبط أخاه عن الحج أن تصيبه فتنة في دنياه مع ما يدخره له في الآخرة» (٧).
 وفي الدعاء: «وأعذني اللهم بكرمك من الخيبة والقنوط والآفة والتثبيط» (٨).

داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

الدعوة بالحكمة

مسألة: يجب أن تكون الدعوة إلى الدين بـ (الحكمة) و (الموعظة الحسنة) وإن يكون الجدل بالتالي هي احسن، في بعض الصور والمراتب، ويستحب في بعضها الآخر.
 ثم إن (الحكمة) بمعناها الأعم - وهو وضع الأشياء مواضعها - مقسم للموعظة الحسنة والجدل بالتالي هي

١- راجع كتاب (الفقه: النظافة) مبحث نظافة الحرب، للإمام المؤلف دام ظله.

٢- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٠٠.

٣- روضة الواعظين: ص ٦.

٤- إرشاد القلوب: ص ٩٨ ب ٢٤.

٥- غرر الحكم: ص ٣٣٣ ح ٧٦٥٨.

٦- المحاسن: ص ٩٩.

٧- غوالي اللئالي: ج ٤ ص ٢٨ ح ٨٩.

٨- مصباح الكفعمي: ص ٤٠٠.

احسن، وبمعناها الأخص قسيم لها.

فعلى التقدير الأول: يكون ذكرها بعدها للتأكيد من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته.

وعلى التقدير الثاني: يكون ذكرها تأسيساً، فيكون الأمر بحاجة إلى تحديد المراد بكل منهما.

فقد يقال بان المراد بالحكمة: استخدام البراهين القطعية، وبالموعظة الحسنة: الخطابة، وبالمجادلة بالتي هي احسن (١): الإلزام بالمقدمات المسلمة والمشهورة، والأولى للخواص وقد تكون للعوام أيضاً، والثانية للعامة وقد تنفع الخواص أيضاً، والثالثة للمعاندین.

وربما يمكن القول بان المراد بالحكمة - على التقدير الأخص -: مراعاة شرائط الزمان والمكان وما يرتبط بالتأثير على المستمع وفي الجانب المعنوي، وأما الموعظة والجدال فترتبط بالجانب اللفظي وما يتعلق به، ويكون المراد بالموعظة: ما يتضمن الإيلاء القولي، لكن ذلك الإيلاء الحسن الذي يحث النفس ويحرضها دون استغزاز، أو يقال المراد بالموعظة الحسنة: الغرس لكن على الوجه الحسن كما يمزج الدواء المر ببعض الاشربة و الروائح الطيبة كي يستسيغه المريض، أو يغلف بما يستر مرارة الدواء وحدته، ونظراً لان الحكمة تشمل كل ذلك - بالاعتبار الأول (٢) - وحملها عليه ربما كان عدم إكمالها (عليها السلام) للآية بذكر القسم الثالث، حيث قال سبحانه: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) (٣).

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار» (٤).

وقال (عليه السلام): «عليك بالحكمة فإنها الحلية الفاخرة» (٥).

وقال (عليه السلام): «من لهج بالحكمة فقد شرف نفسه» (٦).

يكسر الأصنام وينكت الهام

وقال (عليه السلام): «بالحكمة يكشف غطاء العلم» (٧).

وفي القرآن الكريم: ((ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)) (٨).

وفي زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله): «أشهد يا رسول الله (عليه السلام) انك (عليه السلام) دعوت إلى

سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الجميلة» (٩).

١- في الآية المباركة سورة النحل: ١٢٥.

٢- أي الحكمة بالمعنى الأعم.

٣- سورة النحل: ١٢٥.

٤- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣١٩.

٥- غرر الحكم: ص ٥٨ ح ٦٠٤.

٦- غرر الحكم: ص ٥٨ ح ٦٠٦.

٧- غرر الحكم: ص ٥٩ ح ٦٢٥.

٨- سورة البقرة: ٢٦٩.

٩- الإقبال: ص ٦٠٥.

يكسر الأصنام (١) وينكت الهام (٢)

القضاء على الأصنام

مسألة: يجب القضاء على الأصنام وكل ما يعبد من دون الله، مما اتخذها المشركون، حتى يقطع صلتهم بها، فإن كان القضاء عليها يتحقق بالكسر - كما في الأصنام - وجب الكسر، وإن كان على نحو الهدم وجب، وإن كان صورة مرسومة على الحائط - مثلاً - وجب محوها أو تغييرها.

وقد كسر النبي إبراهيم (عليه السلام) الأصنام في قصة معروفة (٣).

وأمر المؤمنين (عليه السلام) ارتقى كتف النبي (صلى الله عليه وآله) وكسر الأصنام التي كانت على الكعبة (٤).

ويظهر من الروايات أن علياً (عليه السلام) كسر أصنام الكعبة مرتين مرة حين فتح مكة ومرة قبل الهجرة، ففي الحديث عنه (عليه السلام) قال:

«دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمنزل خديجة ذات ليلة فلما صرت إليه قال: اتبعني يا علي. فما زال (صلى الله عليه وآله) يمشي وأنا خلفه ونحن نخرق دروب مكة حتى أتينا الكعبة وقد أنام الله تعالى كل عين، فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا علي.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: اصعد على كتفي.

ثم انحنى النبي (صلى الله عليه وآله) فصعدت على كتفه فقلبت الأصنام على رؤوسها ونزلت وخرجنا من الكعبة حتى أتينا منزل خديجة، فقال (صلى الله عليه وآله) لي: أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم (عليه السلام) ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام.

فلما أصبح أهل مكة وجدوا الأصنام منكوسة مكبوبة على رؤوسها، فقالوا: ما فعل هذا بآلهتنا إلا محمد وابن عمه» (٥).

وفي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إن اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صحف إبراهيم: الماحي (عليه السلام) قيل: فما تأويل الماحي، فقال: الماحي صورة الأصنام وماحي الأوثان والازلام وكل معبود دون الرحمن» (٦).

١- وفي بعض النسخ: (يجز الأصنام).

٢- وفي بعض النسخ: (ينكس الهام).

٣- انظر تفسير القمي: ج ٢ ص ٧١ سورة الأنبياء، وقصص الأنبياء للجزائري: ص ١٠٢.

٤- راجع إعلام الوری: ص ١٨٤، وشواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٥٣ ح ٤٨٠.

٥- الفضائل: ص ٩٧.

٦- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٧١ المجلس ١٧ ح ٢.

القضاء على أئمة الضلال

مسألة: يجب القضاء على (أئمة الضلال) كما فعل (صلى الله عليه وآله)، فان (ينكت الهام) أي يضرب الرؤوس أي (رؤوس أئمة الضلال وقادتهم) حتى ينفصل الاتباع عنهم، فيتمكنوا من تقرير مصير أنفسهم بأنفسهم، فيتركوا وشأنهم - أي من دون ارتباط بقيادة الضلال - ليختاروا ما هو مقتضى عقولهم وفطرتهم. إضافة إلى ان ضرب الرؤوس مما يوجب تفكك الترابط بين أجزاء جيش الضلال والظلام، فيكون ادعى لانهازم الإذئاب وأسرع في القضاء على الجمع.

وفي ذكرها عليها السلام: (يكسر الأصنام وينكت الهام) نكتة لطيفة وهي ان القضاء على الأديان والمذاهب الباطلة يتم بركنين:

أحدهما: القضاء على (الرمز المقدس) و (المحور والقطب) الذي تدور عليه رحي معتقداتهم وأفكارهم.

والثاني: القضاء على حملة تلك الراية وعلى الدعاة إليها.

تخليد ذكرى القائد

مسألة: يستحب تخليد ذكر القائد الديني وإحياء أمره، من خلال بيان إنجازاته وما قام به من أعمال حسنة وخطوات حميدة، عبر كتابة الكتب وما أشبه ذلك، وقد يجب ذلك، كما بالنسبة إلى المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وذلك بلحاظ الحق (١) أولاً، وبلحاظ ما لذلك من التأثير على (تأسي) الناس بالقادة واستضاءتهم بأنوارهم وهدايتهم ثانياً.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمض قلبه يوم تموت القلوب» (٢).

وعن الهروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: فكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا» (٣).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تجلسون وتحدثون، قال الراوي: قلت نعم جعلت فداك، قال: تلك المجالس أحبها فاحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا» (٤).

حتى انهزم الجمع وولوا الدبر

حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه

- ١- قد يكون المراد بالحق: الحق العظيم الذي للمعصومين (عليهم السلام) علينا، وفي درجات أدنى: لسانر القادة الصالحين علينا، دينيا ودنيويا، وفي ذكر فضائلهم والإشادة بأعمالهم أداء لبعض حقهم.
- ٢- الأمالي للشيوخ الصدوق: ص ٧٣ المجلس ١٧ ح ٤.
- ٣- معاني الأخبار: ص ١٨٠.
- ٤- مصادقة الأخوان: ص ٢٣.

وقال (عليه السلام): «تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه» (١).
وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة رحم الله من أحيأ أمرنا» (٢).
حتى انهزم الجمع وولوا الدبر
حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه

مواصلة المعركة

مسألة: تجب مواصلة المعركة مع الملحدين والمشركين حتى الهزيمة الكاملة، كما قال تعالى: ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)) (٣) وكما صنع (صلى الله عليه وآله) حيث واصل (حتى انهزم الجمع وولوا الدبر) و (حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه) و- ((يكون الدين كله لله)) (٤).
فان انهزام الجمع الباطل يوجب تبده وتفرقه وعدم قيام عمود له حتى يقابل الحق، وما اكثر من يترك مسيرة الجهاد في منتصف الطريق تعباً أو كسلاً أو خوفاً أو طمعاً، وفي الكثير من المجاهدين الذين تركوا مسيرة الجهاد ليتحولوا إلى مصفقين يسرون في ركاب السلاطين الشاهد الكبير والإنذار الأكبر على ذلك أيضاً. قولها (عليها السلام): (الجمع) أي جمع الكفار (ولوا الدبر) تأكيد لان المنهزم الشديد الانهزام يولي دبره إلى طرف هازمه بخلاف غيره حيث يمكن ان يهرب فيعطى هازمه طرفه لا ظهره. وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحقتني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت ما كان رسول الله ليفر، وما رأيته في القتلى (عليه السلام) فحملت على القوم فاخرجوا فإذا أنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقممت على رأسه فنظر إلي وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك، فنظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة، فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال لي النبي (صلى الله عليه وآله): أما تسمع يا علي مديحك في السماء ان ملكاً يقال له صنوان (٥) ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» (٦).

١- مصادقة الأخوان: ٣٤.

٢- مصادقة الأخوان: ٣٨.

٣- سورة البقرة: ١٩٣، وسورة الأنفال: ٣٩.

٤- سورة البقرة: ١٩٣، وسورة الأنفال: ٣٩.

٥- وفي سائر الروايات انه كان جبرئيل (عليه السلام) والظاهر انهما نادى بذلك، أو أن صفوان من اسماء جبرائيل أيضاً.

٦- الإرشاد: ج ١ ص ٨٦ - ٨٧.

الحقيقة الكاملة

مسألة: يجب أن يتصدى الدعاة لـ (بيان الحقيقة) كاملة للناس، ولكشف القناع عن كل زيف وضلالة، فإن كثيراً من المبلغين والمؤمنين يخشى أن يقول الحق كل الحق ويكتفي ببيان بعضه ويحاول إرضاء وجدانه بذلك البعض فحسب!

ولعل الكثير منهم يتعلل - لإرضاء وجدانه وإسكات خلأته - بأنه قد قام بجانب من الأمر، وأنه قد أثار بعض الظلم وجلى بعض البهم وكفى!.

لكن ذلك شرعاً محرم، قال تعالى: ((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض)) (١) فـ (إذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله، أو سلب منه نور الإيمان) (٢) وقد واصل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ببيان كل صغيرة وكبيرة وتعرض لكل ما يقرب إلى الجنة ويباعد من النار، في العقائد والأعمال، في العقود والإيقاعات والأحكام و (عليه السلام) (حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه). وفي المحاسن عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته في حجة الوداع: «أيها الناس اتقوا الله، ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به» (٣).

قال تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)) (٤) فإن الإسلام كل لا يتجزأ والمؤمنون ((يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)) (٥) وليرجف المرجفون بعد ذلك وليرقد البعض وليحدث ما يحدث.

إذن يجب العمل حتى يظهر محض الحق بدون شوب بالباطل، فإن الحق قد يظهر لكنه مشوب بالباطل، مما يسبب ضلال الناس، فيجب أن يعمل الإنسان جاهداً حتى يظهر محض الحق، كي يتبعه من شاء أن يتبعه، قال تعالى: ((اليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة)) (٦).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الشرعية أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي» (٧).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «هلك من باع اليقين بالشك والحق بالباطل» (٨).

وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق» (٩).

١- سورة البقرة: ٨٥.

٢- راجع غيبة الطوسي: ص ٦٤.

٣- المحاسن: ص ٢٧٨ ح ٣٩٩.

٤- سورة المائدة: ٦٧.

٥- سورة المائدة: ٥٤.

٦- سورة الأنفال: ٤٢.

٧- غوالي اللئالي: ج ٤ ص ١٢٤ ح ٢١٢.

٨- غرر الحكم: ص ٦٢ ح ٧٢٣.

٩- غرر الحكم: ص ٥٩ ح ٦٣٢.

وقال (عليه السلام): «الكيس صديقه الحق وعدوه الباطل» (١).
 وقال (عليه السلام): «ليكن مرجعك إلى الحق فمن فارق الحق هلك» (٢).
 وقال (عليه السلام): «من استحيى من قول الحق فهو أحمق» (٣).
 وقال (عليه السلام): «لا خير في السكوت عن الحق» (٤).
 قولها (عليها السلام): (تفرى) انشق، والمراد بالليل ظلام الكفر والشرك والانحراف، و (صبحه) أي صبح الحق بالقرينة، أو صبح الليل، لأن وراء كل ليل صبح.
 قولها (عليها السلام): (أسفر الحق) كشف وأضاء، (محضه) الضمير عائد إلى الحق، أي محض الحق الذي لا يشوبه باطل، ولعل المراد بهذه الجملة: الشريعة، وبالأولى العقيدة.

ونطق زعيم الدين

إسناد زعماء الدين

مسألة: يجب العمل حتى يفسح المجال لزعيم الدين كي يبلغ الرسالة وينطق بما أمره الله عز وجل، فإن زعماء الدين - والزعيم هو السيد - إذا أتحت لهم فرصة النطق والبيان بدون محذور، تمكن طلاب الحقيقة ومن يريد الدين أن يلتفتوا حولهم. فإن الكفار غالباً يحولون دون نطق زعيم الدين، كما قال سبحانه: ((فردوا أيديهم في أفواههم)) (٥)..
 وتارة بمنع الناس عن الإنصات لهم كما كان أقطاب مشركي مكة يجعلون القطن في آذان من يريد دخول المسجد الحرام، حتى لا يستمع إلى كلام النبي (صلى الله عليه وآله) أو يجعلون أصابعهم في آذانهم (٦). وتارة بإيجاد حاجز نفسي وأغطية وغشاوة فكرية تحول دون تفهم الحقيقة ورؤيتها كما هي.
 والمراد بـ: (زعيم الدين) في كلامها (عليها السلام) هو الرسول (صلى الله عليه وآله)، بناء على كون الإضافة لامية، وهو كناية عن تفوق كلمة الحق وسقوط كلمة الباطل، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية (٧) وقد يؤيده السياق، ولمكان حتى.

وخرست شفاشق الشياطين

- ١- غرر الحكم: ص ٦٨ ح ٩٤٥.
- ٢- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٥٣.
- ٣- غرر الحكم: ص ٧٠ ح ٩٨٨.
- ٤- غرر الحكم: ص ٧٠ ح ٩٩١.
- ٥- سورة إبراهيم: ٩.
- ٦- انظر تفسير فرات الكوفي: ص ٢٤٢ ح ٣٢٧ سورة بني إسرائيل.
- ٧- أي نطق زعيم هو الدين.

إسكات أصوات الشياطين

مسألة: يجب العمل على ان تخرس شقاشق الشياطين.
 قال تعالى: ((ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)) (١).
 وقال سبحانه: ((ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)) (٢).
 وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صافوا الشيطان بالمجاهدة» (٣).
 وقال (عليه السلام): «الشهوات مصائد الشيطان» (٤).
 قولها عليها السلام: (خرست) أي صارت خرساء، والخرس: عدم القدرة على التكلم. و (شقاشق) جمع شقشقة، وهي الزبد الذي يخرج من فم البعير عند هياجه، وهذا تشبيهه بأن الباطل كان عن ثورة وجهل، وبدون واقعية، قال سبحانه: ((فأما الزبد فيذهب جفاء)) (٥)، أما وجه الشبه في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (تلك شقشقة هدرت ثم قرت) (٦) فبهدرها لا بعدم الواقعية كما هو واضح.

والمراد من (الشياطين):

إما زعماء الشرك، تشبيهاً وتنزيلاً.

أو الشياطين حقيقة، حيث كانت لهم الكلمة نتيجة تعاضد عوامل عديدة منها: الزعماء الفاسدون، وعدم وضوح الطريق والصراط المستقيم، وعدم وجود القائد والدليل الرائد، إضافة إلى وجود القيود الكابتة والعادات والتقاليد الجاهلية السائدة.
 وههنا سؤال ربما يكثر في الأذهان اختلاجه وهو:

ان الإذاعات والصحف الشرقية والغربية التي تتبع أسلوباً صريحاً أو ذكياً لزلزلة عقائد المؤمنين هل يجب (إسكاتهم وإخراستها) عبر إغلاقها - فيما إذا كانت في دائرة سلطة المؤمنين - أو عبر التشويش عليها بالأجهزة الحديثة فيما إذا كانت خارج الدائرة، أم غير ذلك؟ وكإشارة نقول:

افضل طريقة للتصدي لها هي: صنع البديل الأكفأ الأتفع فيلتف الناس حوله طبيعياً، ويكون من إسكات الشياطين بالطريقة الإيجابية (٧)، فإذا كانت الإذاعة والتلفزيون والصحف الإسلامية أغنى وأقوى وأكثر عطاءً وروعة من غيرها اجتنب الناس إليها دون شك، خاصة مع مطابقتها لمتطلبات الفطرة.
 أما إغلاقها وسائر ما يستلزمه من تضيق على العاملين بها أو سجنهم أو ملاحقتهم، فهو - مع انه غير

١- سورة فاطر: ٦.

٢- سورة الأنعام: ١٤٢.

٣- غرر الحكم: ص ٢٤٠ ح ٤٨٤٨.

٤- غرر الحكم: ص ٣٠٤ ح ٦٩٣٧.

٥- سورة الرعد: ١٧.

٦- نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

٧- هذا لا يتنافى مع منع ما يمكن منعه من البرامج الفاسدة، كالأفلام المفسدة وما أشبهه.

مقدور في كثير من الموارد (١) - قد يكون مما ضرره أكثر من نفعه، نظراً لاستخدام الأعداء هذه مادة جديدة لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

ولذلك نرى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) تركا للمشركين والكفار الحرية في التحدث والدفاع الفكري عن عقائدهم وقارعوهم بالحجة لا بغيرها، وتفصيل الكلام في محله.

وطاح وشيظ (٢) النفاق

القضاء على النفاق

مسألة: النفاق - ببعض معانيه - من أشد المحرمات، والقضاء عليه واجب، وذلك مما يستفاد من أدلة عديدة، عقلية ونقلية، ومنها: وقوعه في كلامها (عليها السلام) ههنا نتيجة وغاية لذلك الواجب المسلم (٣) ولذلك نرى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بإحراق ذلك المسجد الذي اتخذ ضراراً حيث كان مركزاً أو مجمعا للمنافقين والضرر والإضرار بالمسلمين (٤).

وهناك روايات كثيرة في ذم النفاق وبيان أقسامه وأبوابه وما أشبهه، ففي الدعاء المروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق» (٥). وعن أبي جعفر (عليه السلام): «ان الخصومة تحق الدين وتدرسه وتحبط العمل وتورث النفاق» (٦).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلل النفاق» (٧).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق» (٨).

وقال (صلى الله عليه وآله): «حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل» (٩).

١- ومع عدم جواز بعض ألوان التضييقات، كما هو مذكور في (الفقه: الدولة الإسلامية) و (الفقه: الحقوق) و (الفقه: الحريات) وغيرها من تأليفات الإمام المؤلف دام ظله.

٢- وفي بعض النسخ: (وسيط النفاق) ويكون المراد رئيس المنافقين وأشرفهم وأرفعهم محلاً.

٣- أي قولها (عليها السلام): (ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً.. يكسر الأصنام وينكت الهام) وذلك كله طريق ووسيلة إلى (حتى انهزم الجمع.. حتى تفرى الليل من صبحه.. ونطق.. وخرست.. وطاح وشيظ النفاق..).

٤- راجع تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص ٤٨٣ و ص ٤٨٨.

٥- مصباح الكفعمي: ص ٩٦ الفصل ١٧.

٦- دعائم الإسلام: ج ٢ ص ٥٣٩ كتاب آداب القضاء ح ١٩١٤.

٧- تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٤٢ سورة النساء.

٨- مجموعة ورام: ج ١ ص ١١٣.

٩- مجموعة ورام: ج ١ ص ١٥٥.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيمان بريء من النفاق» (١).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر» (٢).

وقال (عليه السلام): «احذروا أهل النفاق فانهم الضالون المضلون» (٣).

قولها عليها السلام: (طاح) أي سقط (وشيط) السفلة الذين ينشطون عند ذهاب الحق وعموم الظلام. والمراد بالنفاق: إما معناه الاصطلاحي أي المنافقين الذين اظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، حيث أنهم سقطت كلمتهم وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمسارب الحياة عليهم وهذا هو المنصرف. أو معناه اللغوي وهو التلون بألوان مختلفة ووجوه متعددة في شتى المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، لان الأمم الفاسدة تفتقد مكارم الأخلاق ويروج فيها النفاق وتتكون لها وجوه متعددة الى جانب المساوي الأخرى.

وانحلت عقد الكفر والشقاق

حل مراكز قوى الأعداء

مسألتان: تحرم مشاققة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين، ويجب السعي لفصم العرى التي تربط المشركين بعضهم ببعض، أي القضاء على أي مركز تجمع لهم يخشى خطره على الإسلام والمسلمين، وذلك بالأسلوب الذي اتبعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

والشقاق غير الكفر، فان المراد بالشقاق ان يكون الحق في شق والباطل في شق آخر، وان كانا يشتركان في الجامع وهو (إظهار الإسلام)، قال سبحانه: ((ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)) (٤).

وفي الحديث: «اجتنبوا أهل الشقاق وذرية النفاق» (٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المؤمن منزّه عن الزيغ والشقاق» (٦).

قولها (عليها السلام): (وانحلت عقد الكفر) فلا مراكز لهم يلجئون إليها ويتقون بها ويستظهرون بها على الإسلام والمسلمين. (انحلت.. أي الجبهة المقابلة للإسلام كلا أو للإسلام الصحيح انحلت، فلم يبق لها ملجأ و مجمع، كما هو الشأن في كل حق يظهر، حيث ان الباطل ينزوي ولا يتمكن أن يثبت وجوده كقوة فاعلة متركزة، وان بقي أشلاء متناثرة وأعضاء متفرقة لا حول لها ولا قوة.

١- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٧٦.

٢- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٨٤.

٣- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٩٤.

٤- سورة النساء: ١١٥.

٥- المناقب: ج ٤ ص ٢٠٣.

٦- غرر الحكم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٦٤.

وفهم بكلمة الإخلاص

وجوب النطق والتجاهر بكلمة الإخلاص

وهنا مسائل:

- ١: النطق بكلمة الإخلاص واجب في الجملة وبعض مصاديقه مستحب.
 - ٢: وكما يجب على المؤمن يجب ذلك على الكافر أيضاً، لضرورة الاشتراك في التكليف.
 - ٣: وبعض مراتب الإعلان والتجاهر بهذه الكلمة واجب، ويجب في الجملة الجهاد لأجل ذلك.
- والمراد من (فهم) اما معناها الظاهري وهو النطق ومجرد التفوه بكلمة الإخلاص، وإما: الإظهار والإعلان والتجاهر أيضاً، و (كلمة الإخلاص) هي (لا اله إلا الله) وتسمى بالإخلاص لان المفروض فيها (١) ان يخلص الإنسان العقيدة له سبحانه من غير شريك، ثم ان العطف بالواو وان كان الأصل فيه اصل العطف لا الترتيب - على المشهور - إلا انه قد يستخدم في موارد الترتيب بقرينة مقامية، كما في المقام، فان إظهار الشهادتين عموماً وإظهار الإخلاص لله سبحانه وتعالى بالنسبة الى المؤمنين كان تحققه عادة بعد إسقاط كلمة الكفر والنفاق والشقاق، وقد جاءت السيدة الزهراء (عليها صلوات الله) بهذه الجملة عقيب الجملة السابقة، وهذا قد يدل على ما ذكرناه.

وفي الروايات: «القول الصالح شهادة ان لا إله إلا الله» (٢).

وفي حديث سلسلة الذهب عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الله عز وجل قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، فلما مرت الراحلة نادانا (عليه السلام): بشروطها وأنا من شروطها» (٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسى والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا بعد ان كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» (٤).

قولها (عليها السلام): (فهم) من فاه أي تكلم، بكلمة الإخلاص، ثم ان من المعلوم ان التفوه بها مخلصاً يستتبع العمل ويقتضيه ويوجب سلوك الدرب الصحيح، ورفض المشركين التفوه بهذه الكلمة المباركة لم يكن لمجرد أنها كلمة عابرة، بل لأن التفوه بهذه الكلمة كان عنواناً للخروج من ولاية الشيطان والدخول في ولاية الرحمن، فهو رمز وشعار وعلامة أولاً (٥)، ثم الاعتراف بالإله الواحد يقتضي ان يسلك الطريق إلى آخر فرع

١- المفروض اما من الفرض بمعنى الوجوب، أي الواجب فيها الإخلاص، أو المراد قد فرض فيها ان يكون المتكلم بها مخلصاً.

٢- راجع الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٠٠ المجلس ٢١ ح ٩.

٣- الامالي للشيخ الصدوق: ص ٢٣٥ المجلس ٤١ ح ٨.

٤- مائة منقبة: ص ٤٩ ح ٢٤.

٥- وذلك كمن يرفع علم دولة، أو المسيحي الذي يحمل الصليب على صدره أو ما أشبه.

من فروع الدين ثانياً.

في نفر من البيض الخماص (١)

التقوى والزهد من المقومات

مسألة: هذه الكلمات منها (صلوات الله عليها) توحى بأهمية الزهد والعمل والتقوى ومقومتها للتقدم، كما تشير إلى بعض صفات القادة الأسوة أيضاً.

قولها (عليها السلام): (نفر) أي جماعة، (البيض) أي صحيفتهم بيضاء ونقية عن الآثام والموبقات، والمراد بهم: أما أجلى المصاديق وهم أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، حيث إن المسلمين التحقوا بهم، ويدل عليه ما جاء في بعض النسخ: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، أو مطلق الذين اخلصوا لله فصارت صحيفتهم بيضاء وإن كانت قبل ذلك - لبعضهم - سوداء.

(الخماص): خميص البطن أي خاليه، وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو اخماصاً وتروح بطاناً) (٢) فإن الطير إذا لم يطر لم يحصل على رزقه، نعم لا بد من توفر الحرية التي أمر بها الإسلام للإنسان حتى ينشط في العمل ويخطو خطوات واسعة في مجال التقدم والتفوق كالطير الحر، وإلا كان نصف البشر أو أكثره فقيراً، وإن عمل وكد وجد واجتهد، كما نراه في عالم اليوم حيث السيطرة لغير الإسلام (٣).

والمراد بالخماص إما المعنى الحقيقي كما سبق، أو المجازي أي الذين لاهلقة لهم بالدنيا، ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، ومن المعلوم أن مثل هؤلاء الأشخاص المهذبين الذين لا يعيرون الدنيا اهتماماً هم الذين يتمكنون من صرف كل أوقاتهم في سبيل الله، وبالفعل كانوا كذلك حتى تمكنوا من تقدم الإسلام إلى الأمام.

قال تعالى في الحديث القدسي: «إني وضعت العلم والحكمة في الجوع» (٤).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نور الحكمة والمعرفة الجوع، والتباعد من الله الشبع» (٥).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها، هي زينة الأبرار عند الله تعالى: الزهد في الدنيا» (٦).

وقال (عليه السلام): «غاية الزهد الورع» (٧).

١- وفي بعض النسخ: (في نفر من البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

٢- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٢٢٢. بيان فضيلة التوكل.

٣- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف.

٤- مشكاة الأنوار: ص ٣٢٨ ب ٩.

٥- روضة الواعظين: ص ٥٧.

٦- كشف الغمة: ج ١ ص ١٧٠.

٧- كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٦.

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقربوا منه، فإنه يلقي الحكمة» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر إن أهل الورع والزهد في الدنيا هم أولياء الله تعالى حقاً» (٢).

وكنتم على شفا حفرة من النار

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقوى والزهد في عالم الفناء والتوله بجنة المأوى» (٣).

وقال (عليه السلام): «الزهد سجية المخلصين» (٤).

وكنتم على شفا حفرة من النار

تذكر النعم السابقة

مسألة: حيث إن مما يحمل الإنسان على معرفة قدر النعم الإلهية وبيعته على شكرها القولى والعملى: تذكر الأخطار والأهوال والظروف التعيسة التي كان يعيش هو فيها، أو التي كان يمكن أن يعيش فيها لولا اللطف الإلهي وجهاد الرسول الأعظم وآله الأطهار (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام).. لذلك فإن من المستحب أن يتذكر الإنسان ماضيه وماضي أسرته وأمتة - التحقيقي أو التقديري (٥) - قال تعالى: ((ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى)) (٦).

ومن المستحب تذكير الناس بذلك أيضاً، وكلامها (عليها الصلاة والسلام) ينطلق من هذا المنطلق وغيره.

قال تعالى: ((قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) (٧).

وقال سبحانه: ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين)) (٨).

وقال تعالى: ((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين)) (٩).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، بنا انتلفوا بعد أن

١- روضة الواعظين: ص ٣٧٤ مجلس في الزهد والتقوى.

٢- مكارم الأخلاق: ص ٦٨٤ الفصل ٥.

٣- غرر الحكم: ص ٨٤ الفصل الثالث في العالم.

٤- غرر الحكم: ص ٢٧٥ ح ٦٠٣٢.

٥- أي الذي لولا اللطف الإلهي لتحقيق وتنجز.

٦- سورة الضحى: ٦ - ٧.

٧- سورة الأنعام: ١١.

٨- سورة النمل: ١٩.

٩- سورة الروم: ٤٢.

كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم، وبنا أنقذهم الله من الشرك والمعاصي، وبنا جعلهم الله إخوانا، وبنا هداهم الله فهي النعمة التي لا تنقطع، والله سألهم عن حق النعمة التي أنعم عليهم، وهو النبي وعترته» (١).

ومن فوائد دراسة الماضي معرفة المستقبل إجمالاً حيث قال (صلى الله عليه وآله): «كلما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمة، مثله حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» (٢).

وانما قالت (عليها السلام): (على شفا حفرة من النار) اقتباساً من الآية الكريمة (٣)، والتعبير بـ (كنتم على شفا حفرة) نظراً لأنهم كانوا أحياء، ولم يسقطوا بعد في نار جهنم. وإن كانت النار - بالمعنى الآخر - محيطة بهم كما قال سبحانه: ((وان جهنم لمحيطة بالكافرين)) (٤) فقد ذكرنا في كتاب (الآداب والسنن) (٥) وغيره: أن الدنيا التي نعيش فيها لها وجوه: وجه ظاهر وهو الملموس بالحواس الخمس، ووجهان واقعيان، هما الجنة والنار، كما يظهر من الآيات والروايات، فقد قال سبحانه: ((يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)) (٦).

وقال جل وعلا: ((وان جهنم لمحيطة بالكافرين)) (٧).

وقال تعالى: ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً)) (٨).

وقال (صلى الله عليه وآله): (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة) (٩) وما أشبه ذلك مما هو كثير في الروايات (١٠).

وجوب الإنقاذ

مسألة: يجب - عقلاً وشرعاً - إنقاذ من يكون على شفير حفرة من النار.

إذ كما يتحمل الإنسان مسؤولية نفسه كذلك يتحمل مسؤولية أسرته، قال تعالى: ((قوا أنفسكم وأهليكم ناراً)) (١١) ويتحمل مسؤولية مجتمعه أيضاً، فليست مسؤولية الهداية والإرشاد خاصة برجال الدين فحسب، إذ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (١٢) وإن كانت مسؤولية رجال الدين أكد، قال تعالى: ((فلولا نفر من

١- دعوات الراوندي: ص ١٥٨ ح ٤٣٤.

٢- كمال الدين: ص ٥٧٦.

٣- قوله تعالى: ((وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها)) سورة آل عمران: ١٠٣.

٤- سورة التوبة: ٤٩.

٥- موسوعة الفقه: ج ٩ - ٩٧ كتاب الآداب والسنن.

٦- سورة الروم: ٧.

٧- سورة العنكبوت: ٥٤.

٨- سورة النساء: ١٠.

٩- معاني الأخبار: ص ٢٦٧.

١٠- هذا مع إمكان حملها على عالم الآخرة مجازاً بالأول أو المشاركة.

١١- سورة التحريم: ٦.

١٢- غوالي اللئالي: ج ١ ص ١٢٩، وإرشاد القلوب: ص ١٨٤.

كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)) (١) والعلماء هم الذين يربطون على الثغر الذي يلي إبليس.

وهذا من غير فرق بين نار الدنيا أو نار الآخرة، وإن كان وجوب الثاني أكد وأشد، فإن نار الدنيا زائلة ونار الآخرة باقية دائمة، إلا من خرج منها بلطفه سبحانه، ومع ذلك فإن نار الدنيا أهون مراتب ومراتب من تلك النار الآخرة ولو كانت مؤقتة، وفي دعاء كميل: (.. فكيف احتمالي لبلاء الآخرة (عليه السلام)) (٢).

قولها عليها السلام: (شفا) أي شفير (حفرة) لأن النار في حفرة جهنم، بخلاف الجنة حيث هي درجات، بينما النار دركات، (من النار) نار الآخرة لكفرهم وفسادهم عقيدة وأخلاقاً وشرعية، فإذا مات أحدهم سقط في جهنم. ومن المعلوم أن نار الآخرة إنما هي لمن بلغه الحق فأعرض عنه، أما الجاهل القاصر فإنه يمتحن في الآخرة، كما ورد في الحديث.

والتعبير بـ (كنتم على شفا) نظراً لأن حياة الإنسان مهما طاللت فهي قصيرة تمضي كلمح بالبصر خاصة إذا ما قيس بالحياة الآخرة، وإذا ما قيست بماضي الدنيا أيضاً، قال تعالى: ((اقتربت الساعة)) (٣).

وربما يعترض بأنهم قبل إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا ممن بلغتهم الحجة، فكيف يعاقبون؟ والجواب:

أولاً: (لله حجتان، باطنة وظاهرة) كما في الحديث الشريف (٤)، وهؤلاء كانوا قد خالفوا صريح حكم العقل والفطرة في سفك الدماء وانتهاك الأعراض وسحق الحقوق فتأمل.

وثانياً: لم تكن الجزيرة خالية من أوصياء الأنبياء وتعاليم الأنبياء قبل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد كان فيهم أمثال عبد المطلب وأبي طالب (عليهما السلام).

مدقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام

حرمة إذلال المؤمن نفسه

مسألة: يحرم إذلال المؤمن نفسه - في بعض مراتبه (٥) - ولو بالتسبيح أو بترك تمهيد المقدمات التي توجب إخراجها من الذلة.

فإن الله لم يفوض له إذلال نفسه، قال (عليه السلام): «إن الله فوض إلى المؤمن أمره كله ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً أما تسمع قول الله عز وجل: ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) (٦) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا

١- سورة التوبة: ١٢٢.

٢- راجع مصباح الكفعمي: ص ٥٥٥، دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة النصف من شعبان.

٣- سورة القمر: ١.

٤- راجع الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٧٧.

٥- أي بعض مراتب الإذلال.

٦- سورة (المنافقون): ٨.

يكون ذليلاً، ثم قال: أن المؤمن أعز من الجبل، ان الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء» (١).

وقال (عليه السلام): «المؤمن لا يكون ذليلاً ولا يكون ضعيفاً» (٢).

وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «من استنجد ذليلاً ذل» (٣).

وكذلك الأمر في التجمعات: كالهينات والنقابات والتنظيمات والأحزاب والأمم، فإن المحرم ان تذلل أنفسها بالتمسح على أعتاب الشرق والغرب، أو بالنزاعات والمهاترات، أو حتى بترك ما ينبغي لمثلها أن تكون عليه - في الجملة - أي

بكل ما يسبب ان تكون الأمة مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، أي أن تكون ضعيفة كماً أو كيفاً وفي جميع مجالات الحياة.

قال سبحانه: ((وكان من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)) (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): (ان الله يحب الرجل الشجاع ولو بقتل حية).

وفي الروايات: ان الشجاعة من خصال الأنبياء (٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الشجاعة عز حاضر» (٦).

وقال (عليه السلام): «الشجاعة أحد العزّين» (٧).

وقال (عليه السلام): «الشجاع والشجاعة غرائز شريفة يصنعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه» (٨).

بل يجب على المؤمن والتجمعات الإيمانية والأمة الإسلامية أن تمهد من الأسباب ما يوجب عزتها ومزيداً من كرامتها ورفعته إجمالاً، فإن ((الله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) (٩) وقد قال سيد الشهداء (عليه السلام): (ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيها منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام..) (١٠).

١- مشكاة الأنوار: ص ٥٠.

٢- مشكاة الأنوار: ص ٢٦٠.

٣- غرر الحكم: ص ٤٦٥ ح ١٠٧٠٦.

٤- سورة آل عمران: ١٤٦.

٥- راجع عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٧٧ ح ١٥.

٦- غرر الحكم: ص ٢٥٩ ح ٥٥٢٥.

٧- غرر الحكم: ص ٢٥٩ ح ٥٥٢٩.

٨- غرر الحكم: ص ٣٧٥ ح ٨٤٤٣.

٩- سورة المنافقون: ٨.

١٠- اللهوف: ص ٩٧ - ٩٨، ويشير (عليه السلام) إلى ان الذلة هي بعيدة عنه اشد البعد، إذ أن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يأبيان ذلك وكذلك المؤمنون، ثم ان مقتضى التربية الصالحة (وحجور طابت) أيضا هو

وقال (عليه السلام): (من استوى يوماه فهو مغبون) (١).

وقال (عليه السلام): (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً) (٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن ترك التجارة منصرفاً إلى العبادة: (اغد إلى عرك).

وغير ذلك من الآيات والروايات التي يستفاد منها رجحان أو وجوب العزة - في بعض مراتبها أو بالقياس إلى بعض الجهات أو في عدد من الحالات - مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، أو بدلالة الاقتضاء.

قولها عليها السلام: (مذقة) من المذاق، أي كنتم أذلاء حتى أنكم كنتم كالذي يمدقه ممن يشرب الماء حيث المذقة لا قيمة لها (٣).

(نهضة) أي محل الانتهاز، فالذي يطمع فيكم يتمكن من أن ينتهز الفرصة ليأخذكم ويسلبكم ويستولي على نساكنكم، فقد كانوا كذلك، أموالهم منهوبة ونساؤهم مخطوفات، فلا دين ولا دنيا ولا قانون ولا شرف يمنعهم عن السرقة والضرب والجرح والقتل وانتهاك سائر المحرمات كزنا بعضهم بنساء بعض.

(قبسة العجلان): فكما أن الإنسان - إذا كان على عجل في طريقه - يقتبس شيئاً من النار المشتعلة ويذهب لحاجته دون أن يمنعه أحد من الاقتباس، لعدم قيمة النار المقتبسة، كذلك كنتم انتم لا قيمة لكم ولا اعتبار، فكان بعضهم يستعبد بعضاً بالقوة بلا رادع ولا مانع.

(موطئ): إن الأقدام تطأ الأشياء الخسيسة التي لا قيمة ولا أهمية لها، كذلك كنتم في الجاهلية فاقدين لكل شخصية واعتبار، فالقوي يطارد الضعيف والغني يستخف بالفقير، وكل إنسان يسحق من دونه.

ولقد جاءت هاتان الجملتان: (وكنتم على شفا..) و (مذقة الشارب..) بحيث ترسم الصورة المتكاملة لحالتهم في الدنيا والآخرة، فـ (كنتم على شفا حفرة من النار) تكشف عن مصيرهم في ذلك العالم، و (مذقة الشارب..) تدل على حالتهم المعيشية في هذه الدار، فكانوا مصداق من خسر الدنيا مع الآخرة، ومن لامعاش له لا معاد له.

العزة في كل شؤون الحياة

مسألة: ما ذكر في المسألة السابقة من الحكم شامل للعزة والذلة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً وغير ذلك من شؤون الحياة، فينبغي بل قد يجب أن يكون المؤمنون في كلها ذوي العزة، بل إن يكونوا هم الأعز، قال تعالى: ((ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)) (٤).

فالوهن والضعف منهى عنه، ولزوم كونهم (الأعلون) هو مقتضى تعليقه على الشرط (٥) مشفوعاً بقرينة السياق، وبما سيق الكلام لأجله، إضافة إلى إطلاق ما سبق من الآيات والروايات.

رفض ذلك، إضافة إلى أن النفس بفطرتها الصافية ترفض ذلك أيضاً (ونفوس أبيية).

١- معاني الأخبار: ص ٣٤٢.

٢- بشارة المصطفى: ص ٢٢٢، مستطرفات السرائر: ص ٦٥٠.

٣- فلا تروي غليلاً ولا تطفئ عطشاً.

٤- سورة آل عمران: ١٣٩.

٥- الشرط هو (أن كنتم مؤمنين) في الآية المباركة.

وقال (صلى الله عليه وآله): (الإسلام يعطو ولا يعلى عليه)(١).

إضافة إلى لحاظ جانب الطريقية والمقدمية في مراتب العزة، إذ كلما كان المؤمنون اعز كانوا اقدر على إرشاد الناس واجتذابهم للدين المبين، وكلما كانوا اعز كانت مكانتهم في نفوس سائر الملل والنحل أقوى، إذ الغالب في الناس الانشداد نفسياً والتأثر فكرياً والاقتداء عملياً بذوي العزة والجاه والمنزلة علمياً أو اقتصادياً أو غير ذلك، وقد يكون ذلك كله من مصاديق (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم)(٢) وهذا من أسرار تأثير كثير من المسلمين بالحضارة الغربية.

الإرشاد لمواطن الضعف

مسألة: يستحب وقد يجب إرشاد الأمة لمواطن الضعف في حياتها ومسيرتها الماضية والحالية، كما يلزم - بالمعنى الأعم - تحذيرها مما قد يعتريها في مستقبل الأيام، للتلازم بين الأمرين، كما المع إليه في بعض البنود السابقة(٣).

وفي الحديث قال (عليه السلام): «أحب أخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»(٤).

حرمة الاستسلام للاستعمار

مسألة: يحرم ان تستسلم الأمة لاستعمار الآخرين، وان ترزخ تحت نير المستعمرين، من غير فرق بين أنحاء الاستعمار، كالاستعمار العسكري والاقتصادي والثقافي وغيرها، ولا فرق في الآخرين بين ان يكونوا من أهل الكتاب أو غير أهل الكتاب، بل ان الله تعالى يحرم مطلق الاستعمار حتى من كافر لكافر وربما أوجب القتال لأجل استنقاذه.

قال سبحانه: ((وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين)) (٥).

وقال تعالى: ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)) (٦).

والاستعمار خلاف مقتضى كرامة الإنسان بما هو إنسان.

١- غوالي اللثالي: ج ١ ص ٢٢٦، نهج الحق: ص ٥١٥.

٢- مشكاة الأنوار: ص ٤٦ عن أبي عبد الله (عليه السلام).

٣- راجع للإمام المؤلف دام ظله: (المتخلفون ملياراً مسلم) و (إلى نهضة ثقافية إسلامية) و (نحو يقظة إسلامية) و (إلى حكم الإسلام) و (لماذا تأخر المسلمون) و (السبيل إلى إنهاء المسلمين) و (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و...

٤- الاختصاص: ٢٤٠.

٥- سورة النساء: ٧٥.

٦- سورة الإسراء: ٧٠.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» (١). ولا يخفى ما في شفع (مذقة الشارب ونهزة الطامع..) في كلامها (عليها السلام) بـ (وكنتم على شفا حفرة من النار) من الدلالة على شدة مبغوضية أن تكون الأمة مستعمرة للآخرين، مغلوبة على أمرها، فاقدة لاستقلاليتها، فقد قرنت (صلوات الله عليها) ذكر حالتهم الأخروية بهذه الحالة الدنيوية في تصويرها لأسوأ ما منوا به.

وكان تعبيرها (عليها السلام) بما سيأتي من (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) دليلاً ساطعاً على أن من أعظم ما حققه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ومن أكبر المنن عليهم: إنقاذهم من الاستعمار كما أنقذهم من حر النار.

تشربون الطرق

كراهة شرب الطرق

مسألة: يكره شرب الطرق، فإن شرب الماء المطروق يضر الإنسان صحياً، والإسلام يأمر بالتزام المناهج الصحية للجسم، وقد قال (عليه الصلاة والسلام): (إن لبدنك عليك حقاً) (٢). بالإضافة إلى أن شرب الماء الذي تطرقه الحيوانات يتنافى مع الحديث النبوي (صلى الله عليه وآله): (النظافة من الإيمان) (٣) فاللزم على المسلمين أن تكون مياه شربهم نظيفة وأن ينتهجوا النظافة في جميع مجالات الحياة (٤)، وهناك آداب كثيرة في شرب الماء ذكرناها في الفقه (٥). ولم نقل بحرمة شرب الطرق نظراً لأن الأصل الحل والاباحة، نعم يحرم شربه إذا تغير طعمه أو لونه أو ريحه بالنجاسة، أو فيما إذا أصبح مضراً ضرراً بالغاً، وكذا الحال في المياه الأسنة وشبهها. قولها (عليها السلام): (الطرق) أي الماء القليل الذي ترده وتطرقه الكلاب والحيوانات، وحيث كانوا في بلاد جافة في الجزيرة كان شربهم من هذه المياه المخلوطة بالأبوال والأرواث. والملاحظ أنها (صلوات الله عليها) بدأت بذكر مآلهم وسوء عاقبتهم، ثم ثنت بوصف حالتهم السياسية والاجتماعية المأساوية، وثلت بذكر حالتهم الاقتصادية المزرية، ثم عادت لتشير إلى حالتهم النفسية والاجتماعية أيضاً (أذلة.. من حولكم).. وكانت إشارتها (عليها السلام) إلى كل تلك الجوانب أبداع إشارة، حيث اعتصرت كل تلك الجوانب في كلمات قليلة جسدت فيها الواقع في أدب تصويري رائع.

١- تحف العقول: ص ٧٦ كتابه إلى الحسن (عليه السلام).

٢- انظر رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

٣- طب النبي (صلى الله عليه وآله): ص ٢١.

٤- راجع موسوعة الفقه: كتاب النظافة.

٥- راجع موسوعة الفقه: ج ٧٦ و ٧٧ كتاب الأطعمة والأشربة.

وتقتادون القد (١)

كراهة أكل القد والورق

مسألة: يكره أكل القد والورق - كما في بعض النسخ - فإن أكل أوراق الأشجار والقد كثيراً ما يوجب أمراضاً، كما ذكر في علم الطب.

ولا يبعد أن يستفاد من قوله تعالى: ((ويحل لهم الطيبات)) (٢) أن الأطيب هو الأفضل، ومن قوله سبحانه: ((ويحرم عليهم الخبائث)) (٣) أنه كلما كان أخبث كان اسوأ، للملاك، ولأن للأحكام درجات في جانبي السلب والإيجاب.

قولها (عليها السلام): (القد) القديد وهو اللحم والجلد الذي يجفف في الشمس، وعادة تكثر فيه الديدان والتعفن، وقد كان اللحم الذي يأكلونه هو هذا، وكثيراً ما كانوا لا يجدون حتى هذا فيأكلون أوراق الأشجار، وكل ذلك لعدم اهتداء الجاهليين للمناهج الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. التي أمر بها الإسلام والتي تصلحهم في دينهم ودنياهم، فكان كل شيء منهم في غاية التخلف والتأخر والانحطاط.

ومن الثابت أن نوعية الطعام تؤثر على الإنسان وتفكيره وعلى عواطفه ومشاعره وعلى حالته النفسية والروحية والمعنوية، وحتى على أولاده أيضاً - عند

انعقاد النطفة وفترة الحمل والرضاع - ولذلك وردت أحاديث كثيرة في الأطعمة والأشربة مما ذكر الفقهاء تفصيلها في كتاب (الأطعمة والأشربة) (٤) وفي كتب طب المعصومين (عليهم السلام) وغيرها.

ولقد كان من علل قساوة الجاهليين وغلظتهم وتحجر عواطفهم هو ذلك المأكول والمشرب السيئ الرديء.

أذلة خاسنين

الأذلة النفسية والسياسية

مسألة (٥): يجب السعي لنجدة الذليل فرداً كان أم أمة، واستخراجه من ذلته في الجملة، بكلا معنيي الذلة، إذ:

الذلة تارة تكون حالة نفسية يعيشها الإنسان في ذاته وداخله، كمن يشعر بعقدة الحقارة، وهي قد تصيب

١- وفي بعض النسخ: (وتقتادون الورق).

٢- سورة الأعراف: ١٥٧.

٣- سورة الأعراف: ١٥٧.

٤- راجع موسوعة الفقه: ج ٧٦-٧٧.

٥- المسألة السابقة (حرمة إذلال المؤمن نفسه) تختلف عن هذه من جهة أن تلك كانت بياناً لحكم المرء نفسه بالنسبة لنفسه، وهذا بيان حكمه بالنسبة لغيره.

الأمم فيبهرها كل ما تأتي به سائر الحضارات.

وقد تكون معادلة اجتماعية سياسية، حيث قد تتغلب أمة على أمة، أو دولة على دولة، أو فرد على فرد، حيث يعيش المغلوب ذلة عملية باعتبار كونه محكوماً مكبلاً وإن كان هو الأفضل والأكفأ والأعلم.

والى هذا القسم الثاني يشير الشاعر حيث يقول عن لسان الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام):

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني***من الزنج عبد غاب عنه نصير

أو ما ورد من (وبعد العز مذلات) (١).

أو قوله تعالى: ((ولقد نصركم الله ببدر وانتم أنلة)) (٢).

فاللزم أن يسعى الإنسان ليكون عزيزاً وليحقق العزة بسائر أبناء ملة الإسلام أيضاً، فإن كانت ذلته داخلية فعليه أن يعالج أسبابها ويزيل مقتضياتها، إذ قد تكون لجهل أو فقر أو تلقين أو ما أشبه.

وإن كانت خارجية - أي مظلومية - وجب أيضاً أن يتحداها ويواجهها بالفكر والمنطق، أو بالإعلام والدعاية كما قامت به السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس ابن زياد (٣) ويزيد (٤) وغيرهما..

وهكذا الإمام السجاد (عليه السلام) في مجلس يزيد (٥) وغيره، وكبكانه (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة (٦) على مقتل أبيه الحسين (صلوات الله عليه).

وكما قامت به فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها (صلى الله عليه وآله) (٧).

وكما قام به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من قبل لمدة طويلة في مكة المكرمة حيث لم يكن قد أذن له بالجهد بعد.

أو بالمواجهة العسكرية، كحروب النبي (صلى الله عليه وآله) (١).

١- الدعاء والزيارة، زيارة الناحية المقدسة.

٢- سورة آل عمران: ١٢٣.

٣- راجع الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٦٥ المجلس ٣١ ح ٣، والإرشاد: ج ٢ ص ١١٥، وكشف الغمة ج ٢ ص ٦٣، وإعلام الوري ص ٢٥٢، ومثير الأحزان ص ٩٠.

٤- الاحتجاج: ص ٣٠٧ - ٣١٠، احتجاج زينب بنت علي (عليها السلام) حين رأت يزيد يضرب ثانياً الحسين (عليه السلام) بالمخصرة، ومثير الأحزان: ص ١٠٠ - ١٠١، واللهموف: ص ١٨١.

٥- الاحتجاج: ص ٣١٠ - ٣١١، احتجاج علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) على يزيد بن معاوية لما أدخل عليه.

٦- الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٤٠ المجلس ٢٩ ح ٥، الخصال: ص ٢٧٢ البكاءون خمسة ح ١٥.

٧- المناقب: ج ٣ ص ٣٦٢، فصل في وفاتها وزيارتها، وفيه: «روي أنها مازالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغطي عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة..».

وفي روضة الواعظين: ص ١٥٠، مجلس في ذكر وفاة فاطمة (عليها السلام): «وروي أن فاطمة لازالت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) معصبة الرأس ناحلة الجسم، منهدة الركن من المصيبة بموت النبي (صلى الله عليه وآله) وهي مهمومة مغمومة محزونة مكروبة كنيبة حزينة باكية العين محترقة القلب ...».

أو بالنهضة والتضحية بالغالي والنفيس كثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، ف (الحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين)(٢).

أو بأسلوب المقاومة السلبية، كما قام به الإمام الحسن (عليه السلام) وعدد آخر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، حيث كانت هي الطريقة الوحيدة لفضح معاوية وأشباهه وكشف القناع عن زيفه ودجله وخداعه. ويستفاد ذلك الحكم من كلامها (عليها السلام) من اعتبارها (أذلة) من أسوأ ما مني به الجاهليون قبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واقتترانه بما سبق ولحق، والامتنان عليهم اكبر الامتنان بانقاذه تعالى إياهم من تلك الحالات بأبيها محمد (صلى الله عليه وآله)، وبحكم العقل ودليل التلازم والأسوة يثبت ما سبق. فتحصل مما سبق مسائل: انه يحرم الإذلال - حدوثاً - للفرد والتجمعات والأمة، داخلية كانت أم خارجية، ويجب الخروج منها بالنسبة إلى الدليل نفسه، كما انه يجب على الآخرين الحيلولة دون ذلة إنسان (دفعاً) وإذا وقع في الذلة

وجب عليهم إخراجها منها (رفعاً) فهي محرمة حدوثاً وبقاءً، بالنسبة للنفس أو الغير. قولها (عليها السلام): (أذلة) أذلاء جمع ذليل (خاسنين) مطرودين، وقد جاء في التاريخ ان أهل الجزيرة كانوا يستغيثون بكسرى وقيصر كي يشملهم بحكمه وينقذ بعضهم من يد بعض، فما كانا يستجيبان لهم لذلتهم وحقارتهم.

انتهاج منهج الجاهليين

مسألة: يحرم في الجملة انتهاج منهج الجاهليين في عاداتهم وطقوسهم، فإن الجاهلية تشمل العقائد والآداب والأخلاق والسلوك والأمور المرتبطة بالجسم، لأن كل انحطاط جاهلي، وكل ارتفاع علمي، فإن العلم يوجب ارتفاع الإنسان في مختلف أبعاد الحياة ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) (٣).

وقد أشير إلى ذلك في جملة من آيات القرآن الحكيم والروايات:

مثل قوله سبحانه: ((إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)) (٤).

وقوله تعالى: ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)) (٥).

وقال سبحانه: ((افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً)) (٦) إلى غير ذلك.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك» (٧).

١- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١-٢) للإمام المؤلف دام ظله.

٢- انظر المناقب: ج ٣ ص ١٦٧، فصل في حرب صفين، وشرح النهج: ج ٣ ص ٢٤٤ الفصل الخامس.

٣- سورة المجادلة: ١١.

٤- سورة الفتح: ٢٦.

٥- سورة الأحزاب: ٣٣.

٦- سورة المائدة: ٥٠.

٧- الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٧٣ المجلس ٣٢ ح ٧، وغلل الشرائع: ص ٤٧٣ باب النوادر ح ٣٥.

وقال (صلى الله عليه وآله): «وأمت أمر الجاهلية إلا ما سنه الإسلام» (١).
وفي الدعاء الوارد في غيبة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه): «اللهم لا تمنني ميتة جاهلية» (٢).
وفي علل الشرائع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية» (٣).
ومن مصاديق ذلك الحكم الكلي (٤) إحياء آثار وذكرى الفراغنة والقياصرة والجابرة، عبر وضع النصب والتمثيل لهم أو حفر صورهم وأسمائهم في الجدران وغير ذلك. وكذلك اتباعهم في اعتقادهم بالخرافات والسحرة والكهنة والتنجيم، وكذلك في المأكل والمركب والملبس وشبه ذلك مما يعد عرفاً اتباعاً لهم وأحياناً لذكراهم.
ولا فرق في ذلك بين جاهلية القرون السابقة، أو جاهلية القرن العشرين، حيث حكمت الجاهلية باسم الحضارة والتمدن في شتى مناحي الحياة (٥).
فما دام المسلمون بعيدين عن مناهج الله، متمسكين بعبادات وتقاليد الجاهلية الأولى أو الجاهلية المعاصرة، فإنهم سيقون - والعياذ بالله - (أدلة خاسنين).
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في هذه الآية: ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)) (٦) قال أي سيكون جاهلية أخرى» (٧).

تخافون

ضمانات للمستقبل

مسألة: يجب توفير الضمانات التي تؤمن مستقبل الأفراد والأمة وتضمن لهم عدم تعرضهم لأي خطر يداهمهم على حين غرة، فإن مقدمة الواجب واجبة عقلاً، و (المؤمن كيس فطن حذر) (٨) وقد ورد في وصف

- ١- تحف العقول: ص ٢٥.
- ٢- كمال الدين: ص ٥١٢.
- ٣- علل الشرائع: ص ١٥٧.
- ٤- أي انتهاج منهج الجاهليين.
- ٥- فذوات الأعلام في ذلك الزمن اصبحن يحملن (الكارتات) وأرقاماً رسمية في هذا الزمن! والسفور والمسابح المختلطة أصبحت دليل التحرر والتنور، والذيلية للشرق والغرب أصبحت دليل الحكمة والتعقل وعلامة الرشد والرقي ووسيلة الخلاص من الأخطار الداخلية والخارجية تماماً كما كان الجاهليون يلتجئون ويتمنون حماية الروم والفرس لهم أمناً من شرورهم أنفسهم.
- ٦- سورة الأحزاب: ٣٣.
- ٧- تفسير القمي: ج ٢ ص ١٩٣ سورة الأحزاب.
- ٨- دعوات الراوندي: ص ٣٩، جامع الأخبار: ص ٨٥، مجموعة ورام: ج ٢ ص ٢٩٧.

أمير المؤمنين (عليه السلام): (كان والله بعيد المدى)(١).

أما الخوف فهو بالقياس إلى ما يضاف إليه قد يكون قبيحاً أو محرماً، وقد يكون حسناً أو واجباً: فالخوف الناجم عن تقصير في المقدمات والمصحوب بتخاذل عن محاولة العلاج واتباع الطرق والحلول التي بينها الله تعالى في القرآن الحكيم وعلى لسان المعصومين (عليهم السلام) رذيلة، كما في الخوف الذي أشارت إليه (صلوات الله عليها) بالنسبة للجاهليين، وكما في التخوف الذي يعيشه الكثير من المسلمين - حكماً أو أفراداً - من أن تتخطفهم الدول الاستعمارية أو الجائرة من حولهم تخطفاً عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ما أشبه فلا يعملون بوظائفهم.

أما المؤمنون العاملون الملتزمون بالأوامر الإلهية السانرون على منهج رسل الله في الجهاد والتضحية، فقد قال تعالى في حقهم:

((ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) (٢).

وقال سبحانه: ((بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)) (٣).

والحزن عادة يطلق بالنسبة إلى الحال، والخوف بالنسبة إلى الاستقبال، وذلك لأن أولياء الله سبحانه وتعالى لا يرتبط بهم بالله لا يخافون غيره ولا يحزنون لفوت شيء من الدنيا ونحوها، ولذا فالخوف والحزن الحقيقيان منتفیان عنهم وإن كانوا خائفين بمعنى آخر كما قال سبحانه: ((يدعوننا رغباً ورهباً)) (٤) وهم محزونون لأنهم لا يعرفون هل إن الله سيعاملهم بعدله أم بفضله، وفي الدعاء: (اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك).

فالخوف من الله هو الفضيلة كما قال (عليه السلام): (خف الله كأنك تراه فإن كنت لاتراه فإنه يراك) (٥) وهكذا الخوف من مغبة الأعمال الطالحة، والخوف من نتائج التقصير والقصور السابق المشفوع بالعمل لرأب ما انصدع وجبر ما انكسر، هو المطلوب، وفي الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): «يا بن مسعود خف الله في السر والعلانية فإن الله تعالى يقول: ((ولمن خاف مقام ربه جنتان)) (٦)» (٧).

أما الخوف من قوى الشيطان بتصور سلطانها على قوى الرحمن أو بتصور صدق إلقاءاتها عن مغبة اتباع أوامر الرسل هو الآخر مرفوض ومحرم، قال عز وجل: ((إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)) (٨).

وفي الدعاء: «اللهم واستغفرك لكل ذنب حملني على الخوف من غيرك أو دعاني إلى التواضع لأحد من

١- العدد القوية: ص ٢٤٩، وكشف الغمة: ج ١ ص ٧٧، وعدة الداعي: ص ٢٠٨.

٢- سورة يونس: ٦٢.

٣- سورة البقرة: ١١٢.

٤- سورة الأنبياء: ٩٠.

٥- ثواب الأعمال: ص ١٤٧، ثواب زيارة الأخوان ومصافحتهم ومعانقتهم ومسانلتهم.

٦- سورة الرحمن: ٤٦.

٧- مكارم الأخلاق: ص ٤٥٥ الفصل ٤.

٨- سورة آل عمران: ص ١٧٥.

خلقتك أو استمألني إليه الطمع فيما عنده (عليه السلام)» (١).

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «يا بن آدم انك لا تزال بخير ما كان لك واعظاً من نفسك وما كان الخوف شعارك والحزن دثارك، ابن آدم انك ميت ومحاسب فاعد الجواب» (٢).

وقال سيد العابدين (عليه السلام): «ليس الخوف من بكى وجرت دموعه مالم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله وإنما ذلك خوف كاذب» (٣).

وقال (عليه السلام): «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصيح إلا خائفاً ولا يمسي إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف» (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عند الخوف يحسن العمل» (٥).

وقال (عليه السلام): «غاية العلم الخوف من الله سبحانه» (٦).

وقال (عليه السلام): «خير الأعمال اعتدال الخوف والرجاء» (٧).

وقال (عليه السلام): «الخوف سجن النفس عن الذنوب وراذعه عن المعاصي» (٨).

وقال (عليه السلام): «الخوف أمان» (٩).

هذا كله في الخوف الممدوح.

وقد ورد في الخوف المذموم: «لا ينبغي للعاقل أن يقيم على الخوف إذا وجد إلى الأمن سبيلاً» (١٠).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ثلاثة تنقص النفس: الفقر والخوف والخزن، وثلاثة تحييها: كلام العلماء ولقاء الأصدقاء وممر الأيام بقلّة البلاء» (١١).

قولها عليها السلام: (تخافون) إشارة إلى الآية الكريمة: ((واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)) (١٢) فإنهم كانوا في خوف دائم من أن يغير عليهم مغير فيستولي عليهم ويسلبهم عبيداً واماءً، كما كانت عادة

-
- ١- البلد الأمين: ص ٤٥.
 - ٢- إرشاد القلوب: ص ١٠٥ ب ٢٨.
 - ٣- عدة الداعي: ص ١٧٦.
 - ٤- تحف العقول: ص ٣٧٧.
 - ٥- كنز الفوائد: ج ١ ص ٢٧٨.
 - ٦- غرر الحكم: ص ٦٣ ح ٧٨٩.
 - ٧- غرر الحكم: ص ١٥٦ ح ٢٩٣٨.
 - ٨- غرر الحكم: ص ١٩٠ ح ٣٦٨٢.
 - ٩- غرر الحكم: ص ١٩١ ح ٣٦٩٥.
 - ١٠- غرر الحكم: ص ٢٦٣ ح ٥٦٦٤.
 - ١١- جامع الأخبار: ص ١٨٤ الفصل ٤١.
 - ١٢- سورة الأنفال: ٢٦.

أن يتخطفكم الناس من حولكم

الجاهليين فإن حال الأمم المستضعفة هكذا حتى في هذا العصر، مع اختلاف من حيث الزيادة والنقصان، والمد والجزر، والنوعية والكيفية (١).
أن يتخطفكم الناس من حولكم

حرمة الاختطاف والعنف

مسألة: يحرم الاختطاف وأخذ الرهائن كما كان متعارفاً في ذلك الزمن، وكما هو متعارف في زماننا هذا، وهكذا يحرم جميع مصاديق العنف والإرهاب، مما يوجب إيذاء الناس أو تشويه سمعة الإسلام والمسلمين، سواء من الحكومة للقوى المعارضة ولو تحت عنوان الاعتقال، أو من المعارضة لأركان السلطة، فإن كل شيء يسلب الناس حريتهم الممنوحة من الله سبحانه وتعالى لهم محرم، وكل مصادرة لحق من حقوق الناس محرمة. نعم في كل مورد حكمت الشريعة الإسلامية فيه بالسجن - وهي قليلة جداً بالنسبة إلى موارد السجن في عالم اليوم كما ذكرنا تفصيله في الفقه (٢) - جاز ذلك مع رعاية جميع حقوق السجين (٣)، وهو بالدليل الخاص، لأنه على خلاف

قاعدة (الناس مسطون على أموالهم وأنفسهم) (٤) كما أن كل مورد عين الشرع فيه حصّة من المال لبيت المال (الخمس والزكاة) أيضاً يكون تخصيصاً لهذه الكلية التي جزء منها حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٥)، وجزء منها مستفاد من قوله تعالى: ((النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم)) (٦) فإن كونه أولى دليل على ثبوت الولاية للإنسان على نفسه، وإن النبى (صلى الله عليه وآله) أولى منه إذا تعارضت الولايتان، أو مطلقاً كما لا يخفى.

وشيع حالة الاختطاف في المجتمع دليل على جاهلية ذلك المجتمع، أو على وجود قوانين كابته وظلمات وحقوق مصادرة تسبب تفجر فئات من الناس ضد الوضع بهذه الطريقة السلبية. وهذا ما نشاهده واضحاً اثر سيطرة الحضارة الغربية التي أرست دعائمها على استعمار الشعوب الأخرى عسكرياً أو اقتصادياً وحتى فكرياً وثقافياً، كما هو منهج الاستعمار في الفترة الأخيرة عبر الأقطار الصناعية

- ١- إذ الأسر قد يكون جسماً وقد يكون فكراً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ما أشبه كما سيوضحه دام ظله.
- ٢- راجع موسوعة الفقه ج ١٠٠ كتاب الحقوق. و (الفقه: القانون) و (الفقه: الحريات) وكتاب (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) للإمام المؤلف دام ظله.
- ٣- راجع كتاب (كيف ينظر الإسلام إلى السجين) للإمام المؤلف.
- ٤- راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية.
- ٥- وهو الجزء الأول منها: «الناس مسطون على أموالهم»، راجع غوالي اللثالي: ج ١ ص ٢٢٢، ونهج الحق: ص ٤٩٤.
- ٦- سورة الأحزاب: ٦.

وسيل من الكتب والمجلات والجرائد والأفلام وغيرها.

وكلامها (صلوات الله عليها) وإن كان إخباراً عن واقع معين في زمن معين، إلا أنه يكشف عن قوانين كلية وسنن اجتماعية وسياسية جارية على مر السنين، تصلح كمؤشر لتشخيص حالة المجتمع صحة ومرضاً، قوة وضعفاً.

لا يتخطفوك

مسألة: يلزم على الإنسان أن لا يجعل نفسه عرضة لأن يتخطفه إنسان أو شيطان، ويكون على حذر من ذلك، وهناك روايات في أسلوب خطف الشيطان للإنسان بنفسه أو بإنسان آخر وما يلزم في مواجهته.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بينما موسى بن عمران جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وأقبل إلى موسى فسلم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا إبليس، قال: أنت فلا قربك الله، قال: جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، قال موسى: فما هذا البرنس، قال: به اختطف قلوب بني آدم، قال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه بني آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه» (١).

وقال (عليه السلام): «النظر سهم من سهام إبليس وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة» (٢).

وقال (عليه السلام): «الحسد مقتصة إبليس الكبرى» (٣).

وقال (عليه السلام): «الكبر مصيدة إبليس العظمى» (٤).

وسئل الإمام الصادق (عليه السلام): «يا بن رسول الله ما الذي يباعد عنا إبليس؟ قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه» (٥).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده: الذاكرون لله، والباكون من خشية الله، والمستغفرون بالأسحار» (٦).

وقال (عليه السلام): «تحرز من إبليس بالخوف الصادق» (٧).

وقال (عليه السلام): «إن صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقرها لكم ويصغرها في أعينكم

١- مشكاة الأنوار: ص ٣١٣ - ٣١٤.

٢- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٦٤ عقاب الزاني والزانية.

٣- غرر الحكم: ص ٢٩٩ ح ٦٧٩٦.

٤- غرر الحكم: ص ٣٠٩ ح ٧١١٩.

٥- فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٧٦ ح ٥٨ و ٧١ كتاب فضائل شهر رمضان.

٦- إرشاد القلوب: ص ١٩٦ ب ٥٢.

٧- تحف العقول: ص ٢٨٤ وصيته (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفي.

فتجتمع وتكثر فتحيط بكم» (١).

وعن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، إلا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم» (٢).

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد

إنقاذ المسلمين (٣)

مسألة: يجب إنقاذ المسلمين في زماننا هذا من جاهليتهم وذلتهم وضعفهم، تأسيًا برسول الله (صلى الله عليه وآله) واقتداءً به، وقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (فليتأس متأس بنبيه وإلا فلا يأمنن الهلكة) (٤) ولحكم العقل والنقل، ولأن جاهليتهم وذلتهم وضعفهم من أشد المحرمات، إذ هي جماع لشتى خصال الشر والفساد (٥).

وقد قال سبحانه: ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون)) (٦)، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «الإسلام يعلو (عليه السلام)» (٧) إلى غير ذلك مما ذكرناه في البنود السابقة.

ومن الواضح إن الإنقاذ لا يتحقق - عادة - دفعة واحدة، بل يتحقق تدريجياً، فيجب العمل للإنقاذ خطوة خطوة، كل حسب مكانه.. مادياً ومعنوياً وفي مختلف أبعاد الحياة.

وحيث إن الأفعال والأحداث تسند إلى السبب الأول أو العامل الرئيسي وهو القائد والعقل المخطط، لذلك قالت (صلوات الله عليها): (فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) رغم وجود المسلمين الأشداء في الإيمان والعمل من

١- تحف العقول: ص ٣٩٢ وصيته (عليه السلام) لهشام.

٢- الاحتجاج: ص ١٧.

٣- راجع حول هذا المبحث كتيب (إنقاذ المسلمين) وكتاب (الفقه: طريق النجاة) و (ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و (المتخلفون ملياراً مسلم) و (القطرات والذرات) و... للإمام المؤلف (دام ظله).

٤- نهج البلاغة: الخطبة

٥- فضعفهم مثلاً سبب سلطة قوى الشرق والغرب عليهم، فانتهكت أعراضهم وسلبت أموالهم وأريق دمواؤهم، كما حدث في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي، وهكذا في الدول الإسلامية التي كانت تحت سيطرة المنظمة الشيوعية كإفغانستان والجمهورية الإسلامية الستة، وفي العراق أبان السلطة المباشرة للاستعمار البريطاني ثم عبر السلطة المقنعة زمن البعث.

٦- سورة آل عمران: ١٣٩.

٧- متشابه القرآن: ج ٢ ص ٢١٢.

حوله كما قال عز وجل: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)) (١).

الإنقاذ من الله وبالعمل بمناهجه

مسألة: يجب الإيمان بأن الإنقاذ لا يتحقق إلا بإذن تكويني من الله تعالى، وبالتزام تشريعي بأوامره الصادرة عبر رسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).
كما قال تعالى: ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)) (٢).

وقال سبحانه: ((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى)) (٣).
فقد جعل الله تعالى الكون عالم الأسباب والمسببات، والنصر الإلهي أيضاً ضمن هذه الدائرة، قال تعالى: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (٤).
وقال سبحانه: ((ثم اتبع سبياً)) (٥).

وقال تعالى: ((وابتغوا إليه الوسيلة)) (٦).
وورد في الحديث الشريف: (أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها) (٧).
وعلى هذا فإن (التواكل والتخاذل) محرم، إذ هو خلاف الإعداد واتباع الأسباب.
والتقوى والإيمان وذكر الله - والمراد به القرآن الكريم - كما في الآيتين السابقتين هي الطرق التكوينية لنصرة الله للإنسان، فلو التزم بها الإنسان نصره الله بإمداد غيبي أيضاً، ولذلك كان ((إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)) (٨) فالصبر شرط تكويني تليه نصره الله التي تجعل الواحد غالباً على العشرة.
وهكذا نجد أن كل ما دخل في دائرة إرادة الإنسان فإن له عاملين طويلين:

- ١: إذن الله تعالى وتمهيده الأسباب والعلل وجعلها في متناول الإنسان، كالحياة والعلم والقدرة.
- ٢: إرادة الإنسان وتمهيده سائر الأسباب - كإعداده ما استطاع من قوة وتخطيطه وصبره واستقامته وما أشبه ذلك - وهو في هذه أيضاً حدوثاً وبقاءً محتاج إلى الله تعالى.

١- سورة الفتح: ٢٩.

٢- سورة الأعراف: ٩٦.

٣- سورة طه: ١٢٤.

٤- سورة الأنفال: ٦٠.

٥- سورة الكهف: ٨٩ و ٩٢.

٦- سورة المائدة: ٣٥.

٧- راجع غوالي اللنالي: ج ٣ ص ٢٨٦ باب النكاح ح ٢٧، وفيه: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا على الأسباب».

ومثله في بصائر الدرجات: ص ٦ ح ٢

٨- سورة الأنفال: ٦٥.

وقد قال سبحانه: ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) (١).

وقال تعالى: ((أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)) (٢).

وقال عز وجل: ((أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)) (٣).

وقال سبحانه: ((واتقوا الله ويعلمكم الله)) (٤).

وقد ذكرنا ذلك في علم الكلام في مبحث الجبر والتفويض (٥)، فما ليس في دائرة عمل الإنسان فهو من الله، وما في دائرة عمل الإنسان فعليه أن يسعى، قال سبحانه: ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى)) (٦).

وقال تعالى: ((كل امرء بما كسب رهين)) (٧).

وقال سبحانه: ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) (٨).

وقال تعالى: ((إنما تجزون ما كنتم تعملون)) (٩) إلى غيرها من الآيات والروايات.

وقد قالت عليها السلام: (فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد) فإن الله هو المنقذ الحقيقي ولكن بواسطة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو تعالى علة العلل، وهو (صلى الله عليه وآله) واسطة الفيض، فإنه جاء إليهم بالعقيدة الصحيحة والشريعة الكاملة والدين الأغزر والأخلاق الرفيعة حتى تحولوا من أدلة صاغرين إلى أعزة عظماء.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس! إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) بالهدى، وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من البرم، وعمى عن الحق، وانتشار من الخوف، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلطي من الحروب.

وعلى حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبوس من أغصانها، وانتشار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مانها، فقد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجمة في وجود أهلها، مكفهرة مدبرة غير

مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، قد مزقتم كل ممزق، فقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليهم أيامها.

قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب الموقودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب

١- سورة الأنفال: ١٧.

٢- سورة الواقعة: ٦٤.

٣- سورة الواقعة: ٧٢.

٤- سورة البقرة: ٢٨٢.

٥- راجع موسوعة الفقه، المدخل، كتاب العقائد.

٦- سورة النجم: ٣٩.

٧- سورة الطور: ٢١.

٨- سورة التوبة: ١٠٥.

٩- سورة الطور: ١٦، وسورة التحريم: ٧.

العيش ورفاهية خوط، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون الله عقاباً، حيّهم أعمى نجس، ميتهم في النار ملبس. فجاءهم النبي (صلى الله عليه وآله) بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال وبيان الحرام، وذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه أن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحت فيه مختلفون، فلو سألتهموني عنه لأخبرتكم عنه لأني أعلم (١). هذا وقد دامت العزة للمسلمين إلى ما قبل مائة سنة - ولو في بعض أبعادها (٢) - وعندما تركوا شيئاً فشيئاً مما تبقى من أحكام الإسلام عادت إليهم الذلة الجاهلية والعبودية للشرق والغرب، حتى أصبحوا ألعوبة بيد الكفار فأشعلوا في بلادهم النيران على طول الخط، وساعد بعضهم بعضها على الحرب والسلب والنهب ومناصرة الأجانب في ضرب المسلمين.

وإني أذكر منذ خمسين سنة حتى الآن ورعى الحرب تدور في بلاد الإسلام (٣) .. وفي الحال الحاضر هناك حروب دامية في أذربيجان والعراق والخليج وكشمير وإرتريا والهرسك والبوسنة ومورو ولبنان وفلسطين وغيرها. والسبب في ذلك هو أن المسلمين تركوا العمل بمناهج الله التي صرح بها في القرآن الحكيم من: (الأمة الواحدة) و (الأخوة الإسلامية) و (الشورى) و (الحرية) و (التنافس الإيجابي) وسائر أحكام الإسلام المنقذة، وإلا فقد قال تعالى: ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) (٤)، نسأل الله الفرج والمخرج.

التنبية على عظيم فضل رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب تنبيه الناس إلى أن سعادتهم طوال قرون وقرون كانت ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد يجب ذلك.

قال سبحانه: ((واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)) (٥).

وقال تعالى: ((لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) (٦).

وقال عز وجل: ((ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)) (٧).

وقال سبحانه: ((وما بكم من نعمة فمن الله)) (٨).

١- تفسير القمي: ج ١ ص ٢-٣.

٢- إشارة إلى العزة الظاهرية، حيث كانوا حكاماً وملوكاً دون خضوع لسلطة استعمارية خارجية من روم أو فارس أو شرق أو غرب.

٣- راجع كتاب (المسلمون يتضررون) للإمام المؤلف.

٤- سورة المنافقون: ٨.

٥- سورة الأنفال: ٢٦.

٦- سورة آل عمران: ١٦٤.

٧- سورة النساء: ٧٩.

ومن المعلوم - كما قلنا - ان مراتب (٢) من سعادة الإنسان والتي هي ببركة الله والرسول (صلى الله عليه وآله)، لا تتحقق إلا بتطبيق أوامرهما، كما أن شفاء المريض يتحقق باستعمال الأدوية التي عينها له الطبيب في نسخته.

وقد سبق أن المسلمين في يومنا هذا حيث تركوا أوامر الله سبحانه وتعالى ابتلوا بالضنك الذي ذكره الله عز وجل (٣) فإنهم تركوا:

قوله سبحانه: ((إن هذه أمتكم أمة واحدة)) (٤). في الأمة الواحدة.

وقول تعالى: ((إنما المؤمنون أخوة)) (٥). في الأخوة الإسلامية.

وقول سبحانه: ((ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)) (٦). في الحريات الإسلامية.

بالإضافة إلى أنهم تركوا الشورى، والتنظيم، فقد قال تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم)) (٧) وقال سبحانه:

((من كل شيء موزون)) (٨)، وفي كلام أمير المؤمنين (عليه السلام): (نظم أمركم) (٩) ..

وقد فصلنا جملة من ذلك في جملة من كتبنا (١٠).

بل إن سعادة البشرية والجوانب الإيجابية في عالم اليوم (١١) كلها ببركة النهضة الإنسانية التي قام بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، ضد رذائل الأخلاق وضد المحرمات: من الجهل والمرض والفقر ووآد البنات وغير ذلك، كما اعترف بذلك الغربيون أنفسهم حيث صرحوا بأن المسلمين هم آباء العلم الحديث (١٢) حيث تتلمذ الغرب على أيديهم إبان القرون الوسطى - وقبلها - في الأندلس وغيرها.

١- سورة النحل: ٥٣.

٢- قوله (مراتب من سعادة الإنسان) يشير إلى ان مراتب أخرى قد تحققت بصرف لطف الله وبجهود رسول الله (صلى الله عليه وآله)، دون مدخلية لالتزام المسلمين بأوامرهم في ذلك.

٣- في قوله: ((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً))، سورة طه: ١٢٤.

٤- سورة الأنبياء: ٩٢.

٥- سورة الحجرات: ١٠.

٦- سورة الأعراف: ١٥٧.

٧- سورة الشورى: ٣٨.

٨- سورة الحجر: ١٩.

٩- روضة الواعظين: ص ١٣٦، شرح نهج البلاغة: ج ١٧ ص ٥.

١٠- راجع (السبيل إلى إنهاء المسلمين) و (الصياغة الجديدة) و (الفقه: السياسة) و (الفقه: الإدارة) و (الفقه: النظافة) و (الفقه: القانون) وغيرها للإمام المؤلف دام ظله.

١١- كالتطور العلمي والتكنولوجي وبعض التوجه والالتزام بحقوق الإنسان وغير ذلك.

١٢- راجع (قصة الحضارة) و (أميركا والفرصة التاريخية) و (حضارة العرب) وغيرها من المصادر الكثيرة.

بعد اللتيا والتي

المخرج من المشاكل

مسألة: يلزم على الإنسان أن يطلب المخرج من المشاكل والمخلص من المحن والفتن لا أن يستسلم لها، إذ قال (عليه السلام): «المؤمن كيس فطن حذر» (١). وقال (عليه السلام): «والمؤمن كيس عاقل» (٢). وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له، وقال هو الذي لا ينهى عن المنكر» (٣). وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له» (٤). وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا رفق له» (٥). وقال (صلى الله عليه وآله): «مثل المؤمن القوي كالنخلة ومثل المؤمن الضعيف كخامة الزرع» (٦). وقال تعالى: ((ثم أتبع سبباً)) (٧). وقال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ضرع فيحلب ولا ظهر فيركب» (٨). وقيل: (الحرب خدعة) (٩). وهناك في الفقه باب خاص باسم (باب الحيل الشرعية) (١٠). قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا والتي) بلحاظ ما سبقه والقرينة المقامية (١١)، فيه إشعار وإشارة إلى لزوم أن يطلب الإنسان المخرج من المشاكل ومن شتى العوامل والبواعث الإفراتية والتفريطية. فإن الإنسان المقدام في ميادين الحق يبتلى بمتشددين ومتساهلين في شتى المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها (١٢).

- ١- جامع الأخبار: ص ٨٥ الفصل ٤١.
- ٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٩ ح ١٥١٢.
- ٣- معاني الأخبار: ص ٣٤٤.
- ٤- المحاسن: ١٩٦.
- ٥- الجعفریات: ص ١٥٠.
- ٦- جامع الأخبار: ص ١٨٣ الفصل ٤١.
- ٧- سورة الكهف: ٨٩.
- ٨- غرر الحكم: ص ٤٦٤ ح ١٠٦٧٥، وفي نهج البلاغة أيضاً، انظر شرح النهج: ج ١٨ ص ٨٢.
- ٩- راجع الارشاد: ج ١ ص ١٦٣، ومتشابه القرآن: ج ١ ص ٢٣٦.
- ١٠- الحيلة هي المخرج والمخلص فقد يكون محرماً وقد يكون شرعياً، فالمخرج من الزنا هو إجراء صيغة العقد مثلاً مع سائر شروطه.
- ١١- وبضميمة دليل التأسّي.
- ١٢- فهناك في المجال الديني أناس ينحون نحو الرهينة وآخرون نحو التحلل ويغرقون في وحول المادية،

فباللزام عليه أن يعالج الأمر حتى يتمكن من تطبيق الحق الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، قال سبحانه: ((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)) (١).

وفي الحديث: (خير الأمور أوسطها) (٢).

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق» (٣) ..

فإن الإفراط والتفريط بين محرم وبين مرجوح.

قولها (عليها السلام): (بعد اللتيا)، يقال تزوج رجل امرأة قصيرة فناله منها ما ناله من الأذى ثم طلقها، وتزوج امرأة طويلة القامة فناله منها ما ناله فطلقها، فقيل له تزوج بأخرى، فقال بعد اللتيا والتي؟! وصار مثلاً يضرب لمن ابتلى في سابق أمره بالمشكلات والدواهي الصعبة أو المتكررة أو الدواهي الكبيرة والصغيرة.

ثم إن عرب الجزيرة أنقذهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مشاكلهم الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فهل من التعقل أن يعودوا إلى مثل حالتهم السابقة من الفوضى والتخلف بعد إرسال الرسول وانزال الكتاب والتعب والجهد المستمر؟

وفي تذكيرهم بذلك تمهيد لإفهامهم بأن تنحيتهم الخليفة الذي عينه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، سيعود بهم إلى كثير من البلايا والرزايا والمحن.

فإن قال قائل: إن التاريخ سجل لهم التقدم والانتصارات، فكيف يقال إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من المحن والرزايا وحتى الذلة أيضاً؟.

قلنا: لو كانوا تمسكوا بأحكام الإسلام كما أنزلها الله سبحانه، ولو التزموا بتعاليم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو اتبعوا خليفته الحقيقي وهو الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لم يكونوا يقعون في المشاكل التي وقعوا فيها من الحروب الطاحنة التي دارت بينهم مما امتلأت بها صفحات التاريخ، ومن سيطرة حكام مستبدين وطغاة جبابرة «اتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً» (٤) بما تضمن ذلك من قتل الأنفس المحترمة في شرق البلاد والإسلامية وغربها طوال حكومة الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن سبقهم (٥) ومصادرة حقوق وأموال الناس (٦) وسجن وتعذيب الملايين في ظلم المظالمير (١) إلى غير ذلك.

وأناس يدعون إلى تبرج المرأة وآخرون إلى حرمانها حتى من التعليم والتعلم رغم قوله (صلى الله عليه وآله): (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) (كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٠٧، وعدة الداعي: ص ٧٢، وجامع الأخبار: ص ١٣٩ الفصل ٩٩) وأناس يعزلون أنفسهم عن السياسة، وبالتالي عن أية مقارعة للحاكم الجائر والطاغوت وآخرون يهجون منهج المصلحية والانتهازية ويتخذونها سلماً لتحقيق أهدافهم وشهواتهم، إلى غير ذلك.

١- سورة البقرة: ١٤٣.

٢- غوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٩٦ الفصل ١٠ ح ١٩٩، وإعلام الوري: ص ٣٠٧.

٣- دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٥٥ في كتابه (عليه السلام) إلى الأشر النخعي.

٤- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٢٨٠ المجلس ٣٣ ح ٦.

٥- كنموذج: قتل المسلمين وعباد الله الصالحين بتلفيق تهمة الارتداد في قضية مالك بن نويرة، وقتل أمثال حجر بن عدي وعدد كبير جداً من أولياء الله ومن العلماء في حكومة معاوية ويزيد... وإلى يومنا هذا.

٦- كنموذج: الأموال الهائلة التي أقطعها عثمان لذويه، من بيت مال المسلمين.

وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب

إضافة إلى أن تقدمهم لم يكن ليتحدد بذلك الحد - جغرافياً ومعنوياً - بل كانوا يسودون العالم والبشرية أجمع، ولكن اليوم وبعد خمسة عشر قرناً، ترى ثلاثة أرباع العالم غير مسلمين، والمسلمون هم الربع، وكثير منهم الأذل الأقل فإنا لله فإنا إليه راجعون.

وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب

بهم الرجال وذؤبانهم

مسألة: يجب - انطلاقاً من شمولية قاعدة ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)) (٢) للقوة كماً وكيفاً، سلاحاً وعلماً وعملاً و (عليه السلام)

إذ كلها مصاديق للقوة، والانصراف للقوة العسكرية إن كان فبدوي - الاستعداد لمقابلة المبهمين من الرجال وذؤبانهم.

وقولها (عليها السلام): (بعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب) تنبيه على أن صاحب المبادئ الرفيعة، عليه تأسيساً به (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستعد لمواجهة الرجال المبهمين الذين لا يعرف واقعهم. فلهم واقع غامض لا يدري كيف يقابل معهم، أو أنهم من شدة بأسهم لا يدري من أين يأتون (٣) ولذا يسمون ببهم الرجال من المبهم الذي لا يعرف واقعه (٤).

ومن المحتمل أن يكون (بهم الرجال) إشارة إليهم من غير العرب من الفرس والروم في قبال (ذؤبان العرب).

أما (ذؤبان العرب) فإن الذئب من طبيعته التوحش والتوثب والحيلة والتحرك باتجاهات مختلفة طلباً للفريسة، وكان عرب الجاهلية من هذا النوع، ولذا قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام): (كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات) (٥).

وقال الشاعر:

١- كنموذج: سجن الحجاج الذي احتوى على أكثر من مائة وعشرين ألف، لا يقيهم حر الشمس اللافحة سقف، ولا برد الزمهرير غطاء.

٢- سورة الأنفال: ٦٠.

٣- يمكن أن تقرأ معلومة ومجهولة فـ (لا يدري من أين يأتون) أي من أين يهاجمون الإنسان أو (من أين يأتون) أي من أين يهاجمهم الإنسان، إذ حيثما فكرت ووجهت وجهك وجدتهم مترصدين مستعدين.

٤- وربما يكون وجه ما وصفهم به (بهم الرجال) الإشارة إلى أنهم كالبهيم التي لا شعور لها ولا أدراك كما قال عزوجل: ((إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل)) سورة الفرقان: ٤٤.

٥- اللهوف: ص ٦٠.

((عليه السلام)) (١) بهز الكف متنه***فيه كما عسر الطريق ذهاب) ولعل من وجوه وصفهم بـ (ذوبان العرب) إن الذنب إذا وقع في القطيع لا يبقى ولا يذر فهو يفتك لمجرد الفتك، شهوة في الفتك، وهو المصداق الجلي للوحش الضاري الذي لا يفتك لحاجة، بل لحاجة ودون حاجة تلذذاً من السطو والاعتداء ومنظر الدماء، وقد كان أعداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كذلك، فهم كانوا كالذئاب الضارية الشرسة يغيرون ويفتكون ويفعلون ما يفعلون تعوداً منهم على الفتك وتلذذاً منهم بالجريمة ودلماً منهم بالدماء.

مذمومية الصفات السبعية

مسألة: من المذموم اتصاف الإنسان بالصفات السبعية، واللازم أن يتحلى قلبه بالرحمة والإنصاف وحب الآخرين، بل المواساة والإيثار، ويدل على ذلك مختلف الآيات والروايات: قال تعالى: ((ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة)) (٢). وقال (عليه السلام): «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب» (٣). وقال (عليه السلام): «من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب» (٤). وعن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أحب أخاك المسلم وأحب له ما تحب لنفسك وأكره له ما تكره لنفسك» (٥) الحديث.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإنصاف يستديم المحبة» (٦). وقال (عليه السلام): «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف» (٧).

ومردة أهل الكتاب

وقال (عليه السلام): «ثلاث خصال تجتلب بهن المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواع والرجوع إلى قلب سليم» (٨).

وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لكننا نأمركم بالورع الورع الورع، والمواساة المواساة

١- هنا كلمة أو كلمات غير مقروءة.

٢- سورة البقرة: ٧٤.

٣- تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢.

٤- روضة الواعظين: ص ٤١٤.

٥- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٢٣ المجلس ٥٢ ح ١٢.

٦- غرر الحكم: ص ٣٩٤ ح ٩١١٤.

٧- غرر الحكم: ص ٣٩٤ ح ٩١١٦.

٨- كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٤٩، الإمام التاسع.

المواساة لإخوانكم» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيثار أعلى المكارم» (٢).

ومردة أهل الكتاب

المعارضة علماء وجهلة

مسألة: يجب أن يعد حملة المبدأ الصحيح العدة المناسبة لمواجهة طوائف ثلاثة تتصدى عادة لحملة راية الحق، كل منها بشكل يتناسب مع الوسائل والأسلحة التي تستخدمها، فإن من السنن الإلهية الجارية في المجتمعات على مر التاريخ: إن المبادئ القويمة ودعاة الإصلاح ورواد الحقيقة يواجهون عادة بطوائف من المعارضين، منها:

أ: علماء سوء يعرفون الحقيقة ويكابرون عنها، يمثلون الجانب العلمي والوجه الثقافي للمعارضة.

ب: وأبطال شجعان يجسدون قمة القوة المادية لجبهة الباطل.

ج: أراذل وأوباش وصعاليك من سفلة القوم يعدون بمنزلة الرتل الخامس لجيش العدو.

وإلى القسم الأول أشارت (عليها السلام) بقولها: (مردة أهل الكتاب).

وإلى القسم الثاني بقولها: (بهم الرجال).

وإلى القسم الثالث أشارت بقولها: (وذؤبان العرب) إذا كان المراد به: الصعاليك واللصوص.

وربما يقال: إن المراد بذؤبان العرب: أولئك الذين غلب عليهم طابع الوحشية والشراسة والتعطش للدماء، وحينئذ فيكون هذا القسم هو الضلع الثالث في مثلث الأعداء، فقولها (عليها السلام): (وبعد أن مني بهم (عليه السلام) ومردة أهل الكتاب) إشارة ضمنية إلى هذه الحقيقة وإن كل مبدأ صحيح يبتلى عادة بعلماء سوء يكابرون الحقيقة، كما يبتلى بجهال مبهمين وصعاليك أوباش أو متوحشين، قال سبحانه: ((ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً)) (٣).

ولا يخفى أن هذا الكلي ليس خاصاً بالمبادئ الصحيحة - وإنما المبدأ الصحيح في مقابله هذه الطوائف المنحرفة - بل كل مبدأ وكل مسلك يواجه بهذه الفئات عادة، فإن كان المبدأ باطلاً كان الذين يعارضونهم من العلماء والجهال على حق في هذا الجانب، وإن كان المبدأ صحيحاً كانت جبهتا العلماء والجهال المعارضين له، على ضلال.

مثلاً: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصحيح المبدأ ابتلي بهما، كما أن (علي محمد الباب) (٤) الباطل

١- المحاسن: ص ١٥٨ باب خصائص المؤمن ح ٩٥.

٢- غرر الحكم: ص ٣٩٥ ح ٩١٥٩.

٣- سورة آل عمران: ١٨٦.

٤- علي محمد الشيرازي (١٨١٩-١٨٥٠) مؤسس البابية في إيران، ادعى إنه باب إلى الإمام المهدي (عجل

الله تعالى فرجه) وذلك بتخطيط ودعم من الاستعمار الروسي، أعدم في تبريز.

المبدأ واجهه علماء مسلمون هم حق كما واجهه غير العلماء من المسلمين الذين كانوا أيضا على حق. وعلى أي، فاللزام أن يستعد حملة المبدأ الصحيح لمقابلة هؤلاء كما قال تعالى: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة (عليه السلام))) (١).

فعلماء السوء: يواجهون بتوعية الناس عبر المحاضرات والكتب وسائر وسائل الإعلام وعبر كشف زيفهم للناس.

وبهم الرجال: عبر أبطال أكفاء يواجهونهم بأسلحتهم، فيتسلحون بالتنظيمات والتكتلات والنفقات والأحزاب وغيرها، ويوجهون بتكوين تنظيمات وتجمعات إسلامية تحافظ على الشباب وتفشل مخططاتهم. والسفلة والصعاليك: يواجهون بمثلهم أيضا، إذ لا يقل الحديد إلا الحديد، وقد ورد في الحديث الشريف: (هلك من ليس له حكيم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده) (٢).

ويجب أن لا يشبط دعاة الحق عن تبليغ الرسالة وجود حشد من المشاكل، سواء كانت مشاكل الإفراط والتفريط، أو مشاكل بهم الرجال وذوبانهم، أو مشاكل مردة أهل الكتاب وأذنانهم، كما قال تعالى: ((فاستقم كما أمرت ومن تاب معك)) (٣).

قولها (سلام الله عليها): (مردة) جمع مارد، وهو العاتي المتكبر الذي لا يرضخ للحق، ومردة أهل الكتاب منصرف إلى علمانهم الذين عتوا على الحق وتكبروا عن الرضوخ له، وإن كان اعم لغة من ذلك. قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ولا تكونوا علماء جبارين» (٤).

وعن عيسى (عليه السلام) قال: «مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع» (٥).

وقال (صلى الله عليه وآله): «شر الناس علماء السوء» (٦).

استعراض ما واجهه الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: كلماتها (عليها السلام) في استعراض نماذج من المصاعب التي واجهت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الأعداء الذين مني بهم، حكاية وشكاية وهداية، والثالث بين واجب ومستحب، والأولان - بما هما - يقعان متعلقين للأحكام الخمسة.

فحكايتها (عليها السلام) لتلك الحال، تذكير لهم بعظيم فضله (صلى الله عليه وآله) عليهم من جهة، وبعظيم جهاده (صلى الله عليه وآله) واستقامته وصبره وصموده وتحمله الأذى في ذات الله من جهة

١- سورة الأنفال: ٦٠.

٢- كشف الغمة: ج ٢ ص ١١٣.

٣- سورة هود: ١١٢.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٥٩ المجلس ٥٧ ج ٩.

٥- تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٨٤.

٦- تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢٢٠.

أخرى، وبكبير جرمهم في التصدي له (صلى الله عليه وآله) من جهة ثالثة.

قال (صلى الله عليه وآله): «ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت» (١).

والأول: يقتضي شكر النعمة.

والثاني: يقتضي التأسّي به (صلى الله عليه وآله) واتباعه وانتهاج منهجه.

والثالث: يقتضي تكفير الذنب عبر التعويض بالتفاني في الذب عن تعاليمه (صلى الله عليه وآله وسلم)

وأوامره، وعلى رأسها الدفاع عن من عينه خليفة له واتباعه وهو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وهي حكاية تتضمن شكاية منهم على ما مضى، وشكاية أخرى على ما جرى - ما مضى حين البعثة وبعدها،

وما جرى بعد استشهاده (صلى الله عليه وآله وسلم) - وهي أيضاً شكاية تتبعها شكاية.

وهذه الشكاية هي من دواعي الهداية ومن مصاديق النهي عن المنكر ومن مصاديق إتمام الحجة، وهي

أيضاً - في الجملة - دفع ورفع: رفع لما قد جرى ودفع لما سيجري، وأيضاً دفع بالنسبة لما يستقبل من الأجيال

ورفع بالنسبة للحاضر من الرجال.

كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله

حرمة إشعال الحروب

مسألة: يحرم نفسياً ومقديماً إشعال نار الحرب ضد أهل الحق، فإن مطلق العمل ضد الحق حرام فكيف

بإشعال نار الحرب، بل مطلق إشعال نارها بغير الحق حرام (٢).

وإطفاؤها بالنسبة للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما يشير إليه كلامها (عليها السلام) بنحو

القضية الخارجية - وبالنسبة لعموم المؤمنين في عموم الأزمنة أيضاً واجب، وقد وعد الله النصر في ذلك، قال

تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) (٣).

وقال سبحانه: ((أوفوا بعهدي أوف بعهدكم)) (٤).

أما إشعال نار الحرب في الحروب الابتدائية الجهادية في سبيل الله والمستضعفين على شروطها فلا إشكال

١- المناقب: ج ٣ ص ٢٤٧، وكشف الغمة: ج ٢ ص ٥٣٧.

٢- كما في إشعالها على أهل الذمة ما داموا لم يخلوا، وكما في إشعالها على إحدى طائفتين من المؤمنين المتقاتلتين قبل محاولة الإصلاح، قال عزوجل: ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقتسوا إن الله يحب المقسطين)). سورة الحجرات: ٩، ففي هذين الموردين إشعالها ليس (على الحق) لكنه يصدق عليه أنه (بغير الحق).

٣- سورة محمد (صلى الله عليه وآله): ٧.

٤- سورة البقرة: ٤٠.

فيها - على تفصيل ذكرناه في كتاب (الجهاد) من الفقه (١) - .

وكذلك بالنسبة إلى الحروب الدفاعية وحروب البغاة، قال سبحانه: ((وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً)) (٢).

وإنما قلنا بالحرمة النفسية - أو الذاتية - نظراً لما فيها من المفسدة العظيمة، فوزانها كشرب الخمر والكذب وشبههما - بل أعظم منها - مما حرّمته نفسية لاشتغالها على المفسدة وإن وجبت إذا وقعت مقدمة للأهم، كالكذب للإصلاح الذي لولاه لحدثت فتنة عظيمة، وشرب الخمر لمن انحصرت نجاته من الهلاك عطشاً بشربه، والحرب في سبيل الله والمستضعفين.

ثم إن الضمير في (أوقدوا) يعود للكفار وأهل الكتاب كما لا يخفى.

وجوب إطفاء الحرب

مسألة: يجب إطفاء نار الحرب، قال تعالى: ((وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)) (٣).

فإن المرء كلما تمكن من إطفاء نار الحرب الباطلة وجب عليه ذلك، سواء تمكن من الإطفاء كلياً أو الإطفاء في الجملة إذ هو محقق للغرض في الجملة.

ومن الواضح عدم كونه ارتباطياً، قال سبحانه: ((فاتقوا الله ما استطعتم)) (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الميسور لا يسقط بالمعسور» (٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما لا يدرك كله لا يترك كله) (٦).

إلى غير ذلك مما يدل على أن كل إنسان مكلف بقدر إمكانه، قال سبحانه: ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) (٧).

).

وفي آية أخرى قال تعالى: ((لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)) (٨).

ومن غير فرق بين أن يكون الإطفاء بالإعلام أو المال أو السلاح أو غير ذلك من أقسام الإطفاء والردع، على نحو مانعة الخلو حسب الاصطلاح المنطقي.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا مخدم نار الحرب» (٩).

١- موسوعة الفقه: ج ٧-٤٨ كتاب الجهاد.

٢- سورة النساء: ٧٥.

٣- سورة الأنفال: ٦١.

٤- سورة التغابن: ١٦.

٥- راجع غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٥٨ وفيه: «لا يترك الميسور بالمعسور».

٦- راجع غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٥٨ ح ٢٠٧.

٧- سورة البقرة: ٢٨٦.

٨- سورة الطلاق: ٧.

التعلل لعدم التدخل

مسألة: لا يجوز التعلل بعدم التدخل لإطفاء الحرب الدائرة بين طائفتين من المؤمنين أو حرب الكفار ضد فئة أو دولة إسلامية أو ما أشبه ذلك: بالجغرافية أو باختلاف اللغة أو اللون أو ما أشبه ذلك، عقلاً ونقلاً، وذلك للإطلاقات والعمومات والنصوص، ولما دل على عدمها.

قال تعالى: ((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما)) (٢).

وعن أحدهما (عليهما السلام): «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا سقط منه شيء تداعى سائر الجسد» (٣).

وقال (عليه السلام): «ان المؤمنين في أثارهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى سائرهم بالسهر» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود، إلا بالتقوى» (٥).

وقال تعالى: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) (٦).

أصالة السلم

مسألة: ربما يستفاد من هذا الحديث - إضافة إلى الأدلة الدالة على ذلك - كون الأصل في الإسلام السلم لا الحرب، فإن شعار الإسلام: السلام.

وتحية المسلم إذا لقي أخاه: (سلام عليكم).

وتقول في نهاية الصلاة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وحتى في التعامل مع الجهلة: ((وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)) (٧).

وقد قال سبحانه: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)) (٨).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السلم علة السلامة وعلامة سبب الاستقامة» (٩).

١- الفضائل لابن شاذان: ص ١٦٣.

٢- سورة الحجرات: ٩.

٣- المؤمن: ص ٣٨ ح ٨٥.

٤- أعلام الدين: ص ٤٤٠، والمؤمن: ص ٣٩ ح ٩٢.

٥- الاختصاص: ص ٣٤١.

٦- سورة الحجرات: ١٣.

٧- سورة الفرقان: ٦٣.

٨- سورة البقرة: ٢٠٨.

٩- غرر الحكم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٦٥.

وقال (عليه السلام): «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم» (١).

وقال (عليه السلام): «السلم ثمرة الحلم» (٢).

وقال (عليه السلام): «الرفق يؤدي إلى السلم» (٣).

الحروب الدفاعية

مسألة: لم يبتدأ الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب وهكذا كان علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل كل حروبهما (صلوات الله عليهما) كانت دفاعية.

ومن هنا قالت (عليها السلام) في هذه الخطبة (كلما أوقدوا) (٤) فالكفار والمشركون هم الذين كانوا يوقدون نار الحرب، لكن الله ورسوله ووصيه كانوا يطفنونها.

ولعل من أسباب عدم ابتداء الرسول (صلى الله عليه وآله) بحرب حيث كانت حروبه كلها دفاعية هو كون الأصل السلم وعدم الحرب كما مر (٥)، فالحرب ضرورة لا تجوز إلا في الموارد المقررة الشرعية من صور الاستثناء عن السلم والسلام (٦).

وقد روي عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام): «انه خطب بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله، فسكت علي (عليه السلام)، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه، قال (عليه السلام): كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا تمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا تمنعكم الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا تبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به» (٧).

وعن حذيفة بن اليمان قال: «فلما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): لا يبدأن أحد منكم بقتال حتى آمركم، قال: فرموا فينا، فقلنا: يا أمير المؤمنين قد رمينا، فقال: كفوا، ثم رموا فقتلوا منا، قلنا: يا أمير المؤمنين قد قتلونا، فقال: احملوا على بركة الله» (٨).

وهكذا كان في حرب النهروان فإنه: «لما واقفهم علي (عليه السلام) بالنهروان قال: لا تبدؤوهم بقتال حتى

١- غرر الحكم: ص ٤٧٦ ح ١٠٩٢١.

٢- غرر الحكم: ص ٤٤٤ ح ١٠١٦٣.

٣- غرر الحكم: ص ٢٤٤ ح ٤٩٧٩.

٤- و (ال) في الحرب وإن كانت للعهد الذهني إلا أن بقرينة الحكم والموضوع والسياق، والمفردات - أي: (أوقدوا) (ناراً) (أطفئها) - نستفيد ذلك منه.

٥- ويخرج عن الأصل: حالة الاعتداء فيقابل بالمثل: ((فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) سورة البقرة: ١٩٤، وحالة الحرب في سبيل الله والمستضعفين، وبصبره (صلى الله عليه وآله) حتى يهاجمه المشركون، كان قد أكد العامل الباعث للخروج عن الأصل.

٦- راجع موسوعة الفقه: كتاب السلم.

٧- دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩٣ ذكر قتال أهل البغي.

٨- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٥٨ - ٥٩ المجلس ٧ ح ٣.

يبدؤوكم، فحمل منهم رجل على صف علي (عليه السلام) فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلهم ولا أرى علياً***ولو بدا أوجرت الخيط

فخرج إليه علي (عليه السلام) فضربه فقتله» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «نبأني رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فإذا أتيتهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدؤوك، والقهم واسمع منهم ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة» (٢).

وقد أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشر في وقعة صفين وأمره أن لا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم إن شاء الله (٣).

وفي يوم عاشوراء عندما تجاسر شمر على الإمام الحسين (عليه السلام) وقال له: «يا حسين تعجلت النار قبل يوم القيامة! رام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الإمام الحسين (عليه السلام) من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه فإنه الفاسق من عظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين (عليه السلام): لا ترمه فاني أكره أن أبدأهم» (٤).

إسناد الأفعال لله

مسألتان: يجب الإيمان بأن جميع الأمور بيد الله سبحانه وتعالى وأنه هو المؤثر الحقيقي، ويلزم الفات الناس إلى ذلك وتنبههم عليه، كما قالت صلوات الله عليها (أطفاها الله)، فإن الله سبحانه هو مسبب الأسباب، وقد ورد في الدعاء: «يا مسبب الأسباب ويا مفتاح الأبواب» (٥).

و: «يا مسبب يا مغيث» (٦).

و: «اللهم رب الأرباب ومسبب الأسباب» (٧).

و: «يا سبب كل ذي سبب، يا مسبب الأسباب من غير سبب» (٨).

و: «اللهم إني أسألك باسمك يا مسبب يا مرغب» (٩).

و: «يا مسبب الأسباب سبب لنا سبباً» (١٠).

١- شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ٢٧٢ أخبار الخوارج.

٢- شرح النهج: ج ٣ ص ٢١٢-٢١٣، ووقعة صفين ص ١٥٣.

٣- وقعة صفين: ص ١٥٤.

٤- الإرشاد: ج ٢ ص ٩٦، وإعلام الوري: ص ٢٤٠.

٥- البلد الأمين: ص ٣٣٨ دعاء المشلول.

٦- الإقبال: ص ٦٦١.

٧- مصباح الكفعمي: ص ١٣٥.

٨- مصباح الكفعمي: ص ١٧٠ الفصل العشرون.

٩- مصباح الكفعمي: ص ٢٦٠ الفصل ٢٨.

و: «يا مرتب يا مسبب يا محبب...» (٢).

و: «يا رازق الفرج يا مسبب الفرج يا مغيث الفرج» (٣).

و: «يا ثواب يا أواب يا مسبب الأسباب» (٤).

و: «يا صاحب الأصحاب ومسبب الأسباب وسابق الأسباب» (٥).

وقال عزوجل: ((إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً)) (٦).

وقال تعالى: ((قل من بيده ملكوت كل شيء)) (٧).

وقال سبحانه: ((تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)) (٨).

وقد ألمعنا إلى مثل ذلك فيما سبق وقلنا: إنه لا يلزم منه الجبر، وإنما المراد إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعمل حتى في خارج إطار إمكانية الإنسان ولكنه قد ترك حرية التصرف للإنسان في داخل حدود قدرته وإمكانياته فأعطاه الاختيار، وإنما يجب - وجوباً تشريعياً لا تكوينياً - على الإنسان العمل في إطار إمكانياته بما

أمره الباري عزوجل، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، كما في الحديث الشريف (٩).

وكما قال (عليه السلام): «انا لا أقول جبراً ولا تفويضاً» (١٠).

وفي الدعاء: «اللهم اني استغفرك من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت إليه يدي بسابغ رزقك (عليه السلام) لم تدخلني يارب فيه جبراً ولم تحملني عليه قهراً ولم تظلمني فيه شيئاً (عليه السلام)» (١١).

وفي تفسير قوله تعالى: ((وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)) قال (عليه السلام): «خلقهم للأمر والنهي والتكليف، وليس خلقتهم جبراً ان يعبدون ولكن خلقتهم اختياراً ليختبرهم بالأمر والنهي، ومن يطيع ومن يعصي» (١٢).

فإن الأمور والأعمال موزعة:

- ١- مصباح الكفعمي: ص ٣٠٥ الفصل ٣٠.
- ٢- مصباح الكفعمي: ص ٣٥٨ الفصل ٣٢.
- ٣- البلد الأمين: ص ٣٢٤ دعاء الفرج.
- ٤- مهج الدعوات: ص ١٥٤.
- ٥- العدد القوية: ص ٢٦٣.
- ٦- سورة الكهف: ٨٤.
- ٧- سورة المؤمنون: ٨٨.
- ٨- سورة الملك: ١.
- ٩- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ١٢٤، والتوحيد: ص ٣٦٢، والاحتجاج: ص ٤١٤.
- ١٠- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٩ المجلس ٤٧ ح ٨.
- ١١- الإقبال: ص ٣٨٨.
- ١٢- تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٣١، والآية في سورة الذاريات: ٥٦.

١: بين ما هي دائرة قدرة الإنسان وحيطة تصرفه واختياره.

٢: وبين ما هي خارج عنه بالمرة.

وحيث إن ما في دائرة قدرة الإنسان هو أيضاً يستند إلى الله تعالى إذ أنه عزوجل هو الذي أعطاه القدرة والاختيار وهو الذي أوجد الأسباب ومهداها وبمقدوره في أي آن أن يسلب قدرته واختياره، ولذلك كرر في القرآن الحكيم نسبة الأشياء إلى الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) (١).

وقال تعالى: ((أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)) (٢).

وما أشبه ذلك من الآيات.

فلولا أن الله تعالى أعطى الإنسان وجوده وحياته ثم زوده بالعضلات والقوى والإدراك والعلم والإرادة وما أشبهه، ولولا أنه خلق المعادن والآلات والأدوات وما أشبهه، ولولا أنه (عليه السلام) لما أمكن للإنسان أن يرمي نبلاً أو يزرع بقللاً - بكامل حريته واختياره -.

أو نجم قرن الشيطان

إعداد العدة

مسألة: يجب إعداد العدة للمواجهة عندما ينجم قرن الشيطان.

قولها (عليها السلام): (أو نجم قرن للشيطان) نجم بمعنى: ظهر، ولذا يسمى النجم نجماً لأنه يظهر في الأفق، و (قرن الشيطان) كناية عن أول فتنته، يعني: إنه كلما ظهرت بوادر فتنة قذف (صلى الله عليه وآله) أخاه (عليه السلام) في لهواتها.

فأول كل ظاهر من شيء قرن، ولذا يقال: قرن الشمس، حين تظهر بعض أجزاءها ابتداءً ثم تظهر البقية. والسبب في كون قرن الحيوان هو أول ما يرى من البعيد: أن الأرض كروية وفي المحل الكروي إنما يظهر أعلى الشيء ابتداءً كما يشاهد ذلك بالنسبة إلى البحار، فإن الإنسان أول ما يشاهد من السفينة الصواري ثم تظهر شيئاً فشيئاً، حتى تظهر بأجمعها، وكما هو المشاهد لمن كان حديد البصر وواقفاً في الأرض يشاهد الأفق من بعيد.

المبادرة

مسألة: تجب المبادرة للتصدي للفتن بمجرد أن ينجم قرنهما، كما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يصنع، تأسيساً به (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولأنه من إحكام الأمر وإتقانه، وقد ورد في الحديث: (رحم الله امرأ عمل

١- سورة الأنفال: ١٧.

٢- سورة الواقعة: ٦٤.

عملاً فأتقته» (١) ولما فيه من درء المفساد الكثيرة التي تترتب على التأخير.

ومن البين إن ذلك يتوقف - فيما يتوقف - على بعد النظر والرؤية المستقبلية كي يتنبأ الإنسان مسبقاً بما سيجري ويعرف أن هذه مقدمة بعيدة لذاك، وما يجري هو لبنة في بناء مستقبلي كذائي، وقد ورد في وصف أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً، ويحكم عدلاً» (عليه السلام) «(٢)».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحم الله امرئ رأى حقاً فأعان عليه ورأى جوراً فردّه وكان عوناً بالحق على صاحبه» (٣).

وقال (عليه السلام): «رحم الله امرئ أحيى حقاً وأمات باطلاً وادحض الجور وأقام العدل» (٤).

ترصد الفتن

مسألة: يجب الترصد الدائم والتفحص الحثيث عن أية فتنة قد تحدث، كما أشارت إلى ذلك (عليها السلام) في قولها: (كلما (عليه السلام) نجم (عليه السلام) أو فغرت... قذف أخاه (عليه السلام)) حيث كان (صلى الله عليه وآله) دائم اليقظة والحذر.

وفي الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة وهو معي في السماء الأعلى وهو الفاروق بين الحق والباطل». وهذه الرواية نقلها العامة أيضاً (٥).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستكون بعدي فتنة مظلمة، الناجي منها من تمسك بالعروة الوثقى، فقيل: يا رسول الله وما العروة الوثقى، قال: ولاية سيد الوصيين، قيل: يا رسول الله ومن سيد الوصيين، قال: أمير المؤمنين، قيل: يا رسول الله ومن أمير المؤمنين، قال: مولى المسلمين وإمامهم من بعدي، قيل: يا رسول الله ومن مولى المسلمين وإمامهم من بعدك، قال: أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام)» (٦).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من فتنة الشيطان فقال: ((يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة))» (٧) (١).

١- راجع الأمالي للصدوق: ص ٣٨٤ المجلس ٦١، وفيه عنه (صلى الله عليه وآله): إن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه.

٢- كشف الغمة: ج ١ ص ٧٧، صنعته (عليه السلام).

٣- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٧٩.

٤- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٨٠.

٥- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٢ ص ٤٤٩ الرقم ٩٠٢٥ و ٩٠٢٦، من ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكشف الغمة: ص ١٤٣ وص ٣٧٦.

٦- مائة منقبة: ص ١٤٩ المنقبة ٨١، والتحصيل: ٥٥٢.

٧- سورة الأعراف: ٢٧.

وقال تعالى: ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)) (٢).

وعلى ذلك فإنه من غير الصحيح اعتزال الناس، والابتعاد عن الخوض في البحوث السياسية والاقتصادية وشبهها مما يعرف الإنسان على خطط الاستعمار وبرامجهم، ومن أين ينفذون؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن هم عملاؤهم؟ وغير ذلك.

ومن الخطأ توهم أن ذلك الانعزال والابتعاد فضيلة بل الأمر بالعكس تماما، فإن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأبي ذر: «وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه» (٤).

أما أخبار الاعتزال فالمقصود بها شيء آخر كما بيناه في بعض كتبنا (٥).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى ومن خذلهما خذله الله تعالى» (٦).

قال (عليه السلام): «فضل العالم على العابد بسبعين درجة، بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما، وذلك ان الشيطان يصنع البدعة فيبصرها العالم فينهي عنها، والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها» (٧).

وقال (صلى الله عليه وآله): «فضل العالم على العابد كفضلي على سائر الأنبياء» (٨).

وقال (عليه السلام): «ساعة من عالم يتكى على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما» (٩).

وربما يتوهم إن (أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين) و (قذف أخاه في لهواتها) خاص بشؤون الحرب، لكن الظاهر شمولية ذلك لكل فتنة ومشكلة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أمنية أو اجتماعية أو غيرها، وذلك لأن الأصل في العطف ذلك (١٠).

وفي الواقع الخارجي خير شاهد ودليل على ذلك (١١) إضافة إلى ظهور (نجم قرن الشيطان (عليه السلام) أو

١- كمال الدين: ص ٨٦.

٢- سورة البقرة: ١٩٣.

٣- تحف العقول: ص ٣٥٦.

٤- أعلام الدين: ص ٢٠٥، مكارم الأخلاق: ص ٤٧٢.

٥- راجع كتاب (الفضيلة الإسلامية) للإمام المؤلف.

٦- غوالي اللئالي: ج ٣ ص ١٨٩ باب الجهاد ح ٢٧.

٧- روضة الواعظين: ص ١٢.

٨- أعلام الدين: ٨١.

٩- جامع الأخبار: ص ٣٧ الفصل ٢٠.

١٠- الأصل في عطف النسق هو عطف المغاير على المغاير، والاستثناء هو كونه عطفًا للخاص على العام أو شبهه (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين).

١١- إذ كان (عليه السلام) عضده (صلى الله عليه وآله وسلم) الأيمن في شتى المجالات، وسنده الأول في كل

فُغرت... فيه.

أو فُغرت فاعرة من المشركين

الموقف المناسب

مسألة: يجب أن يتخذ الإنسان الموقف المناسب إذا فُغرت فاعرة من المشركين.
قولها (سلام الله عليها): (أو فُغرت فاعرة من المشركين) يقال: فُغر فاه أي: فتحه، والمراد به تجمع المشركين لأجل محاربة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
وهناك فرق بين (نجم) و (فُغر)، فالنجم: الأول، والفُغر: التهيو والاستعداد، فإنه بعد ظهور القرن يظهر الفم الذي يهدف التهام الحق، ولا يراد بذلك الفم حقيقة وإنما هو نوع تشبيه، للذين يريدون إبطال الحق وإزهاقه بالفم الذي يهيم بقضم الطعام والتهامه.
قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ما رأيت منذ بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) رخاء والحمد لله، والله لقد خفت صغيراً وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين وأعادي المنافقين حتى قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) فكانت الطامة الكبرى، فلم أزل حذراً - إلى أن قال: - والله ما زلت أضرب بسيفي صبيهاً حتى صرت شيخاً، وأنه ليصبرني على ما أنا فيه أن ذلك كله في الله ورسوله» (١).

الأدب التصوري

مسألة: من الراجح - في الدعوة والتبليغ والإرشاد - استخدام أسلوب (الأدب التصوري) كما استخدمت السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) هذا الأسلوب (الأدب التصوري) في مقاطع شتى من هذه الخطبة، وفي هذه المقطع حيث تقول: (كلما أوقدوا ناراً للحرب... أو نجم قرن الشيطان (عليه السلام) أو فُغرت فاعرة (عليه السلام) كُذِف (عليه السلام) في لهواتها (عليه السلام) يطأ جناحها بأخمصه (عليه السلام) ويخمد لهبها (عليه السلام) الخ).
وهذا الأسلوب هو من أساليب القرآن الكريم من قبل كما في قوله سبحانه: ((كزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه)) (٢).

المحن، كما في قضية كشف تلك الجاسوسة التي كانت تريد اخبار مشركي قريش في فتح مكة - وهي قضية أمنية - وكقرانه (عليه السلام) سورة البراءة في قلب معقل الأعداء، وهو موقف إعلامي ومواجهة فكرية، سياسية صريحة وجريئة جداً... وللتنصيل راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم): ج ١ - ٢ للإمام المؤلف.

١- الإرشاد: ج ١ ص ٢٨٤ فصل ومن كلامه (عليه السلام) في تظلمه.

٢- سورة الفتح: ٢٩.

وقوله تعالى: ((مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاج كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور)) (١).
وقوله سبحانه: ((ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)) (٢).
وقوله تعالى: ((وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا)) (٣).

قذف

ثم إنه هل التشبيه والتمثيل من أصناف الأدب التصويري فهو مقسم لها، أم أنه مختص بتنزيل حقيقة منزلة أخرى (كالمعنوية منزلة المادية) دون استخدام أداة تشبيه؟ مبحث يرتبط بعلم البلاغة.

قذف

التعرض لصفات الإمام (عليه السلام) والتعريف به

مسألتان: تنقسم الصفات التي تحلى بها الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، إلى ما تجب معرفته ويجب التعريف به والإعلان عنه، وإلى ما يستحب معرفته والتعريف به.
فإمامته وخلافته من القسم الأول وهو واجب عيني في معرفته، ونصرته للإمام والمسلمين وشده أزر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المواطن الصعبة حيث كان منهجه (صلى الله عليه وآله وسلم) (أن يقذف أخاه في لهواتها) من القسم الأول أيضاً في الجملة، ومعرفة كثير من صفاته والتعريف بها مستحب بما هي هي، إلا فيما لو وجدت جهة المقدمة (٤) فتجب عندئذ عينا أو كفاية (٥).
وفي التاريخ إن رجلاً قال لابن عباس: «سبحان الله ما أكثر مناقب علي وفضائله، اني لأحسبها ثلاثة آلاف منقبة، قال ابن عباس: أو لا تقول انها إلى ثلاثين ألف أقرب» (٦).
نعم إن فضائله (عليه السلام) أكثر من أن تحصى ومن أن يعرفها أحد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري» (٧).

١- سورة النور: ٣٥.

٢- سورة الإسراء: ٣٧.

٣- سورة الأنعام: ٢٥.

٤- كما لو توقف معرفة إمامته (عليه السلام) على استقراء شتى صفاته ومختلف مصاديق نصرته كي يحصل الاطمئنان عند البعض.

٥- (عيناً) في المعرفة، (كفاية) في التعريف.

٦- كشف الغمة: ج ١ ص ١١٢.

٧- المناقب: ج ٣ ص ٢٦٧.

وقال (صلى الله عليه وآله): «جعل الله لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تحصى» (١).

وفي حديث آخر: «لا تحصى عددها كثرة» (٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): «لا يتقدمك بعدي إلا كافر ولا يتخلف عنك بعدي إلا كافر وإن أهل السماوات السبع يسمونك أمير المؤمنين بأمر الله تعالى» (٣).

التهلكة

مسألة: يحرم إلقاء النفس في التهلكة، ولكن ليس من مصاديقه: التضحية بالنفس في سبيل الله، فهي خارجة موضوعاً عن التهلكة كما لا يخفى (٤)، فليس قذف (صلى الله عليه وآله وسلم) أخاه في لهواتها خارجاً بالتخصيص بل بالتخصص.

قال تعالى: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) (٥).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) عندما فرض عليه قبول ولاية العهد: «اللهم إنك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لم أقبل ولاية عهده وقد أكرهت واضطرت كما اضطر يوسف ودانيال إذ قبل كل واحد منهما الولاية لطاغية زمانه، اللهم لا عهد لي إلا عهدي، ولا ولاية لي إلا من قبلك، فوفقتي لأقامة دينك وإحياء سنة نبيك، فانك أنت المولى والنصير، نعم المولى أنت ونعيم النصير» (٦).

وفي تفسير العياشي عن حذيفة قال: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)): «هذا في التقية» (٧).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «يا علي انك ستلقى من قريش شدة من تظاهروا عليك وظلمهم لك، فان وجدت أعواناً فجاهدهم، فقاتل من خالفك بمن وافقك فان لم تجد أعواناً فاصبر واكفف يدك ولا تلق بيدك إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى ولك بهارون أسوة حسنة، انه قال لأخيه موسى ((ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)) (٨)» (٩).

وعن اسلم قال: «غزونا نهاوند أو قال غيرها، واصطفينا والعدو صفين لم أر أطول منهما ولا أعرض، والروم قد الصقوا ظهورهم بحائط مدينتهم، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: لا إله إلا الله، ألقى بنفسه

١- الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٥٤ الباب التاسع.

٢- تأويل الآيات: ص ٨٤٤ سورة الاخلاص.

٣- مائة منقبة: ص ٥٣ المنقبة ٢٧.

٤- فإن في ما أمر الله به: الحياة لا الهلاك، والتهلكة هي إزهاق الروح لغير غرض عقلائي إلهي.

٥- سورة البقرة: ١٩٥.

٦- كشف الغمة: ج ٢ ص ٢٩٧.

٧- تفسير العياشي: ج ١ ص ٨٧ سورة البقرة.

٨- سورة الأعراف: ١٥٠.

٩- كتاب سليم بن قيس: ص ٧٢.

إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما تؤولون هذه الآية على أن حمل هذا الرجل يلتبس الشهادة، وليس كذلك، إنما نزلت هذه الآية فينا، لأننا كنا قد اشتغلنا بنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتركنا أهاليينا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلح ما فسد منها فقد ضاعت بتشاغلنا عنها فانزل الله إنكارا لما وقع في نفوسنا من التخلف عن نصرته رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإصلاح أموالنا، ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) (١) معناه إن تخلفتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقمتم في بيوتكم ألقيتم بأيديكم إلى التهلكة وسخط الله عليكم فهلكتم، وذلك رد علينا فيما قلنا وعزمنا عليه من الإقامة، وتحريض لنا على الغزو وما أنزلت هذه الآية في رجل حمل على العدو ويحرض أصحابه أن يفعلوا كفعله، أو يطلب الشهادة بالجهاد في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة» (٢).

هذا وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)): «لا تعدلوا عن ولايتنا فتهلكوا في الدنيا والآخرة» (٣).

وجوب التضحية

مسألة: تجب التضحية بالحياة فيما لو توقف حفظ الإسلام عليها كما ضحى الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه وأولاده وأصحابه في يوم عاشوراء، وتفصيل الكلام في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤).
فإن التضحية واجبة بشئ صورها حتى (بالانتحار) فيما لو توقف حفظ الإسلام عليه، وذلك مثل أن يلقي نفسه في مدخنة سفينة العدو، حيث يوجب احتراقه وبالتالي غرق السفينة، بسبب إطفاءها، كما حدث مثل ذلك في الحرب العالمية الثانية، وكشد شريط من المتفجرات حول جسده والانبطاح مثلاً أمام دبابات العدو.
وتشخيص الصغريات والمصاديق في هذا الباب بيد شورى الفقهاء، وإلا فالفقيه العادل الجامع للشرائط، وإن لم يكن فعدول المؤمنين، وإن لم يكونوا فللمكلف نفسه لو قطع بذلك.
قال تعالى: ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)) (٥).
وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «أفضل ما توسل به المتوسلون: الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله» الحديث (٦).

١- سورة البقرة: ١٩٥.

٢- اللهوف: ص ٢٩ - ٣٠.

٣- المناقب: ج ٣ ص ٢٠٧.

٤- راجع موسوعة الفقه: ج ٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- سورة التوبة: ١١١.

٦- علل الشرائع: ص ٢٤٧.

وقال (عليه السلام): «الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» (١).

بين التخصص والتنويع

مسألة: هل اللازم - على الإنسان - في الواجبات الكفائية (كالصناعات والعلوم والتصدي لأعداء الإسلام) التخصص كما هو مقتضى الإتقان، أم التنويع والشمولية، كما صنع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث (كلما (عليه السلام) نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة، من المشركين قذف أخاه في لهفاتها) فتأمل؟
وهل الأصل هذا أم ذاك، أم يقال بالتفصيل؟
وجوه، والظاهر إن الأمر يختلف باختلاف الأفراد، قوة وضعفاً، ومن حيث تنوع القابليات والقدرات و (عليه السلام) والظروف والحاجات وغيرها.

التصدي بسرعة

مسألة: يجب التصدي للفتن بسرعة وقوة كما هو المستفاد من عمله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن قولها (عليها السلام): (قذف أخاه (عليه السلام))، ومن البين أن القذف هو الرمي بقوة وشدة، والسرعة تستفاد من السياق (كلما (عليه السلام) قذف) ومن مادة (قذف) أيضاً. (٢)
وهي من مصاديق (المسارعة) الواجبة كتاباً (٣) وسنة وعقلاً في الجملة، وإن كان بعض مصاديقها مستحبة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ارتقب الموت سارع في الخيرات» (٤).

وقال (عليه السلام): «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات» (٥).

أخاه

١- كشف الغمة: ج ١ ص ٣١٤.

٢- في قوله تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)) سورة آل عمران: ١٣٣، و ((فاستبقوا الخيرات)) سورة البقرة: ١٤٨.

٣- إذا الرمي البطيء لا يسمى قذفاً إلا مجازاً فتأمل.

٤- الخصال: ص ٢٣١، كنز الفوائد: ج ٢ ص ١٦٢.

٥- جامع الأخبار: ص ١٠٩ الفصل ٦٦.

التضحية بالمهم

مسألة: لا تجوز التضحية بالأهم مع كفاية المهم، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقذف أخاه في لهواتها وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يبادر لوقاية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه كما في ليلة المبيت.

وقد روى الفريقان أنه «لما أراد النبي (صلى الله عليه وآله) الهجرة خلف علياً (عليه السلام) لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خروجه إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال: يا علي اتشح ببردي الحضرمي ثم نم على فراشي (عليه السلام)

فأوحى الله عزوجل إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فايكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختر كل منهما الحياة، فأوحى الله عزوجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند قدميه، وجبرئيل يقول (عليه السلام): بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك ملائكته، فانزل عزوجل على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((ومن الناس من يشري نفسه)) (١) الآية» (٢).

وكذلك في يوم أحد حيث قال جبرئيل: «يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي (عليه السلام)، قال (صلى الله عليه وآله): لأنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي» (٣).

التركيز على مركز الفساد

مسألة: يجب على القادر كفانياً، التركيز على مركز الفساد وعين الفتنة وقطب رحى الأعداء، كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث (قذف أخاه في لهواتها) تركيزاً عليها، وقد سبق ما يدل على ذلك.

التضحية حتى بالأحب

مسألة: يجب الإيثار والتضحية بكل شيء حتى أحب الأشياء وأعز الأشخاص - فيما لو توقف واجب أهم كحفظ بيضة الإسلام عليه - كما قالت (سلام الله عليها): (قذف أخاه (عليه السلام)).

فإن الإنسان يجب عليه أن يضحي بنفسه وبأعز ما لديه حتى ينتصر الحق، وقد قال أمير المؤمنين (عليه

١- سورة البقرة: ٢٠٧.

٢- تأويل الآيات: ص ٩٥ سورة البقرة عن الثعلبي في تفسيره.

٣- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٨٥.

الصلاة والسلام): - كما في نهج البلاغة - (فلما علم الله منا الصدق أنزل علينا النصر). (١)

وإنما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يباشر الحرب بنفسه محافظة منه على القيادة كما هو واضح، وقذف أخاه في لهواتها رغم انه خليفته، لعدم وجود البديل، وأما في الحروب الثلاثة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه (عليه السلام) كان يقود الحرب، وكان يقتحم صفوف الأعداء بنفسه أيضاً إما تشجيعاً، وإما لتوقف شحذهم الجيش، وبالتالي الانتصار على نزوله شخصياً لساحة المعركة، أو لاطمئنائه بالغبلة وعدم مقدرتهم على قتله لو أقتحم، فتأمل.

انتخاب الكفاء

مسائل: يجب انتخاب الأكفاء للمواقع الحساسة ويجب عليهم وجوباً كفانياً القبول، كما صنع (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما فعل (عليه السلام).

ويحرم فيها تحكيم (الروابط) على (الضوابط).

وأما انتخاب غير الأكفاء للمواقع غير الحساسة فهو بين محرم - كما لو كان فيه إضاعة حق، أو عد تفریطاً في الأمانة، أو كان على خلاف مرتكز أو شرط الموكل، أو ما أشبه ذلك - ومكروه.

ولو دار الأمر بين الكفوء والأكفأ في المواقع الحساسة كان من تعدد المطلوب، وربما وجب.

وما ذكرناه من أدلة لزوم شورى الفقهاء، فإن الشورى أكثر كفاءة من الفرد كما لا يخفى.

ويحرم أن يتصدى غير الكفوء لمنصب لا يليق به، ولذلك وردت روايات كثيرة في ذم من يتصدى لشؤون المسلمين وفيهم من هو أعلم منه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة» (٢).

وفي حديث: «وفيه من أعلم منه وأفقه» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها، فمن دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا ومن أم قوماً إمامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر» (٥).

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف» (٦).

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٣٥ ب ٣٥.

٢- علل الشرائع: ص ٣٢٦.

٣- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٠٦ عقاب من أم قوماً وفيهم من هو أعلم منه وأفقه.

٤- الاختصاص: ص ٢٥١.

٥- الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٣٥.

٦- تفسير العياشي: ج ٢ ص ٨٥ سورة البراءة ح ٤٠.

وقال (صلى الله عليه وآله): «ما ولت أمة أمرها رجالاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا» (١).

والإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) قام على المنبر حين اجتمع الناس مع معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إن معاوية زعم أنني رأيت للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية أنا أولى الناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني

لأعطتهم السماء قطرها والأرض ببركتها ولما طمعت فيها يا معاوية وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما ولت أمة أمرها رجالاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى (عليه السلام)» (٢).

وقال (عليه السلام): «من دعا إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو ضال مكلف» (٣).
وروي عن العالم (عليه السلام): «من دعا الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال» (٤).
وعن أبي ذر (رحمه الله): «إن إمامك شفيحك إلى الله تعالى فلا تجعل شفيحك إلى الله سفيهاً ولا فاسقا» (٥).

ذكر الإمام (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب ذكر الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كلما ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله) كما شفعت (صلوات الله عليها) ذكره (عليه السلام) بذكره (صلى الله عليه وآله).
فقد ذكرت (عليها السلام) الرسول (صلى الله عليه وآله) بصفات جمّة كما تقدم، وهكذا ذكرت أمير المؤمنين عليا (عليه الصلاة والسلام) بصفات جمّة تعريفاً به (عليه الصلاة والسلام) ولإفادة أن علياً (عليه السلام) له من المكانة الرفيعة ما يستحق بها الخلافة والقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).
قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فليقل: علي أمير المؤمنين» (٦).

وعنه (عليه السلام) قال: «الكلم الطيب (٧) قول المؤمن: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله

١- الاحتجاج: ص ١٥١.

٢- العدد القوية: ص ٥١.

٣- مشكاة الأنوار: ص ٣٣٣ في الرياسة.

٤- فقه الرضا (عليه السلام): ص ٣٨٣ باب البدع والضلالة.

٥- علل الشرائع: ص ٣٢٦.

٦- بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١ ب ١٠ ح ١.

٧- أي في قوله تعالى: ((إليه يصعد الكلم الطيب)) سورة فاطر: ١٠.

وخليفة رسول الله» (١).

وفي الحديث أنه: «كان نقش خاتم آدم (عليه السلام): لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» (٢).
وقال (عليه السلام): «من صاغ خاتماً من عقيق فنقش فيه: محمد نبي الله وعلي ولي الله، وقاه الله ميتة السوء ولم يمت إلا على الفطرة» (٣).

وعن ابن عباس قال حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لما عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، والحسن والحسين سبطا رسول الله، وفاطمة الزهراء صفوة الله، وعلى ناكههم وبأغضهم لعنة الله تعالى» (٤).

وفي حديث عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «أما أبواب الجنة، فعلى الباب الأول مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» (٥).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ما استقر الكرسى والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرضون إلا كتب الله عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله» (٦).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن العبد إذا قال في أول وضوئه أو غسله من الجنابة: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن علياً وليك وخليفتك بعد نبيك على خلفيتك، وإن أوليائه وأوصيائه خلفائك، تحانت عنه ذنوبه كلها كما يتحات ورق الشجر، وخلق الله بعدد كل قطرة من قطرات وضوئه أو غسله ملكاً يسبح الله ويقدسسه ويهلله ويكبره ويصلي على محمد وآله الطيبين وثواب ذلك لهذا المتوضئ» الحديث (٧).

الشهادة الثالثة في الأذان

مسألة: ونظراً لهذا الكلي ولروايات عديدة (٨) التزمنا تبعا لعدد من الفقهاء (٩) باستحباب الشهادة الثالثة

١- تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٠٨ سورة فاطر، ومثله تأويل الآيات: ص ٦٩.

٢- مكارم الأخلاق: ص ٩٠ في نقوش الخواتيم.

٣- أعلام الدين: ص ٣٩٢.

٤- الفضائل: ص ٨٣.

٥- الفضائل: ١٥٢.

٦- مائة منقبة: ص ٩٤ المنقبة ٢٤.

٧- تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ص ٢٢٥.

٨- ومنها: إن سلمان الفارسي (رحمه الله) أذن مع الشهادة الثالثة ولما شكى بعض الصحابة للرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك جبههم (صلى الله عليه وآله) بالتوبيخ والتأنيب وأقر لسلمان هذه الزيادة.

ومنها: إن أبانر الغفاري (رحمه الله) أيضا هتف بها في الأذان - بعد بيعة الغدير - فرفعوا ذلك للرسول (صلى الله عليه وآله) فقال: (أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية أما سمعتم قلبي في أبي ذر (رحمه الله): (ما

(أشهد أن علياً ولي الله) في الأذان والإقامة بل وجزيتها أيضاً (٢)، وقد ذهب البعض إلى وجوبها - من باب الشعارية - كما لا يخفى.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنا أول أهل بيت نوه الله بأسمائنا، إنه لما خلق الله السماوات والأرض أمر منادياً فنادى: أشهد أن لا إله إلا الله ثلاثاً، أشهد أن محمداً رسول الله ثلاثاً، أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً ثلاثاً» (٣).

اللهوات

قولها (عليها السلام): (قذف أخاه في لهواتها) أي: قذف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخاه علياً (عليه الصلاة والسلام) في فم تلك الحرب، فإن اللهوات جمع (لهات) ولهات عبارة عن: اللحمية في أقصى الفم، فكان علي أمير المؤمنين (عليه السلام) يغوص في عمق الجيش، يقتلهم ويقاثلهم حتى يبيدهم. وفي التاريخ أن صعصة خاطب الخوارج في النهروان وقال: «أولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا اشتدت الحرب قدمه - أي علياً (عليه السلام) - في لهواتها فيطوق صماخها بأخمصه، ويخمد لهيبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، عنه يعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون، فأنى تصرفون وأين تذهبون» (٤).

والحاصل أنه كلما عرضت مشكلة أو داهية أو حرب بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) لدفعها وعرض علياً (عليه السلام) للمهالك وكان علي (عليه السلام) مقدماً على ذلك ومبادراً إلى كل ذلك.

والإتيان بـ (لهوات) بصيغة الجمع لأن للحرب لهات من اليمين واليسار والخلف والأمام والقلب، ولذا يسمى الجيش بالخميس، لأنه ذو جوانب خمسة، كما كانت العادة في تنظيم الجيوش سابقاً وهي مستمرة إلى الآن وإن تغيرت وسائل الهجوم أو الدفاع من الوسائل البدائية إلى الوسائل المعقدة كالأسلحة النارية ونحوها.

أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر... راجع موسوعة الفقه: ج ١٩ ص ٣٣١ - ٣٣٢.

١- ومنهم صاحب الحقائق وصاحب المستند والعلامة المجلسي (قدس سرهم) حيث قالوا بالجزئية، ويظهر من صاحب الجواهر (رحمه الله) الميل إليها، كما يظهر من العلامة الطباطبائي (رحمه الله) ذلك أيضاً. وممن قال بالاستحباب - ولو من باب العمومات - الفقيه الهمداني (رحمه الله) في مصباح الفقيه والسيد الحكيم (رحمه الله) في المستمسك (يقصد الاستحباب المطلق) ومن المعاصرين ذهب عديد إلى ذلك (منهم السيد المستنبت) (للتفصيل راجع موسوعة الفقه المجلد ١٩ ص ٣٣٣ - ٣٣٥).

٢- يراجع حول هذا المبحث: موسوعة الفقه ج ١٩ كتاب الصلاة ص ٣٢٤ - ٣٣٥ و...

٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٠٤ المجلس ٨٨ ح ٤.

٤- الاختصاص: ص ١٢١.

فلا ينكفى حتى يطأ جناحها(١) بأخمصه

التراجع

مسألة: ينبغي للإنسان أن لا يتراجع من الأمر حتى يكمله، قال تعالى: ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم)) (٢) وقد يجب ذلك فيما إذا كان مانعاً عن النقيض.

وفي الحديث الشريف: (رحم الله امرأ عمل عملاً فاتقته)(٣).

فالقم توطأ والقرن يقطع، وهاتان الجملتان إشارة إلى الجملتين السابقتين وقد قدمت (عليها السلام) ما يرجع إلى الجملة الثانية(٤) حيث قالت (عليها السلام): ها هنا (حتى يطأ) وأخرت ما يرجع(٥) إلى الجملة السابقة حيث قالت هنالك: (أو نجم) من باب اللف والنشر المشوش، وله جمال خاص، كما أنه في عكسه أي في اللف والنشر المرتب جمال من نوع آخر أيضاً.

قولها (عليها السلام): (فلا ينكفى) أي لا يرجع، من (انكفى) بالهمزة بمعنى الرجوع، أي أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان لا يرجع منهزماً وخائباً وخائفاً كما كان بعض الصحابة كذلك(٦)، ولهذه الجملة إطلاقها الأحوالي

والأزمانى البين كما لا يخفى.

هذا وقد سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين علياً (عليه السلام): كراراً غير فرار في حديث خبير وغيره(٧)، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فدعا بعلي (عليه السلام) فجاء به وكان أرمداً، فبصق في عينيه فبرأنا وأعطاها الراية فمضى وكان الفتح»(٨).

الأقل والأكثر الارتباطيان

مسألة: الفتنة وأشباهها قد تكون بنحو الأقل والأكثر الارتباطيين وقد تكون بنحو الاستقلالين. وبإطافانها وإخمادها نهائياً يكون المكلف قد أدى واجبه فيهما.

١- وفي بعض النسخ: (حتى يطأ خماصها).

٢- سورة الممتحنة: ٨.

٣- راجع أمالي الصدوق: ص ٣٨٤ المجلس ٦١.

٤- الجملة الثانية هناك هي (أو فغرت فاغرة من المشركين) وما يرجع إليها هو (حتى يطأ).

٥- الذي يرجع للجملة السابقة هو (ويخمد لهبها بسيفه) والجملة السابقة هي (أو نجم).

٦- انظر قصة غزوة الخندق حيث رجع العديد من الصحابة منهزمين خائبين خائفين.

٧- المناقب: ج ٢ ص ٨٤.

٨- الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١ تنمة الباب التاسع.

وبإخادها في الجملة - في بعض مراحلها أو مراتبها - يكون في الاستقلاليين قد امتثل في الجملة، وفي الإرتباطيين لا يكون ممثلاً أصلاً^(١)، ولعل ذلك من أوجه (حبط الأعمال) أو شبيها به.^(٢)

وقولها (عليها الصلاة والسلام): (فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه) يشير بإطلاقه إلى أنه (عليه الصلاة والسلام) كان - في كلا القسمين - دائم الامتثال وكامله، فهو لا يرجع ولا يتراجع حتى ينهي المهمة على أكمل وجه و (حتى يطأ جناحها بأخمصه).

إدلال الكفار

مسألة: هل إدلال الكفار واجب أم حرام؟

أما إدلال أهل الذمة بإيذائهم فمحرم، وقد ورد في الحديث الشريف: (من آذى ذمياً فقد آذاني)^(٣)، إلا فيما كان جعله كذلك كما في قوله تعالى: ((حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))^(٤).

وأما الكافر الحربي فلا حرمة له في الحرب، لكن الإدلال له مطلقاً بحيث يدخل تحت عنوان الإيذاء فمشكل، نظراً لعدم القول بحلية مطلق إيذاء الكافر.

وربما قيل بأن مراتب منه^(٥) محللة كما في وصفها (عليها السلام) للإمام علي (عليه السلام) هاهنا حيث قالت: (فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه)، ومراتب منه مشكوك، ومراتب محرمة، فليتأمل. فان الحكم في الحرب وغيره يختلف..

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن علياً (عليه السلام) صاحب رجلاً ذمياً، فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟

قال: أريد الكوفة.

فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي (عليه السلام)، فقال الذمي له: أليس زعمت تريد الكوفة.

١- كما إن من صلى من صلاة الظهر ثلاث ركعات فقط لا يعد ممثلاً أصلاً، ولأقل والأكثر الإرتباطيين في القضايا السياسية والاجتماعية والأمنية وغيرها أمثله كثيرة، منها: ما لو كلفت الدولة شخصاً أو مجموعة بالعثور على ألغام زرعتها جماعة مخربة بتفجير سد أو معمل أو شبه ذلك فلو اكتفى هذا الشخص أو المجموعة بالعثور على معظم الألغام أو كلها ناقصاً واحداً - في فرض أن اللغم الواحد أيضاً يكفي لتدمير السد أو المعمل - فإنه لا يعد ممثلاً أصلاً بل يستحق العقاب.

٢- قال تعالى: ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)) (سورة الفرقان: ٢٣) وقال سبحانه: ((اولئك حبطت أعمالهم)) (سورة التوبة: ١٧ و ٦٩) فالمعصية اللاحقة قد تنسف أجر العمل السابق بالكامل.

٣- انظر الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٣، وراجع شرح النهج: ج ١٧ ص ١٤٧ وفيه: «من آذى ذمياً فكأنما آذاني» عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

٤- سورة التوبة: ٢٩.

٥- أي من الإدلال وإن دخل تحت عنوان الإيذاء.

قال: بلى.

فقال له الذمي: فقد تركت الطريق.

فقال له: قد علمت.

فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟

فقال له علي (عليه السلام): هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنية إذا فارقه، وكذلك أمرنا نبينا.

فقال له: هكذا.

قال: نعم.

فقال له الذمي: لا جرم انما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة وانما انا أشهدك اني على دينك، فرجع الذمي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه أسلم» (١).

إذلال رؤوس الفتن

مسألة: هل يستفاد من (فلا ينكفى حتى يطا جناحها بأخصه) جواز أو رجحان إذلال رؤوس الفتنة وعناصرها (٢)؟

ربما يقال باستفادة ذلك عرفاً من هذه الجملة مع لحاظ قوله تعالى: ((ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه)) (٣) وما أشبه ذلك.

وبلحاظ أن السيرة وبناء العقلاء على ذلك من باب المقدمة (٤) أو المقابلة بالمثل أو العقوبة أو مطلقاً أو لأنه (قد أقدم) (٥) فتأمل.

قولها (عليها السلام)، حسب بعض النسخ: (حتى يطا صماخها بأخصه)، الصماخ بمعنى ثقبه الأذن كما يعبر بالصماخ عن الأذن نفسها، ومعنى ذلك: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يسحق تلك الفتن والحروب برجله، فإن الأخص عبارة عما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، وهذا التعبير كناية عن غاية تمكنه من الفتنة وسيطرته عليها وإذلال القائمين بها بحيث لا تقوم لهم قائمة بعدها أبداً.

ويخمد لهبها بسيفه

١- قرب الإسناد: ص ٧.

٢- كعرض صورهم في التلفزيون أو القيام بحركة استعراضية عبر سوقهم في الشوارع والأزقة وغير ذلك مما هو أشد في الإذلال أو أخف.

٣- سورة إبراهيم: ٤.

٤- كردعهم عن العود، لإشعال نار الحرب أو الفتنة، وكردع الآخرين عن القيام بمثل ما قاموا به.

٥- الظاهر أن المراد: انه قد أقدم على هتك حرمة نفسه بنفسه وأسقط حرمة بإقدامه على الدخول في الفتنة، عرفاً وعقلاً.

إخماد لهب النيران

مسألة: يجب إخماد لهب نيران الحرب كما سبق، وقولها (سلام الله عليها): (ويخمد لهبها بسيفه) يعني: إن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يخمد لهيب تلك الفتن والحروب بسيفه دفاعاً عن الإسلام. وأصل اللهب عبارة عن لهيب النار، فشبهت لهيب الحرب بلهب النار، وشبهت السيف بالماء الذي يصب على النار فتخمد.

وهذه الجمل السابقة واللاحقة إشارة إلى جهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وبلانه بلاءً حسناً مستمراً في كل القضايا الكبرى التي حولها له الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو الذي يستحق أن يكون خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيره، إذ أنه الذي خرج من كل الامتحانات الكبرى ظافراً منتصراً في أدوار شديدة الأهمية، فرآه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده فقط المؤهل للتصدي لها على مر السنين.

هذا ويمكن القول بأن (حتى يطأ جناحها بأخمصه) إشارة للجانب المعنوي والاعتباري للفتنة، و (يخمد لهبها بسيفه) إشارة للجانب المادي والحسي لها، نظراً لأن للفتنة عوامل مادية محسوسة: من عدة وسلاح ورجال وأموال، وعوامل غير مادية: من تفكير وتخطيط ومؤامرات وإشاعات تهدف إضعاف معنوية جند الإسلام، إلى غير ذلك.

علم التاريخ

مسألة: كما يجب تدوين علم الرجال وعلم الحديث وشبههما مما هو مقدمة لتحصيل الأحكام الشرعية، كذلك يجب - وجوباً كفائياً في الجملة - تسجيل وقائع التاريخ وتوثيقها ومدارسها وتعليمها وجرحها وتعديلها، لكون الكثير منها يقع أيضاً مقدمة لتحصيل الأحكام (١)، وأكثر من ذلك ما يقع مقدمة لـ (الفقه الأكبر) (٢) ولمعرفة الحق من الباطل في الأمور العقائدية.

وقد رد في الحديث الشريف عنه (صلى الله عليه وآله): (من ورخ مؤمناً فكانما أحياء) (٣) إذ ((لقد كان في قصصهم عبرة)) (٤) ولأنها تكشف عن (سنة الله) التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً (١) ..

١- كوقائع حروبه (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلحه ومعاهداته وقصص تعامله مع المؤمنين والمنافقين والكفار و... وكذلك سائر المعصومين (عليهم السلام)، بل إن الكثير من الوقائع التاريخية مما ينفع في فهم الأخبار) ومدى اكتنافها بالقرآن المقامية - كالتقية مثلاً -.

٢- الذي أشير إليه في الآية الشريفة بـ ((اليتفقوا في الدين)) (سورة التوبة: ١٢٢) وهو يشمل الأحكام الشرعية وأصول الدين والعقائد والأخلاق وغيرها.

٣- سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١ ط القديمة مادة (ورخ).

٤- سورة يوسف: ١١١.

فالمستقبل هو الوجه الآخر للتاريخ وسيصنع على ضوء ما يعرفه المرء من الماضي وعلى حسب كيفية رؤيته له إجمالاً (٢).

وذلك هو منهج القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في سرد قصص الأنبياء (عليهم السلام) والأمم السابقة وأحوالهم وما لهم وما عليهم.

وكلماتها (عليها السلام) في هذه الخطبة تعد من أهم المصادر التاريخية التي تكشف جانباً مما جرى يومذاك، وترسم الصورة الدقيقة للوقائع وتضع أدق الأوصاف لأهم الأحداث.

فإذا أردنا وصف مولى الموحدين (عليه السلام) - مثلاً - فلا أدق من كلماتها في وصفه مما تجد بعضاً منها في هذه الصفحات.

وإذا أردنا وصف حال الجاهليين ومعاناة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا تجد أروع وأجمل وأعمق من تعابيرها وكلماتها (عليها الصلاة والسلام)، وهكذا وهلم جرأً.

فمن اللازم أن يكتب التاريخ على ضوء كلماتها (عليها السلام) ومستمدًا من هديها، ومقتفياً أثرها، وأن تعتبر كلماتها الحكم في أي تعارض بين كلمات المؤرخين، وأن تقيم مدى صدق وصحة التواريخ المكتوبة على ميزان كلماتها (صلوات الله عليها وأزكى السلام) فإنها الصديقة الكبرى.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصديقة الكبرى ابنتي» (٣).

وقال الصادق (عليه السلام): «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة والصديقة والمباركة والطاهرة والزكية والرضية والمرضية والمحدثّة والزهراء» (٤).

وفي الحديث عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: «إن فاطمة (عليها السلام) صديقة شهيدة» (٥).

وجاء في الزيارة: «السلام على ابنتك الصديقة الطاهرة» (٦).

و: «السلام عليك يا بن الصديقة الطاهرة» (٧).

و: «وصل على الصديقة الطاهرة الزهراء فاطمة» (٨).

١- إشارة إلى قوله تعالى: ((فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً)) سورة فاطر: ٣٤.

٢- راجع (الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف (دام ظله).

٣- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٢ المجلس ٦ ح ٥.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٥٩٢ المجلس ٨٦ ح ١٨.

٥- مسائل علي بن جعفر (عليه السلام): ص ٣٢٥ ح ٨١١.

٦- المقتعة: ص ٥٩٤.

٧- المقتعة: ص ٤٦٩.

٨- الإقبال: ص ٦٠.

و: «السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة» (١).

مكدودا في ذات الله (٢)

الكد حسن أم قبيح؟

مسألة: الكد بما هو هو قد لا يكون حسناً ولا قبيحاً ولا مما يؤجر عليه الإنسان، بل (الجهة) هي التي تكسبه حسناً أو قبحاً، أو وجوباً أو استحباباً أو حرمة أو ما أشبهه.

قال تعالى: ((المثل هذا فليعمل العاملون)) (٣).

وقال سبحانه: ((إنما يتقبل الله من المتقين)) (٤).

وقال تعالى: ((وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)) (٥).

وقال عز وجل: ((واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر)) (٦).

و: «إنما الأعمال بالنيات» (٧).

و: «لكل امرئ ما نوى» (٨).

و: (لو أن عبداً أتى بالصالحات (عليه السلام))، إلى غير ذلك.

ولعل ذلك من جهات كون (نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل) (٩).

ولذلك لم تطلق (سلام الله عليها) (مكدودا) في وصفه (عليه السلام) بل قيدته بها هو كالفصل للجنس حيث قالت: (في ذات الله) وبما هو قوام قيمته ومحبوبيته.

ومن ذلك يعرف أن (الأصل) ليس هو (العمل) بل هو (كيفية العمل)، وقد ورد في الحديث عنه (صلى الله عليه وآله): (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم) (١٠).

وقال (عليه السلام): «إن الله خص محمداً بالنبوة واصطفاه بالرسالة وأنبأه الوحي فأنا الناس وأنال، وعندنا أهل البيت معاقل العلم وأبواب الحكم وضيء الأمر، فمن يحبنا ينفعه إيمانه ويتقبل عمله، ومن لا يحبنا لا

١- الإقبال: ص ٦٢٤.

٢- وفي بعض النسخ: (مكدوداً دؤوباً في ذات الله).

٣- سورة الصافات: ٦١.

٤- سورة المائدة: ٢٧.

٥- سورة الفرقان: ٢٣.

٦- سورة المائدة: ٢٧.

٧- دعائم الإسلام: ج ١ ص ٤.

٨- مسائل علي بن جعفر (عليه السلام): ص ٣٤٦.

٩- مستطرفات السرائر: ص ٦٢٠.

١٠- جامع الأخبار: ص ١٠٠، الفصل ٥٦.

ينفعه إيمانه ولا يتقبل عمله وإن دأب الليل والنهار» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يقل مع التقوى عمل، وكيف يقل ما يتقبل» (٢).

وقال (عليه السلام): «افترق الناس كل فرقة واستشيعوا كل شيعة فاستشيعتم مع أهل بيت نبيكم، فذهبت حيث ذهب الله واخترت ما اختار الله وأحببت من أحب الله وأردتم من أراد الله، فابشروا ثم ابشروا، فأنتم والله المرحومون، المتقبل من

محسنكم والمتجاوز عن مسيئكم، من لم يلق الله بمثل ما أنتم عليه لم يتقبل الله منه حسنة ولم يتجاوز عنه سيئة» (٣).

وعن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قلت له بمكة أو بمنى: يا بن رسول الله ما أكثر الحاج! قال: ما أقل الحاج، ما يغفر الله إلا لك ولأصحابك ولا يتقبل إلا منك ومن أصحابك» (٤).

وقال ابن عباس: «يا رسول الله، إن توصيني بشيء، قال: يا ابن عباس، أعلم أن الله عز وجل لا يتقبل من أحد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب، وهو أعلم بذلك، فإن كان من أهل ولايته قبل عمله على ما كان فيه (عليه السلام)» (٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «امح الشر من قلبك تترك نفسك ويتقبل عملك» (٦).

وقال (عليه السلام): «أنك لن يتقبل من عملك إلا ما أخلصت فيه ولم تشبه بالهوى وأسباب الدنيا» (٧).

الكذب في ذات الله

مسألة: يستحب الكذب في ذات الله سبحانه.

ومعنى (في ذات الله) أن يكون لأجل الله عز وجل وحده خالصا مخلصا له، لا يشوبه رياء ولا سمعة ولا شك ولا شرك ولا ما أشبه ذلك، فـ (مكدودا في ذات الله) في قبال الكسالى وفي قبال العاملين الذين لا يكدون، وفي قبال من يكذب لكنه ليس لذات الله وحده.

وقد ورد في الزيارة: «وصبرت في ذات الله» (٨).

وقال (عليه السلام): «ولعمري ما الإمام إلا الحاكم القائم بالقسط الدائن بدين الله، الحابس نفسه على ذات

١- الإرشاد: ج ١ ص ٢٤١.

٢- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٨٤ المجلس ٢٦ ح ١.

٣- الاختصاص: ص ١٠٤ - ١٠٥.

٤- بشارة المصطفى: ص ٧٣.

٥- الفضائل: ص ١٦٨ - ١٦٩.

٦- غرر الحكم: ص ١٠٦ ح ١٩٠٩.

٧- غرر الحكم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٣.

٨- المزار: ص ١٠٩.

الله» (١).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما ابتلى المؤمن بشيء أشد من المواساة في ذات الله عز وجل والإتصاف من نفسه وذكر الله كثيراً» (٢).

ولا يخفى أن كلمة (في) بمعنى النسبة في أمثال هذه المقامات، كما قالوا: (الواجبات الشرعية أطاف في الواجبات العقلية) وتتصور الظرفية أيضاً بلحاظ التنزيل.

وجه الاستدلال على الخلافة

مسألة: وجه الاستدلال فيما وصفته (صلوات الله عليها) من الصفات على كون أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو الأحق بالخلافة:

١: بلحاظ مجموع هذه الصفات من حيث المجموع.

٢: بلحاظ كل واحدة واحدة من الصفات من حيث مرتبتها التشكيكية - بلحاظ الإطلاق والسياق والقرينة المقامية.

٣: بلحاظ انتخاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له (عليه السلام) في بعض تلك الصفات من حيث كاشفيتها عن الأصلح أو عن الانحصار فيه، في مراتب لا تصل بأهمية الخلافة فكيف بالأرقى وهو الخلافة، أي فيما لا يرقى إلى درجة الخلافة في الخطورة والأهمية.

قولها (عليها السلام): (مكدوداً) أي: أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يكده نفسه ويتعبد غاية التعب.

(في ذات الله) أي في أمر الله وما يرتبط به جل شأنه، وحده مخلصاً لا يشرك في ذلك أحداً.

وكان (عليه السلام) لا يريد بذلك مالا ولا جاهاً ولا امرأة كما كان بعض الصحابة يريدون ذلك، ولهذا سمي أحدهم بـ (شهيد الحمار) لما قتل في الحرب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان خروجه لأجل حمار أحد المشركين يريد اقتناؤه،

وسمي الآخر بـ (شهيد أم جميل) لأنه كان يريد بحربه أن ينال امرأة جميلة في جيش الأعداء تسمى بأم جميل، وهكذا، فلم يكن أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) يريد شيئاً من ذلك أبداً، وإنما يريد الله وحده وحده، كما ورد في شأنهم (عليهم السلام): ((إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً)) (٣).

وربما يقال: إن قولها (عليها السلام): (مكدوداً في ذات الله) بإطلاقه الأحوال والأزماني (٤) يشير إلى نفس ما صرح به سيد الموحدين (عليه السلام) حيث قال: (ما عبدتك خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك بل وجدتتك

١- المناقب: ج ٤ ص ٩٠.

٢- مشكاة الأنوار: ص ٥٧ الفصل ١٥.

٣- سورة الإنسان: ٩.

٤- أي مكدوداً في كل أحواله وفي كل الأزمنة.

أهلاً للعبادة فعبدتك)) (١).

مجتهدا في أمر الله

أصالة الأسوة

مسألة: الأصل في كل صفة تذكر للمعصومين (عليهم الصلاة والسلام): (الأسوة)، فقولها (عليها السلام): (فلا ينكفى حتى يطأ (عليه السلام) ويخمد (عليه السلام) مكدوداً في ذات الله (عليه السلام) مجتهداً في أمر الله.. الخ) يقتضي لزوم الإتيان في الجملة، ورجحانه مطلقاً، وما خرج خرج بالدليل، ومن ذلك يستفاد رجحان الاجتهاد في أمر الله عز وجل.

ثم إن الإتيان في كل بحسبه وعلى درجة تعقله وتحمله، إذ ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) (٢) و ((إلا ما أتتها)) (٣).

ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» (٤) ولهذا المبحث تفصيل نتركه لمجال آخر.

ولعل الفرق بين (الكد) و (الاجتهاد) أن الأول عملي والثاني علمي، حيث قالت (سلام الله عليها): (في أمر الله)، لأن أمر الله يحتاج إلى الاستنباط والاستخراج فتأمل.

ثم إن الاجتهاد في كلامها (عليها السلام) لا يراد به الاجتهاد المعروف عند الفقهاء - المصطلح عليه بالوضع التعيني لاحقاً - فإن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) عالم بكل الأحكام لا عن الاجتهاد، بل بإلهام من الله تعالى وعطاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعبر النكت في القلب والنقر في الأسماع ورؤية عمود النور، وشبه ذلك مما تجد تفصيله في الأخبار، بل المراد بالاجتهاد بذل غاية الجهد بالنسبة للأحكام الإلهية وأوامره (٥).

ويمكن أن يقال في الجملة، غير هذا الذي ذكرناه، إذ من المحتمل أن يراد بـ (مكدوداً (عليه السلام)) الإشارة إلى ما توجه نحوه (عليه السلام) من ضغوط ومتاعب وأذى، وبـ (مجتهداً..) ما حمل نفسه من جهد وعناء في سبيل الله، وهما كاللزام والملزوم (٦).

١- غوالي اللئالي: ج ٢ ص ١١ ح ١٨.

٢- سورة البقرة: ٢٨٦.

٣- سورة الطلاق: ٧.

٤- إرشاد القلوب: ص ٢١٤، وفي نهج البلاغة أيضاً، كتابه (عليه السلام) إلى عثمان ابن حنيف الأنصاري.

٥- ربما يكون المراد من (بالنسبة للأحكام الإلهية): تعليمًا وتوضيحًا ودفعًا للشبهات، أو تفكيرًا وتدبرًا باعتباره (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أجلى مصداق للعمل بالآيات الداعية للتفكير والتدبر.

٦- أي انهما وجهان لعملة واحدة - حسب التعبير المستحدث - وتوضيحه: إن لازم (الاجتهاد في أمر الله) هو

وبعبارة أخرى: فإن (المتنمر في ذات الله) - كما وصف عليه السلام به - يواجه صعوبتين:
 الأولى: نابعة من صميم طبيعة الاجتهاد والتنمر كحرمان المرء نفسه من شتى اللذائذ الحسية كالنوم والمأكل والملبس والمركب الفاره وغير ذلك مما يقتضيه الاجتهاد والجهاد.
 والثانية: نابعة من طبيعة رد فعل المجتمع تجاه ذلك المتنمر المجتهد، حيث أنهم يتألبون ضده ويتربصون به الدوائر ويحيكون ضده المؤامرات ويثير فيهم حسدا وكرهية، لكونه يهدد مصالحهم (وما نعموا من أبي الحسن إلا شدة تنمره في ذات الله)(١).
 وكما قالوا لولده الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء: (نقتلك بغضا منا لأبيك).
 فأشارت (عليها السلام) للجهة الأولى بقولها: (مجتهدا في أمر الله)، وللثانية بـ: (مكدودا في ذات الله).

من صفات القائد

مسألة: على القائد أن يكون في كد واجتهاد دانمين، ويدل عليه سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وسائر أهل البيت (عليهم السلام) كما على سائر المؤمنين أيضاً - وجوبا أو استحبابا - تأسيساً ونظراً لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)(٢).
 ولقوله سبحانه: ((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك)) (٣) أي يلزم أن يستمر الكدح الذي جهته ((إلى ربك))، بناء على كونها جملة خبرية في مقام
 الإنشاء حتى يصل الإنسان إلى دار حقه (٤) فيموت، ولغير ذلك، إلا أن الأمر في القائد أكد والحكم له ألزم كما لا يخفى.
 والمراد بالكدح في الآيات: الأعم من الكد والاجتهاد، إذ أنهما إذا ذكر كل واحد منهما منفردا شمل كليهما، وإذا ذكرا معا كان لكل معنى في قبال الآخر، ذلك أنهما كالظرف والجار والمجرور: (إذا اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا)(٥).
 وفي الزيارة: «أشهد أنك أديت عن الله وعن رسوله صادقاً وقلت آميناً ونصحت لله ولرسوله مجتهداً»(٦).
 والاجتهاد كل ما يكون فيه جهد على النفس ومشقة لها.
 وفي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «من اجتهد من أمتي بترك شهوة من شهوات الدنيا

شدة التعب والنصب فلأنه (عليه السلام) كان مجتهداً في أمر الله أضحي مكدودا متعبا وتوجهت نحوه الضغوط.

١- بحار الأنوار: ج ٣ ص ١٥٨ ب ٧ ح ٨.

٢- غوالي اللئالي: ج ١ ص ١٢٩.

٣- الانشقاق: ٦.

٤- إشارة إلى قوله تعالى: ((واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)) سورة الحجر: ٩٩.

٥- راجع كتب اللغة والنحو.

٦- المزار: ص ١٠٩.

فتركها من مخافة الله آمنه الله من الفزع الأكبر وأدخله الجنة» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من اجهد نفسه في إصلاحها سعد» (٢).

وفي الحديث عنه (عليه السلام) قال: «خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش يسبحه بجميع اللغات المختلفة فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا ويطلع إلى أهل الأرض ويقول: (عليه السلام) يا أبناء الأربعين جدوا واجتهدوا» الحديث (٣).

قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وقال (عليه السلام): «اجتهدوا في العمل فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي» (٤).

وعنهم (عليهم السلام): «جدوا واجتهدوا وإن لم تعملوا فلا تعصوا» (٥).

قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

مسألة: يستحب أو يجب - حسب اختلاف الموارد - أن يسعى الإنسان ليكون قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل شؤونته وفي جميع أموره: في الفكر والعمل، والقلب والقالب، في مأكله ومشربه، وملبسه ومنكحه، ويقتضيه ومنامه وغير ذلك، كما كان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) كذلك، حيث وصفته السيدة الزهراء (عليه السلام) ههنا بقولها: (قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله))، وهي إحدى أهم فضائله (عليه السلام).

هذا إذا أريد بـ (قريباً) معنى القرب العملي، أي قريباً (في أعماله) أو (من حيث العمل) منه (صلى الله عليه وآله)، وأما إذا أريد بـ (قريباً): القرب النسبي أي (ذو قرابة) من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو أيضاً بيان لإحدى فضائله (عليه الصلاة والسلام) حيث أن القريب يرث - بالمعنى الأعم والأخص (٦) أيضاً - قريبه إذا كان مؤهلاً (٧) للإرث ولم يكن ثمة مانع.

١- إرشاد القلوب: ص ١٨٩ ب ٥٢.

٢- غرر الحكم: ص ٢٣٧ ح ٤٧٧٠.

٣- إرشاد القلوب: ص ١٩٣ ب ٥٢.

٤- أعلام الدين: ص ١٥٣ باب صفة المؤمن.

٥- عدة الداعي: ص ٣١٣.

٦- الإرث بالمعنى الأخص: إرث الأموال، و بالمعنى الأعم: إرث العلم والمسؤولية، والاعتبار وما أشبه ذلك، كما قال (صلى الله عليه وآله): «علي أخي ووزير ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي» التحصين لابن طاووس: ص ٦٣٣.

٧- أشار الإمام المصنف بقوله (إذا كان مؤهلاً) إلى نكتة دقيقة وهي أن قوام الإرث بالمعنى الأخص: النسب، أما

وقد ورد في الحديث: (لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته). ويمكن أن يراد بكلمة (قريباً): الجامع بين كلا المعنيين فهما مصداقان لذلك الكلي. وهل يستحب طلب القرابة النسبية أو السببية؟

يحتمل ذلك، قال (صلى الله عليه وآله): «كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي» (١). ويحتمل أن يراد من قولها (عليه السلام): (قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) قريباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حروبه بل مطلقاً. أو تعني (عليه السلام) - كما سبق - أنه (عليه السلام) من أقرب أقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنه ابن عمه بينما العباس لم يكن كذلك، لأن علياً (عليه السلام) أبويني، والعباس أبي فقط (٢) وإذا كان المراد (الجامع) بين المعنيين، كان انحصار القرب فيه (عليه السلام) أجلى وأوضح. قال تعالى: ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) (٣).

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)) (٤) قال: «قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله) وسيدهم أمير المؤمنين، أمروا بمودتهم فخالفوا ما أمروا به» (٥).

وقد اعترفوا بأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أول الناس في الإسلام سبقاً وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) (٦).

وفي حديث احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة قال (عليه السلام): «(عليه السلام) فانشدك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أنا» (٧). وعن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: «وان القرابة التي أمر الله بصلتها وعظم من حقها وجعل الخير

قوام الإرث بالمعنى الأعم فهو: الأهلية وكما أن عدم توريث ذي النسب على خلاف القاعدة كذلك عدم توريث المؤهل على خلاف الحكمة، وحيث كانت الأهلية منحصرة في الإمام علي (عليه السلام) كان توريثه هو المحتم لا محالة.

١- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٥٣٠ ح ٥٦٤، وكشف اليقين: ص ١٩٢.

٢- المناقب: ج ١ ص ٢٦١.

٣- سورة الشورى: ٢٣.

٤- سورة النساء: ١.

٥- المناقب: ج ٤ ص ١٧٩.

٦- راجع الفصول المختارة: ص ٢٦٥ وفيه: «مر علي بن أبي طالب على أبي بكر ومعه أصحابه فقال أبو بكر: من سره أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً، وأقرب الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة فليُنظر إلى علي بن أبي طالب».

٧- الخصال: ص ٥٥٢.

فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب الله حقنا على كل مسلم» (١).

سيدا في أولياء الله (٢)

ذكر الفضائل

مسألة: سبق أن ذكر فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) فضيلة وعبادة، وهي من المستحبات النفسية، وبعض مصاديقه من الواجبات النفسية، فيستحب - وقد يجب - ذكر فضائله مطلقاً، فإن ما ذكرته (عليها الصلاة والسلام) إنما هو من باب المصداق لا من باب الحصر أو الخصوصية (٣)، كما هو واضح، نعم ما ذكرته كان من المصاديق البارزة جداً في حياته (عليه الصلاة والسلام). ولا يخفى أن الذكر اعم من اللفظ والكتابة والإشارة وما أشبه ذلك. و (ولي الله) هو الذي يطيعه ولا يخالفه ويجتهد في امتثال أوامره.

مقتضى السيادة المطلقة

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام) (سيدا في أولياء الله) أو (سيد أولياء الله) وجوب احترامه (عليه السلام) وتعظيمه والذب عنه وإطاعة أوامره، فإن ذلك هو مقتضى (السيادة على الإطلاق) (٤) بل مقتضى مطلق (السيادة) - في الجملة -.

وقد كان (صلوات الله عليه) (سيدا على الإطلاق) واستفادة ذلك على تقدير كون النسخة (سيد أولياء الله) - بناء على قراءته بالنصب - واضحة، أما على تقدير كونها (سيدا في أولياء الله) فالأمر كذلك بلحاظ السياق والمقام (٥)، بل بلحاظ الجملة بذاتها إذ تعني كان (عليه السلام) (في أولياء الله سيدهم) كما هو المستفيد عرفاً عند إطلاق هذه الجملة كما فيما لو قلت (رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيد في أنبياء الله). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي سيد الأوصياء ووصي سيد الأنبياء» (٦). وقال (صلى الله عليه وآله): «علي سيد العرب.. والسيد من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي» (١).

١- تأويل الآيات: ص ٥٣١.

٢- وفي نسخة: (سيد أولياء الله).

٣- أي (الخصوصية) التي تجعل ذكر هذه الصفات مستحبة أو واجبة، دون غيرها.

٤- أي (السيادة المطلقة) وهي أرفع أنواع السيادة.

٥- الظاهر أن المراد به: مقام كونها (عليها السلام) في صدد إثبات أحقيته بالخلافة، وهو ما ينسجم مع كونه السيد على الإطلاق، لا كونه مجرد أحد السادة، وهذه النقطة الهامة تجري في (مستمراً ناصحاً..) وسائر الصفات أيضاً.

٦- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١١ المجلس ٣ ح ٦.

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «أنا سيد النبيين وعلي سيد الوصيين وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت سيد هذه الأمة بعدي وأنت إمامها وخليفتي عليها، من فارقك فارقتي يوم القيامة ومن كان معك كان معي يوم القيامة» (٤).

وعن سليم عن سلمان قال: «كان الحسين (عليه السلام) على فخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقبله ويقول: أنت السيد، ابن السيد، أبو السادة، أنت الإمام، ابن الإمام، أبو الأئمة، أنت الحجة، ابن الحجة، أبو الحجج، تسعة من صلبك وتاسعهم قائمهم» (٥).

وعن أنس بن مالك قال: «بينما أنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله: الآن يدخل سيد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيين وأولى الناس بالنبيين، إذ طلع علي بن أبي طالب» (٦).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين» (٧).

الإخبار في مقام الإنشاء

مسألة: ربما يقال: كما أن (يعيد صلاته) إخبار في مقام الإنشاء، كذلك هذه الصفات المذكورة في كلامها (عليه السلام) وصفا للإمام (عليه السلام) تعد إخباراً في مقام الإنشاء، بفارق أن ذلك إنشاء الأمر لمن وقع مخبراً عنه وهذا إنشاء الأمر لغير من وقع مخبراً عنه (٨).

مُشَمَّرًا ناصحاً

- ١- معاني الأخبار: ص ١٠٣.
- ٢- الخصال: ص ٥٦١.
- ٣- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٦٤.
- ٤- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٣٠٣.
- ٥- المناقب: ج ٤ ص ٧٠ - ٧١.
- ٦- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٤٣.
- ٧- كشف الغمة: ج ١ ص ٤٠٠.
- ٨- إذا المخبر عنه بـ (مُشَمَّرًا ناصحاً..) وهو الإمام علي (عليه السلام) والإنشاء هو بالنسبة لعامة الناس، أي يجب عليكم أن تعتقدوا بكونه (عليه السلام) سيداً، الخ.

وربما يقال: باستفادة ذلك عرفا في كل ما هو أمثال المقام (١) حيث إن قوام الإنشاء بالمقصد والمبرز وهما مما يرى العرف تحققهما في أمثال المقام نظرا للقرائن المقامية وإلا فمن الممكن القول بأن ذلك من البطون، فتأمل.

مشمراً ناصحاً

على أهبة الاستعداد

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان مشمراً دائماً لأجل الله سبحانه، وهذا مما يستفاد من كلامها (عليه السلام) كما سبق، ومن الآيات والروايات بالدلالة المطابقة أو الالتزامية أو غيرها كقوله تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)) (٢).

وقوله سبحانه: ((فاستبقوا الخيرات)) (٣).

والتشمير: عبارة عن جمع الثياب من الرجلين واليدين كي لا تكن عائقاً عن الحركة، وهو كناية عن الاستعداد الدائم للتحرك والانطلاق في مختلف الأبعاد لأجل نصرته دين الله، دون عائق ومانع.

ثم إنه هل يعد من مصاديق التشمير ما جاء في بعض الروايات من (تخففوا تلحقوا) (٤)؟

الظاهر ذلك، فيشمل إذن كل ما يعوق الإنسان عن الحركة ويسبب أن يكون كما قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)) (٥).

ومن ذلك تملك الدور والعقار أكثر من الاحتياج، وكذلك القصور والرفاهية في العيش وشبه ذلك، ولذلك عاتب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أحد أصحابه بالبصرة وهو العلاء بن زياد الحارثي لما دخل عليه يعوده، فلما رأى سعة داره قال: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وأنت إليها في الآخرة كنت أحوج وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الآخرة» (٦).

وهكذا المخلصون لله والمجاهدون في سبيله (مشمرون أبداً) و (متخففون دائماً).

١- كما في (إياك اعني و اسمعي يا جارة) حيث قد يكون الإخبار في مقام إنشاء التهديد مثلاً، كما يخاطب الحاكم جماعة ممن يخاف خروجهم عليه بإخبارهم عن قصص عقوبته لمن خرج عليه سابقاً، وكما تخاطب الكسول بذكر برنامج المجددين كأن تقول له: فلان من زملائك يستيقظ في الخامسة صباحاً ويطالع ويدرس حتى منتصف الليل، أي افعل أنت كذلك..

٢- سورة آل عمران: ١٣٣.

٣- سورة البقرة: ١٤٨ والمائدة: ٤٨.

٤- خصائص الأنمة: ص ١١٢ وعدة الداعي: ص ١١٥.

٥- سورة التوبة: ص ٣٨.

٦- نهج البلاغة: الكلام: رقم ٢٠٩.

ويؤمى إليه ما ذكره التاريخ من قصة سلمان وأبي ذر ووقوفهما على الصخرة المحمّاة.

النصيحة لله

مسألة: يستحب النصح لله وقد يجب، فإن النصح واجب في مقام الوجوب ومستحب في مقام الاستحباب، وهو - في أحد معنييه - عبارة عن التوجيه إلى الخير بكل جد وإخلاص (١).
وحيث حُذِفَ (المتعلق) منه، فإنه يفيد كلا معنيي النصح، إذ النصح قد يكون للإتسان وقد يكون لأمر الله سبحانه وتعالى (٢).

فيقال (نصيحة) في الأول و (نصح له) في الثاني - غالباً -، ويمكن استفادة ذلك (٣) بضميمة دليل الأسوة.
قال سبحانه: ((ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم)) (٤).
وقال تعالى: ((وأنا لكم ناصح أمين)) (٥).

فـ (ناصحاً) أي لكم على الاحتمال الأول، أو (ناصحاً) أي لله على الاحتمال الثاني.
والنصح لله، أي خلوص النية والعمل له وخلوها من كل شرك ورياء وسمعة وما أشبه.
والنصح للناس: إرشادهم، وهو مشرب بمعنى الخلوص، أي إرشادهم إرشاداً غير مشوب بمصلحة أو غش أو خداع، أي إرشادهم خالصاً مخلصاً ويقصد الهداية لا غير.

قولها (عليه السلام): (مشمراً ناصحاً) أي أن أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) كان مشمراً ثيابه دائماً في سبيل تقديم الإسلام إلى الأمم، والمراد به الجد والاهتمام والمضي والنفوذ، وكان مع ذلك ناصحاً وليس ككثير من الناس حيث يجدون ويكدحون لكنهم لا يريدون النصح (٦) وإنما يريدون لانفسهم جاهاً ومالاً و عزةً ورفاهاً وما أشبه ذلك، أو انهم يجدون ويكدحون لكن يمزجون ذلك بالغش والخداع، فالتشهير هو المظهر والنصح هو المخبر، وذاك فعل وهذا (٧) صفة، وهذا واضح على المعنى الثاني للنصح (٨) ومتضمن في المعنى

١- قال في لسان العرب: (النصيحة كلمة واحدة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، ونصيحة عامة المسلمين: إرشادهم إلى المصالح، والنصح نقيض الغش، مشتق منه: نصحه ونصح له وهو باللام أفصح).

٢- قال في لسان العرب: (واصل النصح: الخلوص) ويقال: (نصحت له: أي أخلصت وصدقت) و (الناصح: الخالص من الغش وغيره).

٣- أي وجوب أو استحباب النصح.

٤- سورة التوبة: ٩١.

٥- سورة الأعراف: ٦٨.

٦- كما سبق منه دام ظله قوله: (وهو مشرب بمعنى الخلوص).

٧- أي النصح.

٨- أي النصح لله.

الاول (١).

- قال (عليه السلام): «ثلاثة لا يعذر المرء فيها: مشاورة ناصح ومداراة حاسد والتحبيب إلى الناس» (٢).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أقبلوا نصيحة ناصح متيقظ وقفوا عندما أفادكم من التعليم» (٣).
- وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «اتبع من يبيحك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وستردون إلى الله جميعاً فتعلمون» (٤).
- وقال (عليه السلام): «فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيخته» (٥).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الموعظة نصيحة شافية» (٦).
- وقال (عليه السلام): «من أعرض عن نصيحة الناصح أحرق بمكيده الكاشح» (٧).
- وقال (عليه السلام): «اتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله» (٨).
- وقال (عليه السلام): «ألا أن الفضائل عشرة: صدق الحديث، وصدق المودة، ونصيحة الناس (عليه السلام)» الحديث (٩).
- وقال (عليه السلام): «وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك (عليه السلام)» (١٠).
- وفي الزيارة: «السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح» (١١).
- وفي زيارة الإمام الحجة (عليه السلام): «اللهم صل على حجتك في أرضك (عليه السلام) المرتقب الخائف والولي الناصح (عليه السلام)» (١٢).
- وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فأبائك والخلاف فان في ذلك العطب» (١٣).
- وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل

١- أي النصح للناس و الهداية و الإرشاد لهم.

٢- تحف العقول: ص ٣١٨.

٣- غرر الحكم: ص ٢٢٥ ح ٤٥٧٣.

٤- مشكاة الأنوار: ص ٣٢٠ الفصل ٧.

٥- تحف العقول: ص ١٧.

٦- غرر الحكم: ص ٢٢٤ ح ٤٥١٩.

٧- غرر الحكم: ص ٢٢٦ ح ٤٥٨٨.

٨- إعلام الدين: ص ١٠٥.

٩- معادن الجواهر: ص ٧٠.

١٠- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٧٤ المجلس ٥٩.

١١- مصباح المتهجد: ص ٧٢٣.

١٢- الاحتجاج: ص ٤٩٤.

١٣- المحاسن: ص ٦٠٢ باب الاستشارة، ح ٢٥.

والمحدث الذي لا يكذب» (١).

وقال (عليه السلام): «ليكن أحب الناس إليك المشفق الناصح» (٢).

وقال (عليه السلام): «لا شفيق كالودود الناصح» (٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليك بعلي (عليه السلام) فإنه الهادي المهدي الناصح لأمتي، المحيي لسنتي وهو إمامكم بعدي» (٤).

مجدا كادحا

الجد والكدح (٥)

مسألة: يستحب التأكيد على الجدّ والكدح، وبيانها (عليه السلام) المطلب بعبارات قد يترانى أنها مترادفة للأهمية، ولكن: لا يخفى الفرق بين الجدّ والاجتهاد والكدّ والكدح، كما يعرف ذلك المتأمل في فقه اللغة، وكما هو شأن لغة العرب حيث إن اللفظ يتضمن دلالة لا توجد في اللفظ المشابه له وإن عبّر عنه بالمرادف.

وقد ألمعنا في (الأصول) إلى أنه لا يوجد (ترادف) حقيقي في لغة العرب، فالأسد يطلق عليه: الأسد والهزبر والليث والضرغام وغير ذلك، كل واحد منها بلحاظ حالة من حالاته أو جهة من جهاته، وهكذا وهلمّ جرّاً.

قولها (عليه السلام): (مجداً كادحاً) أي أن علياً أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان مجداً في أمر الله تعالى، في جهاده وحروبه وعبادته وسائر شؤونه كلها.

و (كادحاً): الكدح أشدّ التعب (٦) قال سبحانه: ((يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)) (٧).

يعني: إن الإنسان في أشدّ التعب و النصب إلى أن يلاقي ربه.

وفي الخطبة الشقشقية: «ويكدح فيها قلب المؤمن حتى يلقي به» (٨).

وعلي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان هكذا، غير أن الفرق أن الإنسان:

١- غرر الحكم: ص ١١١ ح ١٩٧٣.

٢- غرر الحكم: ص ٤١٦ ح ٩٥٠٣.

٣- غرر الحكم: ص ٤١٦ ح ٩٥٠٧.

٤- اليقين: ص ٤٥٢.

٥- الكدح: شدة السعي والحركة.

٦- قال في لسان العرب: (الكدح: الاكتساب بمشقة) و (الكدح في اللغة: السعي والحرص الدؤوب في العمل في باب الدنيا وباب الآخرة) وقال في الميزان قال الراغب (الكدح: السعي والفناء) وقيل: (الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها)، وقال في تفسير التبيان: (الكدح: السعي الشديد في الأمر، يقال كدح الإنسان في أمره يكدح وفيه كدوح وخدوش: أي آثار من شدة السعي في الأمر).

٧- سورة الانشقاق: ٦.

٨- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

تارة: تحيط به المشاكل والهموم ويقع في تعب ونصب بدون اختياره(١).
وتارة: يكدّ ويكدح ويبذل قصارى جهده ويحمل نفسه قصوى طاقاتها بملاً اختياره، وذلك في سبيل الله عزوجل.

وثالثة: يكون ذلك كله، لكن لأجل لذة عابرة أو هوى متبع.
والآية الشريفة تشمل الأقسام الثلاثة تفسيرا، و القسم الثاني بلحاظ (إلى ربك)(٢) أو أنه أجلى المصاديق وأكملها.

وفي أدعية شهر رمضان: «وارزقنا في هذا الشهر الجد والاجتهاد، والقوة والنشاط...»(٣).

وفي دعاء كميل: «وهب لي الجد في خشيتك»(٤).

وقال (عليه السلام) «لا يدرك الحق إلا بالصدق والجد»(٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لقد أخطأ العاقل اللاهي وأصابه ذو الاجتهاد

والجد»(٦).

وقال (عليه السلام): «المؤمن يعاف الله ويألف الجد»(٧).

وقال (عليه السلام): «طاعة الله لا يحوزها إلا من بذل الجد واستفرغ الجهد»(٨).

وقال (عليه السلام): «ان كنتم للنجاة طالبين فارفضوا الغفلة واللهو وألزموا الاجتهاد والجد»(٩).

وقال (عليه السلام): «ما أدرك المجد من فاته الجد»(١٠).

وقال (عليه السلام): «اللهو يفسد عزائم الجد»(١١).

وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون

١- كمن يقع له حادث اصطدام، أو يسرق لص كل ثرواته، ومن قبل: كمشاكل الولادة وشبهها.

٢- سورة الانشقاق: ٦.

٣- المقتعة: ص ٣٣٦.

٤- مصباح الكفعمي: ص ٥٦٠.

٥- دعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٩١.

٦- غرر الحكم: ص ٦٠ ح ٦٧٧ وص ٦٦ ح ٨٧٢.

٧- غرر الحكم: ص ٨٩ ح ١٥٢٠.

٨- غرر الحكم: ص ١٨٤ ح ٣٤٨٠.

٩- غرر الحكم: ص ٢٦٦ ح ٥٧٤٩.

١٠- غرر الحكم: ص ٤٤٣ ح ١٠١٢٠.

١١- غرر الحكم: ص ٤٦١ ح ١٠٥٥٠.

هل الرفاهية مذمومة؟

مسألة: هل يستفاد من كلامها (عليه السلام) أن الرفاهية والدعة والفكاهة والأمن مذمومة بما هي هي؟
الظاهر: لا، إذ من الواضح أن الذم لهذه الصفات بالعرض لا بالذات كما يفيد منحه الكلام ومصبه وسياقه،
إذ أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) كان (مكدوداً.. مجتهداً.. مشمراً (عليه السلام)) والحال كنتم (أنتم في
رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون) فكون الجملة حالية، ولحوقها بـ (تتربصون بنا الدوائر) خير شاهد
على ذلك.

وبعبارة أخرى، الإشكال على القوم هو: أنكم مع كون الإسلام في خطر رهيب، والرسول (صلى الله عليه
 وآله) في صراع مرير، وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) في مواجهة صعبة، لكنكم كنتم تعيشون وادعين
فاكهين آمنين!

بل الأدلة العامة والخاصة تدل على مطلوبية الأمن، وعدم كراهة الرفاهية والدعة - ولو في الجملة - قال
تعالى: ((فليعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)) (١).
وقال سبحانه: ((وليبذلّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)) (٢).
وقال عز وجل: ((قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)) (٣).

مواساة الشعب للقائد

مسألتان: كما يذم العقلاء ويحكم العقل بقبح أن يعيش الأب في راحة ودعة وهناء وأبناؤه في خوف وقلق
ومشاكل وهو لا يمد لهم يد العون ولا يشاركهم جشوبة العيش، كذلك العكس، فإنه أيضاً قبيح ومذموم.
وكما يكره (٤) - عقلاً وعرفاً - أن يعيش القائد في بحبوحة من العيش وشعبه يتضور جوعاً، أو يعيش آمناً
وشعبه وجل خائف، كذلك العكس بأن يلقي الشعب كل العبء على كاهل الدولة أو القائد، لينصرف إلى حياته
اليومية وملذاته الجسدية.

وربما كان ذلك بين محرّم ومكروه.

يقول الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» (٥).

وكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى الصورة الثانية كما لا يخفى.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في حث قومه على المسير إلى الشام لقتال معاوية:

«اتقوا الله عباد الله وأطيعوه وأطيعوا إمامكم فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية

١- سورة قريش: ٣ - ٤.

٢- سورة النور: ٥٥.

٣- سورة الأعراف: ٣٢.

٤- الكراهة هنا بمعناها اللغوي.

٥- ارشاد القلوب: ص ٢١٤، وفي نهج البلاغة أيضاً.

الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاعياً في دين الله عزوجل وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس فجئتموني راغبين إلي في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني (عليه السلام) فبسطت لكم يدي يا معشر المسلمين وفيكم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان فأخذت عليكم عهد ببيعتي وواجب صفقتي عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لتقرن لي ولتسمعن لأمري ولتطيعوني وتنصحنوني وتقاتلون معي كل باغ علي أو مارق إن مرق (عليه السلام) فاتقوا الله أيها المسلمون وتحاثوا على جهاد معاوية القاسط الناكث وأصحابه القاسطين الناكثين واسمعوا ما اتلوا عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا فانه والله ابلغ عظة لكم فانتفعوا بموعظة الله وازدجروا عن معاصي الله فقد وعظكم الله بغيركم فقال لنبيه (صلى الله عليه وآله) ((ألم تر إلى الملام من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين)) (١) اتقوا الله عباد الله وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني وإذا استنهضتهم نهضوا معي لاستغنيت بهم عن كثير منكم» (٢).

ومن كلامه (عليه السلام) ما اشتمل على التوبيخ لأصحابه على تقاتلهم عن قتال معاوية: «أيها الناس اني استنفرتكم لجهاد هؤلاء فلم تنفروا، وأسعتكم فلم تجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا شهوداً بالغيب، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون عنها (عليه السلام) وأحثكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قلبي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقة تضربون الأمثال وتنشدون الأشعار وتجسسون الأخبار (عليه السلام) ونسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأضاليل، فالعجب كل العجب، وكيف لا أعجب عن اجتماع قوم على باطلهم وتخاذلكم عن حقكم (عليه السلام) إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وإمام أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه» (٣).

وبشكل عام فإن عدم مشاطرة الشعب للقائد والدولة همومها وغمومها، قد يكون لنقص في الشعب، وقد يكون لنقص في القائد (كما في الحاكم المستبد الجائر) وقد يكون في الاثنين معاً. ولا ريب إن كلام السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها من الشق الأول كما هو أوضح من أن يخفى (٤).

ولهذه الأقسام الثلاثة مباحث كثيرة ذكرناها في الفقه (٥).

١- سورة البقرة: ٢٤٦.

٢- الاحتجاج: ص ١٧٢ - ١٧٣.

٣- الاحتجاج: ص ١٧٤.

٤- فإن عدم مشاطرة الكثيرين للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في تحمل مشاكل الجهاد، يعود إلى وساوس الشيطان أو الركون إلى الدنيا أو حب النفس أو الجبن أو الحقد والحسد أو شبه ذلك عند المتخاذلين والمنافقين.

٥- راجع (الفقه: السياسة) و (الفقه: الاجتماع)، و (الفقه: الدولة الإسلامية) وغيرها مما تطرقت لمباحث

قولها (عليه السلام): (وأنتم في رفاهية من العيش)، إذ الغالب انهم كانوا لا يعملون عمل أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) من الجد والاجتهاد والكدح ونحو ذلك، بل يعيشون عيشة رفاه حقيقي أو نسبي، ولعل السيدة الزهراء (عليه السلام) كانت تقصد أولئك الذين سيطروا على الأمور وقد كان همهم لذات الحياة ورفاهية العيش.

وإلا فلا شك أن كثيرا من المسلمين أيضا كانوا يجتهدون ويجاهدون، وإن كانت النسبة بين جهادهم وجهودهم وجهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجهوده كنسبة الثرى إلى الثريا بل أكثر، وكأن كلامها تعريض بهم في قبال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

فهل يصلح للخلافة من كان (في رفاهية من العيش فكها آمناً وادعاً) وهو يرى الأخطار تحيط بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن كل حذب و صوب.

وهل يصلح لرعاية الأمة ودرء الأخطاء عنها من كان في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) كذلك؟ أو ليس الأمر متعينا في الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو الوحيد الذي انطبقت عليه تلك الصفات وفي أعلى الدرجات.

قال تعالى: ((فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)) (١).

وقال سبحانه: ((وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين)) (٢).

وقال عز وجل: ((لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة (عليه السلام))) (٣). قولها (عليه السلام): (وادعون فاكهون)، أي: هم في دعة وفراغ بال فيتفكهون بالأحاديث وبأنواع الأطعمة وغيرها.

(آمنون) من الخطر والخوف، لأن الذي لا يحارب الأعداء يأمن منهم عادة، فإذا غلبه المسلمون فهم مع الغالبين، وإذا غلب المسلمون فالأعداء قد لا يضرّونهم لأنهم لم يكونوا من المحاربين (٤) وحتى لو اشتركوا في الحروب فإن مشاركتهم هامشية ولم تكن عن جد وواقعية، بل كانت لبعضهم صداقات مع الكفار وعلاقات أو عهود ومواثيق كما هو مذكور في التواريخ.

لا تأخذه في الله لومة لائم

الدكتاتورية والديمقراطية والتعددية والشورى وما أشبه.

١- سورة التوبة: ٨١.

٢- سورة التوبة: ٨٦.

٣- سورة التوبة: ٤٢.

٤- قال تعالى: ((إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)). سورة التوبة: ٥٠.

أقوى من الملامة

مسألة: الواجب على القائد أن لا يصدّه عن العمل بالحق لوم اللاتمين، فلا تأخذه في الله لومة لائم، كما ورد بالنسبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) وجدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فإنه إذا كان على العكس من ذلك انحرف عن الطريق، وكل انحراف عن طريق الله سبحانه وتعالى ولو بمقدار شعرة يجرّ إلى مشاكل دنيوية قبل المشاكل الأخروية، فإن الله عزوجل جعل قوانينه في التشريع مثل قوانينه في التكوين، فكما أن كل انحراف عن قوانين الله التكوينية يوجب عطبا وخبالا ويجر إلى مآسي وويلات، كل بقدره، كذلك كل انحراف عن القوانين التشريعية يوجب ذلك، حتى وإن لم يظهر أثره فوراً، فإن الأعمال كالبدور والنوى تظهر نتائجها بعد مدة قريبة أو بعيدة.

قال تعالى: ((يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)) (١).

وعن محمد بن أبي عمير قال: «ما سمعت ولا استفتت من هشام بن الحكم طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام (عليه السلام) (عليه السلام) - إلى أن قال: - فإن الله عزوجل قد فرض عليه (أي على الإمام) إقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم» (٢).

وعن أبي ذر (رحمه الله) قال: «أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبع (عليه السلام) وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «لا تخف في الله لومة لائم» (٤).

وقال علي (عليه السلام) في وصيته لابنيه الحسن والحسين (عليهما السلام): «أوصيكمما بتقوى الله (عليه السلام) ولا تأخذكما في الله لومة لائم» (٥).

ثم إنه على القائد أن يجعل رضى الله هو المقياس لا كلام الناس وتقييمهم ولومهم وعتابهم، وعليه أن يكون أقوى من (الملامة) لا مستسلماً لها.

قال تعالى: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولنن اتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)) (٦).

وقال سبحانه: ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد)) (٧).

وقال تعالى: ((أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)) (٨).

١- سورة المائدة: ٥٤.

٢- الخصال: ص ٢١٥، وجوه الذنوب أربعة، ح ٣٥.

٣- الخصال: ٣٤٥، أوصى رسول الله أبا ذر بسبع، ح ١٢.

٤- معاني الأخبار: ص ٣٣٥.

٥- كشف الغمة: ج ١ ص ٤٣١.

٦- سورة البقرة: ١٢٠.

٧- سورة البقرة: ٢٠٧.

وقال سبحانه: ((ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)) (٢). وعن الإمام الصادق عن أبيه عن جده (عليهم السلام) قال: «ان رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى أبي الحسين بن علي (عليه السلام) يا سيدي أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب (عليه السلام): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام» (٣). وقال (صلى الله عليه وآله): «من طلب رضى مخلوق بسخط الخالق، سلط الله عز وجل عليه ذلك المخلوق» (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما أعظم وزر من طلب رضى المخلوقين بسخط الخالق» (٥). وقال (عليه السلام): «من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق» (٦). وقال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «ان من اليقين ألا ترضوا الناس بسخط الله عز وجل» (٧). وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله» (٨).

وإطلاق كلامها (عليه السلام) يشمل الملامة على الالتزام بالواجبات (كالجهاد والعدل وإنصاف الناس من النفس) وترك المحرمات (كموادة من حارب الله، ومداونتهم، والرشوة و..). ثم إن الملامة قد توجه للإنسان لالتزامه بمكارم الأخلاق، كسعة الصدر، والإغضاء عن السيئة، والعفو عند المقدرة، والإيثار، وإنهاك البدن في طاعة الله، وفي قضاء حوائج الناس و.. كما لا يخفى. والقائد - بل مطلق المؤمن - عليه أن لا يصدّه عن كل ذلك لوم اللاتمين وعتابهم، فإن إحراز رضى الخالق جل وعلا أولى من إحراز رضى المخلوق، ولوم العاجلة أهون من لوم الآخرة. ولقد عدت السيدة الزهراء (عليه السلام) هذه الصفة في طليعة السمات البارزة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه كان الذي لا تأخذه في الله لومة لائم بشكل مطلق، وفي كل الأزمنة، وبالنسبة لمختلف الأفراد، وفي مختلف الحالات، وفي مؤازرته للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في أشد الظروف، في مكة و المدينة، وفي تعامله مع أخيه عقيل (عليه السلام) ومساواته في العطاء. وفي قوله (عليه السلام): «أنا فقتت عين الفتنة وما كان أحد ليجتري عليها غيري» (٩) و.. أكبر شاهد

١- سورة آل عمران: ١٦٢.

٢- سورة محمد: ٢٨.

٣- الاختصاص: ص ٢٢٥.

٤- تحف العقول: ص ٥٢.

٥- غرر الحكم: ص ٨٢ ح ١١١٣٠.

٦- التوحيد: ص ٦٠.

٧- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٢٨٤ المجلس ٣٤ ح ٢.

٨- تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٦٣ و ص ٢١٠.

٩- كتاب سليم بن قيس: ص ١٥٦ وراجع أيضاً المناقب: ج ٢ ص ١٤٤.

ودليل.

تتربصون بنا الدوائر

والجدير بالذكر أن الذي يسبب (أن لا تأخذ الإنسان في الله لومة لائم) هو: الإيمان والشجاعة والإخلاص لله، وكلما كانت درجتها أشد كان أقرب إلى المطلق في عدم الاعتناء بالملامة، وقد كانت القمة في الإمام (عليه السلام).

تتربصون بنا الدوائر

تربص الدوائر بالمؤمنين

مسألة: تربص الدوائر بالمؤمن - فكيف بأهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) - محرّم إن اقترن بالفعل الخارجي، وإن اقتصر على الحالة النفسية، فإن استلزم سلب الإيمان والاعتقاد، كان حراماً طريقياً بالنسبة إلى غير المعصومين (عليهم السلام)، ومحرم نفسي بالنسبة لهم (عليهم السلام).
وقد يقال: بحرمة مطلق تربص دائرة السوء بالنسبة لمطلق المؤمنين، بل سيأتي إن (الرضي) بظلم المؤمن حرام فكيف بتربص ذلك به.

من الواضح أن خطابها (عليه السلام) في هذه الجملة وأشباهاها موجّه إلى جماعة من الصحابة لا إلى جميعهم لوجود بعضهم المخلصين في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وكأنها ذكرت هذا الجمل تمهيداً لما تريد أن تقوله من انفضاضهم عن أهل البيت (عليهم السلام) بعد ذلك وغضبهم الخلافة والسلطة وفدك وغير ذلك.

فعن أبي جعفر (عليه السلام) قال في تفسير قوله تعالى: ((فصرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور)) (١).

قال: «أما أنها نزلت فينا وفي شيعتنا وفي الكفار، أما أنه إذا كان يوم القيامة وحبس الخلاق في طريق المحشر ضرب الله سوراً من ظلمة فيه باب باطنه فيه الرحمة يعني النور، وظاهره من قبله العذاب، يعني الظلمة، فيصيرنا الله وشيعتنا في باطن السور الذي فيه الرحمة والنور ويصير عدونا والكفار في ظاهر السور الذي فيه الظلمة، فيناديكم عدونا وعدوكم من الباب الذي في السور من ظاهره: ألم نكن معكم في الدنيا، نبينا ونبيكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجنا وحجكم واحد، قال: فيناديهم الملك من عند الله: بلى، ولكنكم فتنتم أنفسكم بعد نبينا ثم توليتم وتركتم اتباع من أمركم به نبينا وتربصتم به الدوائر وارتبتم فيما قال فيه نبينا وغرتكم الأماني (عليه السلام)» (٢).

١- سورة الحديد: ١٣ - ١٤.

٢- تأويل الآيات: ص ٦٣٦ سورة الحديد.

قولها (عليه السلام): (تتربصون بنا الدوائر) التربص: بمعنى الانتظار (١).
والدوائر عبارة عن صروف الزمان وحوادث الأيام والشدائد، لأن الزمان له حالة دورانية أخذاً من دوران
الفلك (٢).

والتاريخ أيضاً له حالة دورانية ولو في الجملة (٣).
أي: كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا وزوال النعمة عنا، وأن ينتصر الكفار وينهزم المسلمون، لأن كثيراً
منهم كانوا كذلك حقداً على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وحسداً، أو لأن ثقل الجهاد - بما يستلزم من
تضحيات وهجرة وقلق وخوف وعدم استقرار نفسي واقتصادي و.. - يؤذيهم.
وهكذا حال كثير من المجاهدين على مرّ العصور حيث إنهم في الظاهر يجاهدون، ولكنهم في الباطن يريدون
التخلص من الجهاد وتبعاته، كيما يرجعوا إلى حالتهم العادية ويعيشوا هادئين مطمئنين في بلدكم وفي أحضان
أسرتهم.

وتتوكفون الأخبار (٤)

التجسس والتحسس والتوكف

مسائل: هنالك ثلاثة عناوين: التجسس و التحسس وتوكف الأخبار.
فالتجسس على الرعية - من قبل الدولة - حرام.
وتجسس المؤمن على المؤمن حرام.
نعم يجوز التجسس على الكفار الحربيين لأجل صدّ تعديهم وبغيهم، كما يجوز التجسس على المسؤولين من
قبل الدولة كي لا يظلموا الرعية كذلك (٥).
قال تعالى: ((ولا تجسسوا)) (٦).
وقال في كشف الريبة: «ومعنى التجسس أن لا تترك عباد الله تحت ستر الله، فيتوصل إلى الاطلاع وهتك
الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك كان اسلم لقلبك ودينك» (٧).
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا معشر من آمن بلسانه ولم

-
- ١- قال في لسان العرب (التربص: الانتظار) و (تربص به أي انتظر به خيراً أو شراً).
 - ٢- الزمان - حسب أحد الأقوال - هو مقدار حركة الفلك، فالليل والنهار ينجمان عن حركة الأرض حول نفسها،
والشهر من حركة القمر حول الأرض، والسنة من حركة الأرض حول الشمس.
 - ٣- راجع (الفقه: الاجتماع) و (الفقه: المستقبل) للإمام المؤلف.
 - ٤- وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأخبار).
 - ٥- راجع (الفقه: الدولة الإسلامية) و (إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف.
 - ٦- سورة الحجرات: ١٢.
 - ٧- كشف الريبة: ٢٣.

يصل الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المؤمنين ولا تذرهم المسلمون، فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته، فضحه في جوف بيته» (١).

أما التحسس بشكل مطلق (٢)، فقد يكون راجحاً كما هو في قوله تعالى عن لسان يعقوب (عليه السلام): «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» (٣).

وأما توكف الأخبار، والمراد به في أشباه المقام: انتظار وتوقع الأخبار السلبية ضد المؤمنين، فإنه مذموم وقد يكون حراماً كما لا يخفى، وفي غير أشباه المقام جازز بالمعنى الأعم.

ولو افترن التوكف والتوقع والترصد للأخبار السلبية ضد المؤمنين بما يقتدر به عادة، من العمل بمجرد سمع الخبر على إشاعته ونشره، مما يسبب ضعف جبهة المؤمنين وإضعاف معنوياتهم والشدة من أزر الكافرين والأعداء، فإنه بهذه الجهة محرم.

قولها (عليه السلام): (وتتوكفون الأخبار) التوكف عبارة عن التوقع، والمراد: أنهم كانوا يجلسون في بيوتهم (٤) ويتوقعون وصول أنباء وأخبار المحن والفتن والمصائب على النبي وآل النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) والمؤمنين المخلصين، كما تشير إلى ذلك جملة من آيات سورة التوبة (٥) والسور الأخرى أيضاً، والتواريخ مليئة بالقصص والشواهد على ذلك.

وكلامها (عليه السلام) يكشف عن أنهم كانوا يعيدون عن التصدي والانسحاق مع حركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن العمل والجهاد والاجتهاد بل كانوا بمعزل عن كل

وتنكصون عند النزال

ذلك، وهم - إلى جوار كل ذلك - (يتوكفون الأخبار) وينتظرون ويتوقعون ويتصيدون الأخبار السلبية. والجدير بالذكر أن سورة التوبة هي من تلك السور السياسية التي تبين نوعاً ما، ما عاناه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) والمخلصون من أيدي ضعفاء الإيمان ومن أيدي المنافقين. وتنكصون عند النزال

الإحجام عن المعركة

مسألة: يحرم النكوص عند النزال، وقد كان كثير من ضعفاء الإيمان والمنافقين يتثاقلون عن الجهاد

١- الأمالي للشيخ المفيد: ص ١٤١ المجلس ١٧ ح ٨.

٢- أي في غير هذا المقام.

٣- سورة يوسف: ٨٧.

٤- كناية عن مطلق عدم مشاركتهم في المعامع.

٥- كقوله تعالى: ((قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا أنا معكم متربصون)). سورة التوبة: ٥٢.

ويتراجعون عن الحرب.

قولها (عليها السلام): «وتنكصون عند النزال» أي تحجمون عن الإقدام في الحروب، ونكص بمعنى أحجم. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فاقلوا الكلام واكثروا ذكر الله عزوجل ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله ربكم وتستوجبوا غضبه» (١).

وقال (عليه السلام): «أيها الناس إني استغفركم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا (عليه السلام) نسيتم الحرب والاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها، شغلتموها بالأعالي والأباطيل» (٢).

وقال (عليه السلام): «معالجة النزال تظهر شجاعة الأبطال» (٣).

و (النزال) المصطلح من باب المصداق، إذ إن كل نكوص وتراجع وإحجام عن أي (نزال) بين جبهة الحق وجبهة الباطل في أي بعد من الأبعاد السياسية والثقافية وما أشبه - كالعسكرية - مذموم ومحرم فيما إذا لم يقدّم به من فيه الكفاية، في غير ما يعلم عدم حرمة ولو من باب العنوان والمحصل، فليدقق. قال تعالى: ((قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون)) (٤).

من حقوق المعارضة

مسألة: استناداً إلى قولها (عليه السلام) وفعلها، وكلاهما حجة، يجوز - بالمعنى الأعم - للمعارضة فضح الأكثرية أو شبهها فيما إذا جارت في الحكم أو عدلت عن الصواب، كما يجوز فضح المتصدين للحكومة والرناسة، بذكر دوافعهم الحقيقية للقرار المتخذ، والتنويه إلى مواقفهم وضلالاتهم الماضية، باعتبار أنها تكشف مخططاتهم الحالي والمستقبلي.

بل بما هي هي، كي لا يتخذوا أسوة و قدوة - وهي على هذين من طرق النهي عن المنكر -.

بل لمجرد أن يتحقق تميز الحق من الباطل، والخبيث من الصالح كما قال عزوجل: ((ليميز الله الخبيث من الطيب)) (٥).

أو لمجرد التظلم حيث قال تعالى: ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم)) (٦).

ويجوز - بالمعنى الأعم - (فضحهم) عبر شتى وسائل الإعلام من الصحف والجرائد والراديو والتلفزيون وعلى رؤوس الأشهاد.

ولذلك نجدها (عليها الصلاة والسلام) تستعرض مواقفهم السابقة، وحالاتهم الماضية وأسلوبهم على رؤوس الأشهاد والى يوم القيامة: (وانتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر

١- الخصال: ص ٦١٧.

٢- الإرشاد: ج ١ ص ٢٧٨.

٣- غرر الحكم: ص ٤٤٥ ح ١٠١٧٦.

٤- سورة المؤمنون: ٦٦.

٥- سورة الأنفال: ٣٧.

٦- سورة النساء: ١٤٨.

وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال..).

وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم واكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية، وناهبوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام وتحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة» (١).
وقد قال (عليه السلام): «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر» (٢).

وتفرون من القتال

الفرار من الزحف

مسألة: يحرم الفرار من القتال، فإن الفرار من الزحف من أشد الكبائر ومن الموبقات كما ورد في مستفيض الروايات.

وذلك غير الفرار لأجل إقامة الحق، أما فيه فقد يكون واجباً - على ما سيأتي - كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى موسى (عليه الصلاة والسلام): ((ففررت منكم لما خفتكم)) (٣).
وكما في فرار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من محاولة اغتياله ليلة المبيت وهجرته إلى المدينة، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «ولي بمحمد (صلى الله عليه وآله) أسوة حين فر من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه (عليه السلام)» (٤).
وقال (عليه السلام): «الفرار في وقته ظفر» (٥).
وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من اللئيم الأحمق» (٦).
وقال (عليه السلام): «فروا كل الفرار من الفاجر الفاسق» (٧).
وقال (عليه السلام): «الفرار في أوانه يعدل الظفر في زمانه» (٨).
وكما في قول الشاعر:

(خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يترقب)

فالفرار قد يكون من الزحف وهو حرام ((إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة)) (٩).

١- تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ١٦٢.

٢- غرر الحكم: ص ٤٨٣ ح ١١١٤٤.

٣- سورة الشعراء: ٢١.

٤- علل الشرائع: ص ١٤٩ ح ٧ ب ١٢١.

٥- غوالي اللئالي: ج ١ ص ٢٩٠.

٦- غرر الحكم: ص ٢٦١ ح ٥٥٩٨.

٧- غرر الحكم: ص ٤٦٢ ح ١٠٦٠١.

٨- غرر الحكم: ص ٣٣٣ ح ٧٦٧٩.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الكبائر سبع فينا نزلت ومنا استحلّت فأولها الشرك بالله العظيم وقتل النفس التي حرم الله قتلها وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين وقذف المحصنة والفرار من الزحف وإنكار حقنا (عليه السلام)» الحديث (٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الفرار أحد الذلّين» (٣).

وقال (عليه السلام): «استحيوا من الفرار فإنه عار في الأعقاب ونار يوم الحساب» (٤).

وقال الأشتر في حرب صفين: «فان الفرار من الزحف فيه سلب العز والغلبة على الفيء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة» (٥).

وقد يكون الفرار في غيره، كما في التآمر على المصلح لقتله غدرا وغيلة فيجب عليه هنا الفرار. والجامع أن (الفرار) قد يكون خوفاً وجبنا، وقد يكون حكمة ومصلحة، فإن انسحاب أي قائد من المعركة إذا رآها غير متكافئة حفاظاً على جيشه كي يعد العدة لمعركة أخرى بشرائط أفضل، هو من الحكمة ويشمله ملاك ((إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة)) (٦).

مع وضوح أن الآية الكريمة تشير إلى الفارين من المعركة رغم قرار القيادة بالاستمرار فيها، ولا يحق للفرد هنا أن يعطل انسحابه بالمصلحة مع وجود الأمر من القيادة بالمواصلة وإلا لزم الهرج والمرج وغير ذلك من المحاذير وتفصيل البحث في محله (٧).

وفي تبكيته (عليه السلام) المسلمين بفرارهم من القتال - (وهو أسوأ أنواع الفرار إذ كان فراراً من الزحف جبناً، أو لعدم الاعتقاد بها أولاً، وكان على خلاف أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) الصريح بالاستمرار ثانياً، وكان يشكل خطراً على حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بنفسه ثالثاً، وعلى الإسلام ككل رابعاً، لذلك كان فرارهم من اعظم الكبائر) - إشارة لطيفة ودقيقة إلى أنه كيف يصلح هكذا أناس للخلافة (٨)؟ أو لترشيح شخص للخلافة؟ حتى مع قطع النظر عن وجود نص الهي بتعيين الخليفة فرضاً؟، ثم كيف يؤمن عليها من كان دأبه التفريط بها؟

قولها (عليه السلام): (وتفرون عند القتال) والفرق بين هذا وبين سابقه: أن (النكوص) معناه الرجوع من منتصف الطريق، كما حدث في خيبر، وغزوة ذات السلاسل وغيرهما (٩)، والنزال وإن كان يطلق على الحرب

١- سورة الأنفال: ١٦.

٢- علل الشرائع: ص ٤٧٤ ب ٢٢٣ ح ١ باب العلة التي من أجلها أوجب الله على أهل الكبائر النار.

٣- غرر الحكم: ص ٣٣٣ ح ٧٦٧٥.

٤- غرر الحكم: ص ٣٣٣ ح ٧٦٧٦.

٥- وقعة صفين: ص ٢٥٥.

٦- سورة الأنفال: ١٦.

٧- راجع موسوعة الفقه: ج ٤٧ - ٤٨ كتاب الجهاد، وقد تطرق الإمام الشيرازي إلى مسألة إطاعة القائد ولزوم الهرج والمرج في عدم طاعته في كتاب (الفقه: المرور) فراجع.

٨- انظر الفصول المختارة: ص ١٢١.

٩- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١-٢) للإمام المؤلف.

توسعا لكنه - دقة - قد يكون مرحلة ما قبل الحرب لان هذا ينزل إلى الميدان وذلك ينزل أيضا (١) فتأمل.

الإرشاد للنواقص

مسألة: يستحب بيان نواقص الفرد والأمة لهدف الإصلاح.. مع حفظ الموازين الإسلامية، سواء كانت نواقص قصورية أو تقصيرية، وقد يجب ذلك لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضال وتنبيه الغافل، كل حسب الموازين الفقهية المذكورة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه.

وفي الصحيفة السجادية: «وامنحني حسن الإرشاد» (٢).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا عبيد الدنيا والعاملين لها، إذا كنتم في النهار تبعون وتشترون، وفي الليل على فروشكم تتقلبون وتنامون، وفيما بين ذلك عن الآخرة تغفلون وبالعامل تسوفون، فمتى تفكرون في الإرشاد، ومتى تقدمون الزاد ومتى تهتمون بأمر المعاد» (٣).

وفي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام): «ثم حق رعيته بالعلم فان الجاهل رعية العالم» (٤).

ووجوب بيان النقص القصوري - والحيلولة دون تحققه - في بعض أقسامه، إما لاتطابق عنوان (المنكر) عليه عرفاً ولذا (٥)، وإما لكونه مما علم من الشرع إرادة عدم تحققه في الخارج، فكما أن الطبيب عليه أن يبين للمريض مرضه وعلاجه، وكما على المريض أن يستجيب، كذلك على كل واحد من المصلحين - بل على الكل ممن اجتمعت فيه الشرائط - أن يبين للناس مرضهم وعلاجهم، وعليهم التقبل والاستجابة لا العناد والمقاطعة.

معاقبة القائد والأمة

مسألة: يجوز للقائد أن يعاتب الأمة، وللأمة أيضاً معاقبة القائد، وكذلك عتاب الفرد أو الجماعة كالحزب والجمعية والهيئة وما أشبه ذلك.

والجواز هنا بالمعنى الأعم، من الوجوب والاستحباب، كل في مورده، وإن استلزم ذلك إيذاء بعضهم أو جلهم أو كلهم - مراعيًا الموازين الشرعية -، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وإن استلزم ذلك في الجملة (٦).

١- فكان كل طرف ينزل عن إبله أو فرسه ليتقاتلا.

٢- الصحيفة السجادية: ص ١٠٨ ومن دعائه في مكارم الأخلاق.

٣- غرر الحكم: ص ١٤٥ ح ٢٦٣٠.

٤- الخصال: ص ٥٦٤.

٥- فلو شاهدنا شخصا يحاول قتل نفس محترمة جهلا منه بذلك حيث تصور أنه كافر حربي مثلاً، وجب علينا إلفاته إليه أو الحيلولة دون ذلك، وهذا القتل (منكر) عرفاً وحقيقة وإن لم يلتفت الفاعل على ذلك.

٦- كما أن الجهاد واجب وإن استلزم إيذاء عوائل المحاربين البغاة مثلاً، ممن لم يكن على رأي أزواجهن، وذلك

هذا إذا كان العتاب من مصاديقهما، وإن لم يكن كذلك فإنه جائز إن كان مما بنى عليه الطرفان - ولو ارتكازا - كما في كثير من الحقوق التي يسقطها أصحابها من باب التواضع (١) والتقابل، وإن لم يكن كذلك أيضا فلا دليل على حرمة مطلقا إذ لا دليل على حرمة حتى هذه المرتبة من الإيذاء في هكذا موارد، نعم البالغ منه لا يجوز. ثم (العتاب) قد يكون مستحبا وإن لم يكن من مصاديق الأمر والنهي المستحبين (٢) لوقوعه مقدمة وطريقا إلى أشباه ما ذكرته الرواية الشريفة: (العتاب حياة المودة) (٣).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «العتاب مفتاح المقال والعتاب خير من الحق» (٤).

وقد يكون العتاب أو كثرتة مكروها، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تكثرن العتاب فإنه يورث الضغينة» (٥).

وقال (عليه السلام): «كثرة العقاب تؤذن بالارتياح» (٦).

وقال (عليه السلام): «لا تعاتب الجاهل فيمقتك وعاتب العاقل يحبك» (٧).

فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفياه

وأما الفرار فهو فرارهم عند القتال كما حصل في (أحد) وكما حصل في (حنين) وفي غيرهما (٨).

فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفياه

تكاملية الدنيا والآخرة

مسألة: يلزم النظر إلى معادلة الدنيا والآخرة بلحاظ أنها مراحل في مسار التكامل، فكما أن الدنيا بالنسبة لمرحلة (الكون في الأرحام) مرحلة متقدمة ومسيرة تكاملية، كذلك الآخرة بالنسبة للدنيا (٩)، قال تعالى: ((وإن

لحكومة أدلة الجهاد والأمر والنهي على أدلة النهي عن الإيذاء، ولأهم والمهم، ولورودها في موردها.

١- المراد بـ (التواضع) التباني.

٢- وهما المتعلقان بالمستحب والمكروه، كأن يعاتبه على النوم بين الطلوعين أو على ترك صلاة الليل.

٣- غرر الحكم: ص ٤١٤ ح ٩٤٦٥.

٤- أعلام الدين: ص ٣١١.

٥- غرر الحكم: ص ٤٧٩ ح ١١٠٠٧.

٦- غرر الحكم: ص ٤٧٩ ح ١١٠٠٥.

٧- غرر الحكم: ص ٧٤ ح ١١٣١.

٨- راجع كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١-٢) للإمام المؤلف.

٩- لهذا المبحث ذيل عريض في المباحث الفلسفية وشبهها في (قوس الصعود و النزول) وكيف تكون التكاملية التكوينية حتى بالنسبة لغير المؤمن، وقد تطرق الإمام المؤلف إلى جوانب من هذا المبحث في كتابه (العقائد) و (شرح منظومة السبزواري) وفي الفقه بالمناسبة.

الدار الآخرة لهي الحيوان)) (١).

وهذا بالنسبة لأولياء الله الصالحين، فكيف برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو سيد الخلائق أجمعين. والسيدة فاطمة الزهراء (عليه السلام) تشير بقولها (اختار الله لنبيه..)) (٢) إلى حقيقة هامة هي ان قبضه (صلى الله عليه وآله) إلى ربه كان خيرا له، فانه سير له (صلى الله عليه وآله) إلى ربه، وتكامل، وراحة (فمحمّد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار في راحة قد حفر بالملائكة الأبرار رضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار)) (٣).

وان كان ذلك بالقياس إلى الأمة خسارة وضررا كبيرا. ففي تعبيرها (عليه السلام) بـ (اختار) إلفات إلى هذا الأمر، فقد استخلصه الله لنفسه، واصطفاه لرحمته، وأنقذه من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن سجن المادة إلى عالم الملكوت، ومن أمواج الفتن واثقال الرزايا والمحن إلى فسيح جنانه، وأنقذه (منكم) بما أضمرتم وأظهرتم من تخاذل وتواكل وعداء، وبقينا نحن أهل بيته نواجه فيكم كل أحقادكم وضغائنكم.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى حقيقة إيدائهم للرسول (صلى الله عليه وآله) في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ((لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور)) (٤).

وقوله سبحانه: ((ومنهم من يلمزك في الصدقات)) (٥).

وقوله تعالى: ((ومنهم الذين يؤذون النبي)) (٦).

وقوله سبحانه: ((ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم)) (٧).

وقوله تعالى: ((والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله

ورسوله)) (٨).

وقوله عزوجل: ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)) (٩).

١- سورة العنكبوت: ٦٤.

٢- اختار إما بمعنى خار (افتعل بمعنى فعل) وعلى هذا ف: خار الله له في الأمر: جعل له فيه الخير، وأما بمعنى الطلب: فاختر له كذا أي طلب له الخير في كذا. ويأتي بمعنى الانتقاء والاصطفاء والذخر أيضاً.

٣- انظر ما سبق من خطبتها (عليها السلام).

٤- سورة التوبة: ٤٨.

٥- سورة التوبة: ٥٨.

٦- سورة التوبة: ٦١.

٧- سورة التوبة: ٦٣.

٨- سورة التوبة: ١٠٧.

٩- سورة الأحزاب: ٥٧.

الإحياء والإماتة بيد الله

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الإحياء والإماتة بيد الله تعالى لا غيره، فإن الإماتة والإحياء انما هما باختيار الله سبحانه وتعالى، من غير مدخلية اختيار الإنسان إلا بالنسبة إلى بعض المقدمات في الجملة، واختيارية تلك المقدمات أيضاً إنما هي بلفظه سبحانه وجعله كما لا يخفى، وذلك كالاتجار الذي يؤدي إلى سعة الرزق، وكالاتجار المؤدي إلى الهلاك، وكالمقاربة المؤدية إلى تكون الجنين، وغير ذلك.

قال تعالى: ((والله يحيي ويميت)) (١).

وقال سبحانه: ((وهو الذي يحيي ويميت)) (٢).

وقال عزوجل: ((يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)) (٣).

وقال تعالى: ((لا إله إلا هو، يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين)) (٤).

نعم كان اختيار الله سبحانه وتعالى لموت الرسول (صلى الله عليه وآله) برضاه (صلى الله عليه وآله) وإذنه تكريماً له، كما ورد في الأحاديث.

ظهر فيكم حسيكة النفاق (٥)

أقسام النفاق

مسألة: إطلاق كلامها (عليه السلام) يشمل الأقسام الأربعة للنفاق.

فان النفاق قد يكون في أصول الدين، وقد يكون في الفروع، اعتقاداً (٦) أو أداءً (٧).

والأول كفر.

والثاني قد يستلزمه (٨).

والثالث من المحرمات.

وهناك نفاق رابع بالنسبة للأشخاص (٩) فانه رذيلة خلقية وقد يكون بعض أقسامه حراماً.

١- سورة آل عمران: ١٥٦.

٢- سورة المؤمنون: ٨٠.

٣- سورة الروم: ١٩.

٤- سورة الدخان: ٨.

٥- وفي بعض النسخ: (حسكة النفاق).

٦- كالنفاق في الاعتقاد بالصلاة، بأن يظهر الاعتقاد بوجوبها ويبطن الإنكار.

٧- بأن يصلي متى كان بمرأى من الناس ومسمع دون إنكار لوجوبها، وهو المعبر عنه بالرياء.

٨- كما لو أنكر الاعتقاد بوجوب الصلاة وكان ذلك مستلزماً لإنكار أصل الرسالة.

٩- بأن يظهر لك المحبة ويسر البغض ويظهر الصداقة ويضمّر العداوة، إما لجهة شخصية كحسد أو بغض، أو

وقد كان في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) منافقون من الأقسام الأربعة.
ومن الأول: ما أشار إليه تعالى بقوله: ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون)) (١).
وكأمثال من قال للإمام (عليه السلام): «بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن و مؤمنة» (٢).
ومن الثاني: ما أشار إليه سبحانه بقوله: ((إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس)) (٣).
وقوله عز وجل: ((وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون)) (٤).
وقد اجتمعت هذه الأنواع الأربعة من النفاق في عدد من أعداء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) واتصف بعضهم ببعضها فقط، والتفصيل في كتب التاريخ (٥).
هذا وقد جعل الله عز وجل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) علماً بين الإيمان والنفاق وميزاناً لذلك وجعل حبه علامة للإيمان وبغضه علامة للنفاق، وفي الحديث عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم لأصحابه: معاشر أصحابي إن الله جل جلاله يأمركم بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) والافتداء به فهو وليكم وإمامكم من بعدي لا تخالفوه فتكفروا ولا تفارقوه فتضلوا، إن الله جل جلاله جعل علياً علماً بين الإيمان والنفاق فمن أحبه كان مؤمناً ومن أبغضه كان منافقاً» (٦).

إظهار النفاق محرم

مسألة: يحرم إظهار النفاق (٧) كما يحرم أصل النفاق، ولهذا قالت (عليها السلام): (ظهر)، فإن بعض الصفات إظهاره حرام دون إبطانه وإضماره كالسد، وبعض الصفات يحرم إبطانه وإظهاره كال كفر والنفاق

لجهة نوعية، أو لجهة عقائدية وقد كان بعض أعداء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من مصاديق ((أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)). سورة النساء: ٥٤.

١- سورة المنافقون: ١.

٢- راجع الإرشاد: ج ١ ص ١٧٧، والأمالى للشيخ الصدوق: ص ٢ المجلس ١ ح ٢، وكشف الغمة: ج ١ ص ٢٣٧ والعمدة: ص ١٠٦.

٣- سورة النساء: ١٤٢.

٤- سورة التوبة: ٥٤.

٥- راجع كتاب (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله).

٦- الامالى للشيخ الصدوق: ص ٢٨٤ - ٢٨٥ المجلس ٤٧ ح ١٩.

٧- كما في ((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)) سورة البقرة: ١٤.

والرضا بما يحل بأنبياء الله وأوليائه من المشاكل والمحن.
ولا يخفى أن الرضا هاهنا ليس بنية السوء موضوعاً وحكماً، إذ قد ورد أن نية السوء لا تكتب، وقد ورد في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به» (١).
وقال (عليه السلام): (الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم) (٢).
ويدل على ذلك (٣) جملة من الأحاديث، ذكرنا بعضها في باب التجري.
وقد فصله الشيخ المرتضى (قدس سره) في التقريرات، وكلامها (عليه السلام) هنا يعد أحد الأدلة على حرمة النفاق (٤).

لا يقال: إذا أظهر النفاق لم يعد نفاقاً.
فانه يقال: أولاً: قد يظهر النفاق لغير من نافقه، كما في قوله تعالى: ((وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم إنما نحن مستهزئون)) (٥).
وثانياً: قد يتجلى النفاق في مصاديق أخرى - رغم تكتمه عليه - (٦) كما سيأتي بعد قليل.
وثالثاً: الإضافة في قولها (عليه السلام): (حسيكة النفاق) أما بيانية أو لامية.
وعلى الأول: فيجاب أيضاً بالظهور بعد الخفاء (٧).
وعلى الثاني: لا مانعة جمع بين خفاء النفاق وظهور عداوته.
وهناك روايات عديدة في النفاق وأبوابه وأسبابه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):
«أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر: استماع اللغو، والبذاء، وإتيان باب السلطان، وطلب الصيد» (٨)، أي كما كان عادة الملوك.
وفي الدعاء: «اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق» (٩).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الايمن يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق ليبدو في القلب لمعة سوداء كلما ازداد النفاق

-
- ١- الاقبال: ص ٥٨٩ فصل في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم العشرين من صفر.
 - ٢- غرر الحكم: ص ٣٣١ ح ٧٦٣٣ وص ٤٣٣ ح ٩٨٨٥، وخصائص الأئمة: ص ١٠٧.
 - ٣- أي على حرمة الرضا بسوء فعل قوم، أو بما يحل بأنبياء الله وأوليائه من المحن، ويحتمل إرادة: حرمة إظهار النفاق.
 - ٤- وجهه ما سيأتي منه (دام ظله) في (سمل جلباب الدين)، إضافة إلى ما سبق منه من كونه إخباراً يتضمن إنشاء لكونها (عليها السلام) في مقام التوبيخ والردع والزجر، أو بطنه الإنشاء، أو لدلالة الاقتضاء.
 - ٥- سورة البقرة: ١٤.

٦- أي أن واقع النفاق قد يتسرب ويظهر عبر بعض (النوافذ) و (المظاهر).
٧- أي إن ظهر فيكم حسيكة النفاق فعلى الإضافة البيانية يكون المعنى: (حسيكة هي النفاق) وقد ظهر هذا النفاق بعد أن كان خفياً فلا تناقض إذ كان نفاقاً والآن ظهر فأصبح ظاهره مطابقاً لباطنه.

٨- الخصال: ص ٢٢٧ ح ٦٣.

٩- مصباح الكفعمي: ص ٩٦ الفصل ١٧.

ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «الكذب باب من أبواب النفاق» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إياكم وتخشع النفاق وهو ان يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع» (٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بالكذب يتزين أهل النفاق» (٤).

وقال (عليه السلام): «شر الأخلاق والكذب والنفاق» (٥).

وقال (عليه السلام): «الكذب يؤدي إلى النفاق» (٦).

وقال (عليه السلام): «النفاق يفسد الإيمان» (٧).

وقال (عليه السلام): «إياك والنفاق فان ذا الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله» (٨).

وقال (عليه السلام): «النفاق أخو الشرك» (٩).

وقال (عليه السلام): «النفاق توأم الكفر» (١٠).

وقال (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق» (١١).

قولها (عليه السلام): (الحسيكة) هي: الضغينة والعداوة.

وفي بعض النسخ: (حسكة النفاق) وهو على الاستعارة يعني: انهم كانوا يضمرون النفاق في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويظهرون النفاق من خلال بعض أعمالهم مثل: النكوص، ومثل: الفرار، ومثل: ما سجل التاريخ من بعض كلماتهم وقد تقدم بعضها، إذ (ما اضرر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه) (١٢)، وقال (عليه السلام): «من أستر لأخيه غشاً أظهره الله على صفحات وجهه» (١٣).

فلما فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحياة ظهر نفاقهم وتجلّى في مصاديق جديدة كمنع أهل البيت (عليهم السلام) عن خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) والهجوم على بيت فاطمة (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغصب فدك، وما أشبه ذلك كما جاء في مختلف التواريخ.

١- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٩٤.

٢- تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١١٣ باب الكذب.

٣- تحف العقول: ص ٦٠.

٤- غرر الحكم: ص ٢١٩ ح ٤٣٧١.

٥- غرر الحكم: ص ٢١٩ ح ٤٣٧٣.

٦- غرر الحكم: ص ٢٢٠ ح ٤٤٠٨.

٧- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٧٥.

٨- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٨٠.

٩- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٨٣.

١٠- غرر الحكم: ص ٤٥٨ ح ١٠٤٨٤.

١١- غرر الحكم: ص ٤٦٠ ح ١٠٥١٩.

١٢- شرح النهج: ج ١٨ ص ١٣٧.

١٣- ارشاد القلوب: ص ٨٤.

وأصل الحسك: الشوك، يقال: حسك السعدان، والواحدة حسكة، ثم استعير للنفاق الكامن في الباطن الذي يسبب وخز الآخرين بالأعمال والأقوال وحتى بالنظرات والإشارات، بل حتى بتموجات الفكر وإشعاعات القلب.

وسمل جلباب الدين (١)

المحافظة على نضارة الدين

مسائل: يحرم أن يقوم الإنسان بما يؤدي إلى فقدان الدين نضارته وطراوته، ليتحول خَلْقاً بالياً (٢) وهذا في مرحلة الثبوت.

ويحرم أن يقوم بما يسبب أن يظهر الدين بمظهر الخلق البالي الذي لا يستطيع حل مشاكل الحياة أو أن يتَّهم بـ (الرجعية) (٣)، وهذا في مرحلة الإثبات.

كما يحرم أن يتَّهم أحد (الدين) بالرجعية والسَّمَل أو أن يتَّهم الدعاة إليه بذلك. والوجه في قولها (عليه السلام): (سمل جلباب الدين) أن القوم بتحتيتهم من نصبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة له، وقد كان أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وأقواهم على الحق وأتقاهم وأكثرهم حكمة وعقلاً ودراية، كانوا السبب في فقدان الدين نضارته وطراوته وتحوله خَلْقاً بالياً:

ثبوتاً، وذلك بجهل كثير من الأحكام في كل أبعاد الحياة، وبوضع الشيء في غير موضعه - كنصب من لا أهلية له أميراً ووالياً وقاضياً وشبه ذلك.

واثباتاً، حيث ظهر بذلك المظهر قديماً وحديثاً، وحيث اتَّهم بالكثير من التَّهم (٤). ولذلك نرى أن الحق عندما يعود إلى نصابه بظهور الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) يعود الدين على يديه غُضاً جديداً..

وإننا وإن لم نقدر على ذلك كما هو المفروض وفي جميع المجالات لكن يجب علينا قدر الاستطاعة قال

١- وفي بعض النسخ: (وسمل جلباب الإسلام) راجع كشف الغمة: ج ١ ص ٤٨٧.

٢- فعدم ممارسة عملية الاجتهاد والاستنباط في المسائل المستحدثة التي ابتلي بها عالم اليوم كمسائل التأمين والتأمين و البنوك والقوة الشرائية وحجم النقد، وكذلك عدم استخراج الحكم الإسلامي في أبواب: الحقوق، القانون، الأحزاب، السياسة، الإقتصاد، علم النفس والاجتماع و..، يؤدي الى فقدان الدين نضارته وطراوته.

٣- فعدم استخدام الوسائل الحديثة في التبليغ: كالألب الحديث، والكمبيوتر والانترنت والأقمار الصناعية، والاقتصار على أسلوب القدماء في التعبير والاستدلال والوسائل، يؤدي الى أن يظهر الدين بمظهر الخلق البالي فتفر منه جموع الشباب لتقع في فخ الأحزاب الشرقية والغربية.

٤- كاتهامه بأنه دين السيف بسبب بعض الفتوحات غير المدروسة، واتهامه بالاستبداد والاثرة والظلم بسبب تصرفات الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن شاكلهم.

تعالى: ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)) (١). ولعموم أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبهه. وقولها (عليه السلام): (سمل جلباب الدين) وإن كان إخباراً عن قضية تاريخية إلا أنه يستنبط منه بدلالة الاقتضاء وغيرها حرمة كل ما يؤدي إلى أن يسمل ثوب الدين، بل يدل على شدة حرمة حيث اعتبرت (عليه السلام) في عداد تلك الكبائر (٢) وعدته إحدى النتائج المؤلمة لإعراضهم عن خليفة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

وسمل جلباب الدين: كناية عن التفرق عن الدين حتى صار كالجلباب الخلق ليست له تلك الطراوة التي كانت في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك في كل زمان و مكان وجماعة. (وسمل) على وزن نصر، أي صار خلقاً، وجلباب الدين: تشبيهه بالجلباب الواسع الذي تغطي المرأة به جسمها، فكان الدين - في أحد احتمالات المعنى (٣) - كان جلباباً على هؤلاء يغطي عيوبهم ونفاقهم، فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانقلبوا على أعقابهم صار ثوباً خلقاً وظهر من خلاله ما كانوا ينوونه ويضمرونه من النفاق والشقاق.

ونطق (٤) كاظم الغاوين

تستر أهل الضلالة

مسألة: يحرم (٥) أن يكظم الغاوي (٦) غيه ويكتم غوايته بقصد التستر والمحافظة على ذاته وغيه كي تسنح له الفرصة المناسبة فيفسد، أما إذا كان بقصد ضده (٧) ولئلا تشيع الفاحشة فلا. ونطقه وإفصاحه عند تهيأ الفرصة وسنوحها، عما كظمه وستره من الغي - نطقاً قولياً أو عملياً - محرم أيضاً. وفي أمثال المقام الذي كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) بصدده، من أكبر الكبائر، فإنها محاربة لله ولرسوله ولأهل بيته (عليهم السلام).

١- سورة البقرة: ٢٨٦.

٢- أي (ظهر فيكم حسكة النفاق) و (نطق كاظم الغاوين..).

٣- والمعنى الآخر: هو ما بني عليه المبحث السابق. فليدقق.

٤- وفي بعض النسخ: (فنطق).

٥- من باب المقدمة، ولأنه لفاعل مكر، وقد قال تعالى: ((ومكروا ومكر الله)) سورة آل عمران: ٥٤، أو ما أشبهه.

٦- الغاوي: الضال، والكاظم: الساكت، وكظمه: حبسه وأمسك على ما في نفسه منه.

٧- أي بقصد أن يعالج نفسه كي يظهر من ذلك.

قال تعالى: ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)) (١).
وقال سبحانه: ((إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)) (٢).

لزوم الحذر

مسألة: يجب أن لا يغتر المرء بسكوت أهل الضلالة، إذ رب يوم له ما بعده، وسكوتهم هذا قد يخفي ما خلفه، وقد يكون من مصاديق (ومكروا..)، فإن (كاظم الغاوين) قد يترصد الفرص لينطق يوماً ما.
وقد ورد: «المؤمن كيس فطن حذر» (٣).
وقال (عليه السلام): «اعلم إن للأمور أواخر فاحذر العواقب، وإن للأمور بغتات فكن على حذر» (٤).
وقال (عليه السلام): «المؤمن إذا وعظ ازدجر وإذا حذر حذر» (٥).
وقال (عليه السلام): «من اعتبر حذر» (٦).

الفاعل والساكت الراضي

مسألة: الحرمة تكون بالنسبة إلى تلك الصفات الأربع: الناطق، النابغ، الهادر، الخاطر.
وبالنسبة إلى من يظهر فيهم مثل هؤلاء الغاوين والأقلين والمبطلين وهم يقدرون على رده فلم يردوه، ككل منكر يظهر في جماعة وهم قادرون على رده والمنع عنه فلا يفعلون.
وبالنسبة للراضي بفعلهم، وذلك لأن (الساكت عن الحق شيطان أخرس)، ولما ورد في تكثير السواد (٧)

١- سورة الأعراف: ١٧٥.

٢- سورة الحجر: ٤٢.

٣- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٩٧.

٤- تحف العقول: ٣٦٧.

٥- غرر الحكم: ص ٩٠ ح ١٥٤٠.

٦- غرر الحكم: ص ٤٧٢ ح ١٠٧٩٢.

٧- راجع المناقب: ج ٤ ص ٥٩ فصل في آياته بعد وفاته (عليه السلام)، ومثير الأحران: ص ٨٠، واللهوف: ص ١٣٦-١٣٧، واللفظ للهوف: «وروى ابن رباح قال: رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين (عليه السلام) فسئل عن ذهاب بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أنني لم أضرب ولم أرم، فلما قتل (عليه السلام) رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الأخيرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال أجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه يدعوك، فقلت: ما لي وله، فأخذ بتلبيبي وجرني إليه، فإذا النبي (صلى الله عليه وآله) جالس في صحراء، حاسر عن ذراعيه، أخذ بحربة، وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار، فقتل أصحابي التسعة، فكلما ضرب ضربة التهب أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يرد علي، ومكث طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي وفعلت ما

ولأدلة النهي عن المنكر (١) وقوله (عليه السلام): (الراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم) (٢).
قولها (عليها السلام): (ونطق كاظم الغاوين) المراد بكأظم الغاوين: الذي كان ساكتاً ويكظم غيظه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين، كما كان كذلك المنافقون وضعفاء الإيمان الذين يقولون في أنفسهم ((نؤمن ببعض ونكفر ببعض))

ونبغ حامل الاقلين وهدر فنيق المبطلين

ببعض)) (٣)، ويريدون التخلص من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله حتى يستريحوا - بزعمهم (٤) - .
ويتركوا الجهاد في سبيل الله والتقدم عبر العمل بأمر الله عز وجل.

ونبغ حامل (٥) الاقلين (٦)

قولها (عليها السلام): (ونبغ أي ظهر وخرج (خامل الاقلين)، والمراد بالاقليين: الذين كانوا في جيش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه في جماعة المؤمنين، ولكنهم كانوا يضمرون النفاق والشقاق، فإنهم ظهروا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد خمولهم في زمانه (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا محرم كما لا يخفى.

وهدر فنيق المبطلين

قولها (عليها السلام): (وهدر فنيق المبطلين) الفنيق: هو البعير، والمراد بهدره: صوته، لأن الهدر هو صوت البعير الذي يخرج من حنجرته، والمراد:
أن زعماء أهل الباطل من المسلمين المنافقين أخذوا يرفعون أصواتهم ويكررونها ويرددونها (٧) ضد قيادات الإسلام ومناهجه وهذا من المحرمات الكبيرة.

فعلت، فقلت: والله يا رسول الله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال: صدقت ولكنك كثرت السواد، ادن مني، فدنوت منه فإذا طست مملوء دماً، فقال لي هذا دم ولدي الحسين (عليه السلام) فكحلني من ذلك الدم، فانتبهت حتى الساعة لا أبصر شيئاً».

١- راجع موسوعة الفقه: ج ٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣١ ح ٧٦٣٣، وفي نهج البلاغة أيضاً، الكلمات القصار.

٣- سورة النساء: ١٥٠.

٤- في قوله (بزعمهم) إشارة دقيقة إلى أن الراحة في الحقيقة هي في اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دنيا وآخرة، وإن بدى لمن يجهل كل الأبعاد والغايات إن في اتباعه ضدها.

٥- الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

٦- وفي بعض النسخ: (الأولين).

٧- إذ هدر البعير: ردد صوته في حنجرته.

من أساليب المبطلين

مسألة: يلزم معرفة أساليب المبطلين لمواجهتها، وقد أشارت (صلوات الله عليها) باختيارها كلمة (هدر) في التعبير عن أسلوب زعماء المبطلين (١) إلى حقيقة هامة، وهي أنهم لا يكتفون لاثبات باطلهم بمجرد ذكره، بل أنهم يعتمدون منهج (غسيل الدماغ) عبر التكرار والترديد وإعادة القول مرة بعد مرة (كما يردد البعير صوته في حنجرته)، وهي نفس القاعدة التي اعتمدها لينين (٢) حيث قال: «أكذب ثم أكذب ثم أكذب حتى يصدقك الناس». وفي المقابل، على جبهة الحق أن تعتمد أسلوب الإرشاد بعد الإرشاد، والتكرار بعد التكرار، كما قال تعالى: ((وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)) (٣).

وقال سبحانه: ((فذكر إن نفع الذكرى)) (٤).

وقال عز وجل: ((فذكر إنما أنت مذكر)) (٥).

دراسة سنن الحياة

مسائل: تجب دراسة سنن الحياة وحركة التاريخ وكيفية حدوث التطورات وردود الأفعال، والاعتبار بذلك، واتخاذ الموقف المناسب لنصرة الحق وإبطال الباطل.

فإن كلامها (عليها الصلاة والسلام): أبعد غورا في شرح ما جرى وإدانتهم عليه، إذ يستفاد منه التحليل الدقيق للظواهر الاجتماعية وكيفية تحرك قوى الضلال، للاعتبار على ضوء ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)) (٦)، وللحيطة والحذر للناقد البصير الذي ينظر إلى كلامها (عليها السلام) بلحاظ كونه إنشاء أيضاً بالنظر للمستقبل كما هو إخبار عن الماضي.

فكما حدث مع الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) سيحدث مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وهكذا وهلم جرا، ولو اعتبرت الأمة بكلامها لما تكرر الخطأ ولما حدثت المآسي اللاحقة. وفي الحال الحاضر علينا أيضاً أن نضع كلامها (عليها السلام) نصب أعيننا في تقييم حركة القوى الضالة، ورصدها، واتخاذ التدابير اللازمة قبل حدوث أي منعطف يستغله الضالون (لينطقوا)، والخاملون المغمورون (ليظهروا) ويوصلوا ويجولوا، ورؤوس الفتن (ليهدروا)، ثم بعد ذلك (ليخطرُوا).

١- عبر الإمام المؤلف بـ (زعماء المبطلين) نظراً لأن (الفنيق) من الإبل هو: الفحل المكرم الذي لا يؤذى ولا يركب لكرامته، فاستعارت (عليه السلام) الفنيق لهم كناية عن كبارهم وزعمائهم.

٢- فلاديمير لينين (١٨٧٠-١٩٢٤) زعيم الثورة الاحادية في روسيا ومؤسس الحزب الشيوعي، من كبار منظري الماركسية.

٣- سورة الذاريات: ٥٥.

٤- سورة الأعلى: ٩.

٥- سورة الغاشية: ٢١.

٦- سورة يوسف: ١١١.

فخطر في عرصاتكم

الشيطان في مسرح القلوب

مسألة: يحرم أن يجعل الإنسان من نفسه ما يخطر الشيطان في عرصاته.

وعبر أدب تصويري رائع تعبر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بقولها: (فخطر في عرصاتكم) عن طريقة الشيطان التي يرسمها وحالته، إذ يقال خطر البعير بذنبه خطراً: إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه. والمراد: أنه صال وجال في محالكم، فقد هدر بصوته وحرك عقبه فرحاً وتبختراً كما يفعل البعير ذلك، ومنه قول الحجاج (١) - لما نصب المنجنيق على الكعبة ورمى الكعبة وأهلها (٢) - قال:

خطارة كالجمل الفنيق *** أعددتها للمسجد العتيق (٣)

وقد شبه رمي الكعبة بخطر الفنيق، يقصد بذلك أن اليوم لنا والقوة لنا في قبال الكعبة، ومن اعتصم بها. وفي كلامها (عليها السلام) هنا إشارة دقيقة، إذ عبرت بـ (عرصاتكم) مشيرة إلى قابلية القابل ووجود الأرضية عندهم لتقبل وساوس الشيطان والاستجابة لـ (خطره)، فإن (العصر): هو اللعب والمرح، و (العصرة) و (العرصات): هي ساحة الدار، وقد سميت بذلك لاعتراض (أي لعب ومرح) الصبيان فيها، وقد قال تعالى: ((فاستخف قومه فأطاعوه)) (٤).

فقد (خطر) الشيطان، ولكن أين؟، في ساحات قلوبهم وأفكارهم التي جعلوها مسرحاً للأهواء والشهوات، قال تعالى: ((أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)) (٥).

ومن ذلك نعرف أن الشيطان لا (يتمكن) من ابن آدم، إلا لو (مكنه) هو منه، حيث لا جبر كما مر، وقد فصلنا الحديث عنه في بعض كتبنا (٦).

١- الحجاج بن يوسف الثقفي (٩٥هـ) ولد في الطائف، ولاه عبد الملك بن مروان ثم تولى مكة والمدينة والطائف والعراق، كان سفاكاً وسفاحاً وقمة في الاستبداد والطغيان.

٢- راجع علل الشرائع: ص ٨٩، والخرائج والجرائح: ص ٢٦٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٦ ص ١٠٨ وج ١٥ ص ٢٤٢ وج ١٦ ص ١٢٦، وبلاغات النساء: ص ١٧٣.

٣- عوالم العلوم، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام) خطبتها في المسجد (الحاشية) طبع وتحقيق مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) قم المقدسة.

٤- سورة الزخرف: ٥٤.

٥- سورة النحل: ٩٩ - ١٠٠.

٦- راجع موسوعة الفقه (المدخل): كتاب العقائد.

مواصفات المعارضين للإمام (عليه السلام)

- مسألة: يلزم فضح المتآمرين على أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيان صفاتهم، وقد تضمنت الجمل السابقة من كلماتها (صلوات الله عليها) إشارة رائعة ودقيقة لصفات المتآمرين فهم كانوا يتصفون بـ:
- ١- الغي والضلالة.
 - ٢- المكر والحيلة، لكظم غيظهم استعدادا للمستقبل.
 - ٣- الجهر بالباطل عند سnoch الفرصة (ونطق).
 - ٤- أنهم كانوا أقلية ولا تعبر في حقيقتها عن رأي الأكثرية، بل تسلحت بالإرهاب لإسكات جبهة الحق والأكثرية.
 - ٥- أنهم مجموعة ساقطة لا مستوى لها.
 - ٦- أنها برزت وظهرت عند منعطف استراتيجي، وهو وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وذلك لسرقة الثورة والنهضة والدولة والقوة، والحكومة التي أرسى دعائمها الرسول (صلى الله عليه وآله).
 - ٧- أنها تستخدم أسلوب (غسيل الدماغ): (هدر) - كما سبق -.
 - ٨- أن ظاهرها أنيق مكرم (فنيق) رغم أن الواقع تعيس مهشم.
 - ٩- أنها قطعة من الباطل والضلالة.
 - ١٠- أنها تتبع الخطة بالخطأ (هدر.. فخطر).
 - ١١- أنها تتخذ قواعد المؤمنين مسرحا لمخططاتها ومؤامراتها.
 - ١٢- أنها في سبيل الشيطان وتابعة له.

وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم

فسح المجال لقوى الشر

- مسألة: يحرم تهينة الأرضية وفسح المجال لقوى الشر والشياطين، لكي تنطلق من مكائنها وتخرج رؤوسها من مغرزاها، هاتفة بالبشرية، مستدرجة للجماهير، مضللة لها.
- قال تعالى: ((ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)) (١).
- ومن المعلوم أن للحرمة في هذا الباب درجات مختلفة، وما حدث بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) كان من أشد المحرمات، لأنه غير مجرى التاريخ وحرّف مسيرة الأمة، وقد ورد أن:
- (من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من وزره شيء) (٢).

١- سورة المائدة: ٢.

٢- راجع ثواب الأعمال: ص ١٣٢ باب ثواب من سن سنة هدى، والصراط المستقيم: ج ٣ ص ٨٠، ومكارم الأخلاق: ص ٤٤٤.

وذلك لأن (الدال على الخير كفاعله) (١) والدال على الشر كذلك، فإنه السبب وهو (سعيه). فلا يقال: إن هذا ينافي قوله سبحانه: ((وإن ليس للإنسان إلا ما سعى)) (٢) حيث أن سعيه خاص بعمله هو، وبسعيه المباشر، ولا يشمل عمل الآخرين الذين يقتدون به، وأيضاً: ينافي قوله تعالى: ((كل امرئ بما كسب رهين)) (٣) وما أشبه كقوله سبحانه: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) (٤). لأنه يقال: إن سن السنة السينة فعله هو ووزر نفسه، ففعله هو الذي سبب وزر الآخرين، فهو وزرهم وفي نفس الوقت وزره أيضاً.

و (السعي) و (الكسب) أعم من (السعي) و (الكسب) المباشر، إذ يصح الإسناد إليهما (٥) وهو كذلك عقلاً ولَبّاً وكتاباً وسُنّة (٦)، كما في ((وما رميت إذ رميت)) (٧). ثم (التسبب) من مصاديق السعي والكسب (٨) وقد تطرقنا إلى ذلك في (الفقه: الاقتصاد) (٩) وغيره.

مكامن الشيطان

مسألة: يجب التعرف على مكامن الشياطين، وقواعد رؤوس الضلالة، ومغاوير الفتن، ومن ثم إقامة السدود والحواجز دونهم، بل السعي لاستئصال شأفتهم فإن (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس) (١٠). ومن مصاديق ذلك ما طلبوه من ذي القرنين حيث ((قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً)) (١١).

ولا يخفى عظيم هذه المسؤولية في زمن الغيبة الكبرى على العلماء، فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: «فقيه واحد، ينقذ يتيماً من إيتامنا، المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه، أشد على إبليس من ألف

١- الخصال: ص ١٣٤، والاختصاص: ص ٢٤٠، وثواب الأعمال: ص ١.

٢- سورة النجم: ٣٩.

٣- سورة الطور: ٢١.

٤- سورة الأنعام: ١٦٤.

٥- أي يصح إسناد الفعل للفاعل المباشر والسبب المرشد والمحرّض، كما نقول: يزيد قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وعمر بن سعد قاتله، وشمر كذلك.

٦- إذ من الواضح أن ((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها)) (سورة البقرة: ١١٤) يشمل قرار الحكومة بالمنع، وعمل الشرطة المباشر للمنع، و ((سعى في خرابها)) يشمل المخططين لخرابها والمحرّضين والمنفذين.

٧- سورة الأنفال: ١٧.

٨- فيستحق العقوبة عليه، من باب المقدمة.

٩- موسوعة الفقه: ج ١٠٧-١٠٨ كتاب الاقتصاد.

١٠- تحف العقول: ص ٣٥٦.

١١- سورة الكهف: ٩٤.

ألف عابد وألف ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه نفسه وذات عباد الله وامائه ينقذهم من إبليس ومردته» (١).

وعن الإمام الحسن (عليه السلام): «فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل يخرج من جهل ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس إلى السها» (٢).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده بهداه وهده قال له الله عزوجل: يا أيها العبد الكريم المواسي اني أولى بهذا الكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم» (٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أديانهم» (٤).

وقال الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام): «إن من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم، المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيادي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أنمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد بأفضل المواقع وأكثر من فضل السماء على الأرض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء» (٥).

والمراد بالشيطان في قولها (صلوات الله عليها) إما المعنى الحقيقي، كما هو الظاهر. أو المعنى المجازي، أي: أخرج زعماء الشرك والنفاق رؤوسهم من مغارزها، كما في قوله تعالى: ((وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)) (٦).

ويمكن إرادة كلا المعنيين، بناء على إمكان ذلك عبر (الجامع) أو (في المجموع) أو (على سبيل القول) والتفصيل في الأصول (٧).

ثم هل للشيطان (مغرز) حقيقي، أم ان التعبير كناية عن الظهور بعد الخمول؟

لا يبعد الأول، وربما يدل عليه بعض الروايات.

هذا ولا فرق - من حيث الحرمة والأثر الوضعي - بين أن يقصد من (سن سنة حسنة) أو من (سن سنة

١- الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٥٦.

٢- منية المريد: ص ١١٦.

٣- منية المريد: ص ١١٦.

٤- منية المريد: ص ١١٧.

٥- منية المريد: ص ١١٨.

٦- سورة البقرة: ١٤.

٧- راجع (الأصول) للإمام المؤلف ج ١ ص ١١٢ مبحث (استعمال اللفظ في أكثر من معنى).

سيئة) أن يعمل بالسنة غيره أم لا، إذ هو (السبب) على كلا التقديرين، وإن كان ربما يقال بالدرجات والمراتب، وهل هناك فرق بين أن يعلم أو لا يعلم، أو الجاهل القاصر والمقصر ذكرناه في محله في باب التجري وما أشبهه (١).

قولها (عليها السلام): (مغرزه) المراد بالمغرز: محل اختفاء الرأس، ولعله تشبيهه بالقنفذ وما أشبه حيث يخفي رأسه عند الخوف ويخرج رأسه عند زوال الخوف، وإن المنافقين ومن إليهم كانوا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يختفون ويتسللون لوأذاً، فلما توفي (صلى الله عليه وآله) أظهروا أمرهم، وهذا كناية عن تلك الحالة على ذلك الاحتمال.

فألفاكم لدعوته مستجيبين

وقد قال عبد الله بن الزبير، لما قيل له: لماذا لم تذكر اسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة الجمعة؟ إن له أهيل سوء إذا ذكر اسمه إشرأبت أعناقهم (٢).
أقول: لكن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يشرأبون للحق، وهؤلاء المنافقون كانوا يشرأبون لإظهار الباطل بعد اختفاء الحق بموت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).
فألفاكم لدعوته مستجيبين

الاستجابة للشيطان

مسألة: إجابة الشيطان - بما هي هي - محرمة في المحرمات ومكروهة في المكروهات، وربما يقال بلحاظ كونها استجابة له - بما هي استجابة - محرمة في الجملة حتى في غير المحرمات فتأمل، فلو تعثون المكروه - عرفاً - بكونه استجابة لدعوة الشيطان كان من هذا الباب، وكذلك المباح في الجملة، ولو قام به مسنداً ذلك إليها ففيه الإشكال، وربما استلزم ما يخرج به عن الإيمان.
وقد يكون نظير ذلك التشبه بالكفار، والتفصيل في (الفقه).
وعلى هذا فإن قولها (عليها السلام): (فألفاكم لدعوته مستجيبين) يستفاد منه الإشارة إلى محرمين: المدعو إليه، والاستجابة معنونة بذلك (٣)، أو مسندة إليها (٤)، ولا بذلك: محرمة طريقياً، أو مكروهة كذلك (٥).

١- راجع (الفقه: المرور) للإمام المؤلف.

٢- راجع الصوارم المهرقة: ص ٩٧ وفيه: «إذا ذكرته اشروا وشمخوا بأنوفهم». وفي شرح النهج ج ٢ ص ١٢٧: «إذا ذكرته اتلعوا أعناقهم».

٣- أي معنونة بكونها استجابة.

٤- أي مسندة إلى دعوة الشيطان.

٥- والفرق بينهما: أن الثاني قصدي، دون الأول، فتارة يقوم بالعمل لانه قد دعاه إليه الشيطان أو من يجب،

وفي القرآن الكريم: ((وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إنني كبرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب اليم)) (١).

وقال تعالى: ((ولا تتبعوا خطوات الشيطان)) (٢).

هذا وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان مخالفة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) استجابة للشيطان واتباع لخطواته والدخول في حزبه، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبا العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى، يا علي أنت إمام المسلمين وأمر المؤمنين وخير الوصيين وسيد الصديقين، يا علي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر، يا علي أنت

خليفتي على أمتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز عداوتي، يا علي أنت المظلوم بعدي يا علي، أنت المفارق بعدي، يا علي أنت المحجور بعدي، أشهد الله تعالى ومن حضر من أمتي حزبك حزبي وحزبي حزب الله، وان حزب أعدائك حزب الشيطان» (٣).

الثبات على العقيدة

مسألة: يجب الثبات على العقيدة الصحيحة والعمل الصالح، وعدم التهاون في ذلك.
وقد قال سبحانه بالنسبة إلى فرعون: ((فاستخف قومه فأطاعوه)) (٤) وبالنتيجة أدخلهم النار في الآخرة كما أغرقهم في الدنيا، وصار مثلاً للطغاة الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وشعوبهم أيضاً.
ولقد كان هؤلاء المنافقون في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) كما كان قوم فرعون في زمنه، وكان شيطانهم كفرعون أولئك، فكما (استخف قومه فأطاعوه) كذلك (أفاكم لدعوته مستجيبين) أي: وجدكم الشيطان لدعوته للباطل مستجيبين.

وتارة يقوم بالعمل لا لذلك بل لرغبة فيه لكنه عرفاً يتأطر بإطار الاستجابة وينطبق عليه عنوانها (كما أن التشبه بالكفار أيضاً كذلك فتارة يلبس ملابسهم لأنهم كذلك يلبسونها وتارة لا يقصد ذلك بل لأجل التوقي من البرد مثلاً بهذا المصداق من الملابس مكنه عندما يراه الناس يصدق عليه عندهم عرفاً أنه تشبه بالكفار). فيشمله الحرمة أو الكراهة حسب ما هو المذكور في الفقه.

١- سورة إبراهيم: ٢٢.

٢- سورة البقرة: ٢٠٨.

٣- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٦.

٤- سورة الزخرف: ٥٤.

أرضية الاستجابة

مسألة (١): لعل الإتيان بباب الاستفعال من قبيل قوله سبحانه ((استجبوا لله وللرسول)) (٢)، وقوله تعالى: ((استجبوا لربكم)) (٣)، فإن الإنسان الذي يجيب يتطلب الإجابة أولاً نفسياً أو ما أشبه ثم يظهره عملياً. وهذه (الأرضية النفسية للاستجابة إلى الشيطان) في جانبها الاختياري، تعد من رذائل الاخلاق، وقد تكون محرمة.

فالمفروض أن يجاهد الإنسان نفسه كي (تكراه) أية تلبية لنداء الشهوات والشياطين، وأية (رغبة) في ما تدعو إليه الأبالسة، وكما يكره الإنسان بطبعه أكل القاذورات يمكن له بالمجاهدة والرياضة أن (يكره) ارتكاب المحرمات.

وقد كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاوية: «ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك» (٤). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا يتمكن الشيطان الوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله واستهان وسكن إلى نهيه ونسي إطلاعه على سره» (٥).

وللغرة فيه ملاحظين

وقال رجل للإمام الرضا (عليه السلام): «أوصني، قال: احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الشيطان من قيادك فتذل» (٦).

وللغرة فيه ملاحظين (٧)

الاغترار الفكري والعاطفي

مسألة: الاغترار بالشيطان قد يكون فكرياً أو عاطفياً أو عملياً، والأقسام الثلاثة تتراوح بين الحرمة والكراهة.

والظاهر من إطلاق (٨) كلامها (صلوات الله عليها) ان القوم كانوا للاغترار بالشيطان في كل الأقسام الثلاثة

١- قوله دام ظله (مسألة) بلحاظ الحكم الشرعي الذي سيذكره بعد اسطر.

٢- سورة الأنفال: ٢٤.

٣- سورة الشورى: ٤٧.

٤- وقعة صفين: ص ١٠٩.

٥- مصباح الشريعة: ص ٧٩.

٦- إرشاد القلوب: ص ١٠٣.

٧- وفي بعض النسخ: (وللعزة ملاحظين).

٨- حيث ان المفرد المحلى بأن يفيد الشمول، كما في قوله تعالى: ((وأحل الله البيع)) (سورة البقرة: ٢٧٥) و

ملاحظين، كما ان التاريخ يشهد بذلك أيضاً.

والاغترار الفكري من مصاديقه: تبرير الانحراف والتمسك بالتشكيك حجة على عدم الدفاع عن الحق وعلى التعاون مع أئمة الكفر ودعاة الضلال وحكام الجور.

والاغترار العاطفي من مصاديقه: الميل والركون إلى الأعداء، وقد قال تعالى: ((لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)) (١).

وقال عزوجل: ((الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً)) (٢).

وقال سبحانه: ((ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالك من دون الله أولياء ثم لا تنصرون)) (٣).

أما الاغترار العملي: فواضح.

ومن البين أن ذلك يسبقه عادة النوعان الآخران، وذلك مما قد يتجه الإنسان نحوه للتخلص من عذاب الوجدان، ووخز الضمير، وللحفاظ على ماء وجهه وكرامته أمام الآخرين، ولكن مع كل ذلك ((بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره)) (٤).

وقد قال سبحانه: ((إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)) (٥)، والمراد بالغرور الشيطان، إذ يكثر منه غر الإنسان وغشه وخداعه.

وقد خطب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء حينما رأى صفوف الأعداء كالسيل فقال: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (عليه السلام) فنعم الرب ربنا وبئس العباد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ثم أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ولقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون، انا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين» (٦).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أيها الناس أذكركم الدنيا والاغترار بها» (٧).

وقال (عليه السلام): «أكبر الحمق الاغترار» (٨).

وقال (عليه السلام): «الدنيا حلم والاغترار بها ندم» (٩).

(الغرة) كذلك.

١- سورة آل عمران: ٢٨.

٢- سورة النساء: ١٣٩.

٣- سورة هود: ١١٣.

٤- سورة القيامة: ١٤ - ١٥.

٥- سورة لقمان: ٣٣، فاطر: ٥.

٦- المناقب: ج ٤ ص ١٠٠ فصل في مقتله (عليه السلام).

٧- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٥٠.

٨- غرر الحكم: ص ٥٢ ح ٣٧٤.

وقال (عليه السلام): «الغفلة تكسب الاغترار وتدني من البوار» (٢).
وقال (عليه السلام): «خذ بالثقة في العمل وإياك والاعترار بالأمل» (٣).

التراجع عن الدين

مسألة: يحرم التراجع عن الدين وأن ينقلب المسلمون على أعقابهم.
فإنه اشد حرمة من عدم الدخول في الدين، لأنه ارتداد، والارتداد أشد من الكفر في بعض الأحكام، كما ذكر في موضعه، ولما فيه من إضعاف جبهة المؤمنين، وإيجاد التشكيك في صفوفهم، والبلبل في أوساطهم، وذلك كان من مخططات المشركين المنافقين زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) في المعارك وغيرها.
قال سبحانه: ((وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)) (٤).

وقال تعالى: ((أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) (٥).
وهذا إخبار من الله عز وجل عن ردتهم بعد نبيه (صلى الله عليه وآله).
وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته يوم الغدير بعد ما قرأ هذه الآية المباركة (٦): «معاشر الناس انه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، معاشر الناس إن الله وأنا برينان منهم، معاشر الناس انهم وأنصارهم وأتباعهم وأشياعهم في الدرك الأسفل من النار ولبئس مثوى المتكبرين (عليه السلام)» (٧).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن النبي لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفاراً إلا ثلاثاً سلمان والمقداد وأبو ذر الغفاري» (٨).

وعنه (عليه السلام): «إن الذين ارتدوا على أديبارهم عن الإيمان بتركهم ولاية علي أمير المؤمنين» (٩).
وقد ورد في أخبار غيبة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) أن «له غيبة يرتد فيها أقوام» (١٠).
وفي الدعاء: «اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد» (١١).

١- غرر الحكم: ص ١٣٥ ح ٢٣٤٨.

٢- غرر الحكم: ص ٢٦٦ ح ٥٧٥٩.

٣- التحصين لابن فهد: ص ١٦.

٤- سورة آل عمران: ٧٢.

٥- سورة آل عمران: ١٤٤.

٦- سورة آل عمران: ١٤٤.

٧- الاحتجاج: ص ٦٢ احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلهم.

٨- الاختصاص: ص ٦.

٩- تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠٨ سورة محمد.

١٠- كمال الدين: ص ٣١٧.

قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه ملاحظين) المراد بالغرة: الاغترار والاتخاذ، يعني: انهم اغتروا بالشيطان، ولاحظوا أمره واستمعوا إلى صوته وهتافه، ولهذا رجعوا على أدبارهم القهقري.
ولا يخفى اللطف في تعبيرها (عليها السلام) بـ (في) بدل (الباء) (٢) نظرا لأفادتها الظرفية، وهو أوقع من باء السببية في المقام، إذ يتضمن معنى تصويريا يكون المظروف فيه (الغرة) والظرف (دائرة الشيطان).

هل الأصحاب كالنجوم؟

مسألة: هذه الفقرات من كلماتها (عليها السلام) وما سبقها وسيلحقها تكشف النقاب عن عدم صحة التمسك بعموم ما ذكر في كتب العامة من أمثال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).
فإذا كان أصحابه (صلى الله عليه وآله) كما ذكرت (عليها السلام): (فألفاكم لدعوتهم مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا.. فوسمتم غير إيلكم.. ألا في الفتنة سقطوا.. وكتاب الله بين أظهركم.. وقد خلفتموه وراء ظهوركم.. وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي.. والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون... وسرعان ما أحدثتم.. حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.. فأنى حزتم بعد البيان.. وأشركتكم بعد الإيمان.. الخ).

فكيف يمكن أن يكونوا كالنجوم وكيف يجوز أن يقال: (بأيهم اقتديتم اهتديتم)؟ وكيف يكون هنالك (عشرة مبشرة بالجنة)؟

وما كلامها (عليها السلام) إلا إيضاح وتفصيل، لقوله تعالى: ((أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) (٣).
بل إن كلماتها (عليها السلام) هاهنا تكشف عن أن كثيراً من المهاجرين والأنصار في المدينة انحرفوا عن جادة الصواب ولذا كان خطابها وعتابها شاملاً للكثير من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله). هذا وفي الروايات الصحيحة: (أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (٤).
وفي تفسير العياشي عن الحسين بن المنذر قال: «سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله: ((أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) القتل أم الموت، قال: يعني أصحابه فعلوا ما فعلوا» (٥).
وفي تأويل الآيات عن علي بن إبراهيم قال: «إن المخاطبة لقوله عز وجل ((من یرتد منكم عن دينه)) (٦) لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين ارتدوا بعد وفاته وغصبوا آل محمد حقوقهم» (٧).

١- البلد الأمين: ص ١٠٩ من أدعية الإمام الكاظم (عليه السلام).

٢- أي قولها (عليها السلام): (وللغرة فيه) ولم تقل (وللغرة به).

٣- سورة آل عمران: ١٤٤.

٤- غوالي اللثالي: ج ٤ ص ٨٦ ح ١٠٠.

٥- تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٠٠ سورة آل عمران.

٦- سورة المائدة: ٥٤.

٧- تأويل الآيات: ص ١٥٥ سورة المائدة: ٥٤.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً

وقور عند الهزاهز

مسألة: يحرم على الإنسان أن يكون (العبودية) بيد الشيطان و (أداة طيعة) بيده، أو بيد سائر قوى الشر والضلال، بحيث يجده (خفيفاً) عند الاستثارة (غضباً) عند التهيج. بل على الإنسان أن يكون وقوراً عند الهزاهز، ملازماً للحق، بحيث لا يميل إلى هذا الجانب وذاك، فإن البعض (تستفزه) الأحداث فينفجر ضد الحق أو يتخذ قرارات مرتجلة.

وعلى الإنسان أيضاً أن لا يكون مستسلماً للعواطف السيئة أو مهبطاً لها، كالغضب والشهوة والجبن والخوف والشرر وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أن يكون ثقيلاً في الحق، كما قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) لولده: «تزول الجبال ولا تزل» (١).

وقال (عليه السلام): «كن في الشدائد صبوراً وفي الزلازل وقوراً» (٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة» (٣).

وعنه (عليه السلام) قال: «صفة المؤمن: قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في استقامة، واغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور...» الحديث (٤). ولا يكون كما قال الشاعر:

كريشة في مهب الريح طائشة***لا تستقر على حال من القلق

قولها (عليها السلام): (ثم استنهضكم) يعني: أن الشيطان أولاً هتف بكم فلما رآكم قد استجبتم له طلب نهوضكم بالأمر، فإن كل مبطل أو محق يدعو الناس أولاً بالقول، فإذا رأى فيهم الاستجابة النفسية وما أشبهه وعلى صعيد الكلمات والشعارات أيضاً، دعاه ذلك إلى دعوتهم للعمل ووضع المخطط العملي لهم.

(فوجدكم خفافاً) أي في الحركة، سراعاً فيها، مبادرين إلى ما دعاكم إليه ولستم بثقال تلزمون الحق، كما قال سبحانه وتعالى بالنسبة إلى فرعون ((فاستخف قومه فأطاعوه)) (٥).

١- نهج البلاغة: الخطبة ١١.

٢- غرر الحكم: ص ٢٨٢ ح ٦٢٩٠.

٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٥٩٢ المجلس ٨٦ ح ١٧.

٤- الخصال: ص ٥٧١ خمسون خصلة من صفات المؤمن ج ٢.

٥- سورة الزخرف: ٥٤.

الأصل: النهضة أم التحفظ؟

مسألة: هل الأصل (النهضة) و (التحرك)؟

أم الأصل (الاحتياط) و (التحفظ)؟

أم الأصل (إحقاق الحق)؟

الظاهر انه ليست النهضة أصلاً ولا الثورة ولا الحركة، إذ قد يستنهض الشيطان الناس للثورة على وضع قائم، كما قالت (صلوات الله عليها): (ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً) وكما في الثورات الشيوعية والانقلابات العسكرية، ثم انه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الحسن والحسين إمامان قاما وإن قعدا» (١). وليس الأصل السكون والتحفظ أيضاً، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض)) (٢).

وفي الحديث: «الساکت عن الحق شيطان أخرس».

و: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام ظالم» (٣).

وفي بعض الأحاديث: «عند سلطان جائر» (٤) و..

بل (إحقاق الحق) هو الأصل، فقد تكون النهضة والثورة طريقاً إليه، وقد يكون السكون والتحفظ كذلك، قال (عليه السلام): «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب» (٥).

وقد يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر أسلوب المقاومة السلبية: من عدم التدريس، الجلوس في الدار، وعدم الذهاب للعمل، وسائر ما يسمى اليوم بالعصيان المدني.

وكان أمير المؤمنين (عليه صلوات الله وسلامه) هو أول من استخدم أسلوب المقاومة السلبية ضد الحكومة الجائرة، وكانت السيدة الزهراء (عليها السلام) هي أول من استخدمت ذلك الأسلوب كذلك. ومن هذا الباب نرى أن الإمام الحسن (عليه السلام) صالح معاوية والإمام الحسين (عليه السلام) حارب يزيد والتفصيل في محله. ومثل ما ذكرناه ما جاء في السكوت وما أشبهه، فقد سنل (عليه السلام) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال (عليه السلام): «لكل واحد منها آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل وكيف ذاك يابن رسول الله، قال لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما يبعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجب ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، انك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام

١- علل الشرائع: ص ٢١١، الإرشاد: ج ٢ ص ٣٠، الفصول المختارة: ص ٣٠٣، المسائل الجارودية: ص ٣٥،

النكت في مقدمات الأصول: ص ٤٨، متشابه القرآن: ج ٢ ص ٤٦، كفاية الأثر: ص ٣٦.

٢- سورة التوبة: ٣٨.

٣- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٠٠.

٤- غوالي اللئالي: ج ١ ص ٣٢٤ ح ١٣١.

٥- نهج البلاغة: قصار الحكم ١، وغرر الحكم: ص ٤٦٤ ح ١٠٦٧٥ الفصل التاسع في الفتنة.

بالسكوت» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «السكوت عند الضرورة بدعة» (٢).

وقال (عليه السلام): «لا خير في السكوت عن الحق كما انه لا خير في القول بالجهل» (٣).

وقال (عليه السلام): «رأس الحكمة لزوم الحق وطاعة المحق» (٤).

وقال (عليه السلام): «خير الأمور ما أسفر عن الحق» (٥).

وقال (عليه السلام): «الحق أحق أن يتبع» (٦).

وقال (عليه السلام): «الزموا الحق تلزمكم النجاة» (٧).

وقال (عليه السلام): «من نصر الحق أفلح» وفي رواية (غنى) (٨).

وقال (عليه السلام): «قولوا الحق تغنموا، واسكتوا عن الباطل تسلموا» (٩).

واحشمكم (١٠) فألفاكم غضابا (١١)

من أسلحة الشيطان

مسألة: يلزم التعرف على (أسلحة الشيطان)، فإن التعرف على أسلحة العدو من أهم عوامل المقدرة على التصدي لها ومواجهتها، ومن أهمها القوة الغضبية والعصبية الجاهلية والقومية والعائلية وغيرها.

كما قالت (صلوات الله عليها): (وأحشمكم) فقد أثار فيهم الشيطان العصبية والحسد ضد وصي الرسول الإمام علي (عليه السلام) فقد كان قتل منهم بأمر من الله ورسوله - كثيراً وذلك إبان مواجهتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في المعارك والغزوات؟

فقالوا: كيف تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد؟

وكيف يتأمر عليهم من عرفوه بـ (شدة تنمره في ذات الله)، ولو حكم لحملهم على الحق مره وحلوه.

١- الاحتجاج: ص ٣١٥.

٢- غوالي اللئالي: ص ٢٩٣ ح ١٧٥.

٣- غرر الحكم: ص ٧٠ ح ٩٩١.

٤- غرر الحكم: ص ٥٩ ح ٦٣٢.

٥- غرر الحكم: ص ٦٨ ح ٩٢٥.

٦- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٥٩.

٧- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٦٦.

٨- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٧٥ و ٩٧٦.

٩- غرر الحكم: ص ٧٠ ح ٩٨٦.

١٠- وفي بعض النسخ: (وأحشمكم).

١١- وفي بعض النسخ: (عظافاً).

فالعصبية العائلية كانت سببا، والأضغان الشخصية كانت سببا آخر، والحسد كان عاملاً ثالثاً كما قال تعالى: ((أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)) (١).
وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين والأئمة أهل البيت (عليهم السلام) حيث حسدهم الناس (٢).
والخوف على المصالح الشخصية كان العامل الرابع.. إلى غير ذلك.
قولها (عليها السلام): (واحمشكم) أي: أغضبكم الشيطان، (فألفاكم غضابا): أي وجدكم تغضبون لغضبه.
ولا يخفى أن (حمش) و (حشم) كلاهما ورد بمعنى: أغضب.
وفي بعض النسخ: (واحمشكم فألفاكم عطافا) من العطف بمعنى الميل، وهذا يصح على كل معني حمش (٣): (أغضبكم فوجدكم مانلين إليه) أو (جمعكم فوجدكم منعطفين إلى ما جمعكم عليه).
وعلى إرادة معنى (الجمع) تكون هذه الفقرة مشيرة إلى معنى جديد زائد على (استنهضكم) كما كانت على ذلك المعنى مشيرة إلى معنى آخر.

الشيطان وسياسة الخطوة خطوة

مسألة: يتضمن كلامها (صلوات الله عليها) الإشارة إلى أسلوب مكر يستخدمه إبليس وشياطينه، فإن من أقوى أسلحة الشيطان الرجيم في اصطياذ المؤمنين هو (التدرج) في استدراجهم، فهو يزين للإنسان النظرة، ثم الابتسامة، ثم الحديث، ثم اللقاء، ثم الزنا بالأجنبية، وهو يزين للإنسان السكوت عن الظالم، ثم فتح حوار معه، ثم زيارته، ثم الذوبان في بحر عطاءاته حتى النخاع..
وهكذا وهلم جرا.

فقد (اطلع الشيطان رأسه من مغرزه)، (هاتفا بكم)، (فألفاكم)، (ثم استنهضكم)، (واحمشكم) (عليه السلام) وذلك من أسرار ما ورد من قوله (عليه السلام) (أشد الذنوب ما استهان به صاحبها) (٤).
وفي الحديث أن: (السينات بعضها أخذ بعنق بعض).
وفي الآية الشريفة: ((سنستدرجهم)) (٥).
فيجب الحذر والاحتياط عند أول خطوة، وإن كانت في حد ذاتها غير محرمة، فإن (لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه) (٦) و (أخوك دينك فاحتط لدينك) (١).

١- سورة النساء: ٥٤.

٢- راجع كمال الدين: ص ٦٨٠، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٧ ص ٢٢٠ وفيه: «أنها نزلت في علي (عليه السلام) وما خص به من علم».

٣- حمشه: أغضبه وهيجه، وحمشه: جمعه.

٤- نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٤٨، ٤٧٧.

٥- سورة الأعراف: ١٨٢، وسورة القلم: ٤٤.

٦- غوالي اللثالي: ج ٢ ص ٨٣.

وهذا الأسلوب يستخدمه الشيطان مع من له بعض القوة والحصانة، أما هشّ الإيمان فانه يستجيب له بمجرد إشارة واحدة فقط، وقد كان البعض كذلك.

ولعل كلامها (عليها السلام) منصرف إلى القسم الأول، أما القسم الثاني فكانوا على وفاق مسبق معه، وكانوا يخططون للأمر قبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) بل منذ إسلامهم الظاهري (٢).

فوسمتم غير ابلکم، ووردتم (٣) غير شربکم (٤)

التصرف في ملك الغير

مسألة: يحرم - حرمة نفسية ومقدمية -: أن يسم الإنسان غير ابله وأن يرد غير مشربه، فان التصرف في ملك الغير أو حقه لا يجوز إلا بإذنه، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض)) (٥).

وقال (عليه السلام): «لنلا يتوى حق امرئ مسلم» (٦).

وجهان للقضية

قولها (عليها السلام): (فوسمتم غير ابلکم) الوسم عبارة عن: الكي، ووضع علامة على الشيء يعرف بها

١- الأُمالي للشيخ المفيد: ص ٢٨٣ المجلس ٣٣ ح ٩.

٢- إشارة إلى حديث الإمام الصادق (عليه السلام) إجابة على سؤال: كيف اسلما ولم اسلما طوعاً أو كرهاً؟ فقال (عليه السلام): بل طمعاً، راجع الخرائج ص ٤٨٣ وفيه: «قال (عليه السلام): ما اسلما طوعاً ولا كرهاً، وانما اسلما طمعاً، فقد كانا يسمعان من أهل الكتاب منهم من يقول: هو نبي يملك المشرق والمغرب وتبقى نبوته إلى يوم القيامة، ومنهم من يقول: يملك الدنيا كلها ملكاً عظيماً وينقاد له أهل الأرض، فدخلا كلاهما في الإسلام طمعاً في أن يجعل محمد (صلى الله عليه وآله) كل واحد منهما والي ولاية، فلما أيسا من ذلك، دبرا مع جماعة قتل محمد (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة فكمنوا له وجاء جبرائيل وأخبر محمد (صلى الله عليه وآله) بذلك، فوقف على العقبة وقال: يا فلان، يا فلان، يا فلان، أخرجوا فاني لا أمر حتى أراكم كلکم قد خرجتم، وقد سمع ذلك حذيفة، ومثلها طلحة والزبير فهما بايعا علياً (عليه السلام) بعد قتل عثمان طمعاً في أن يجعلهما كليهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) والياً على ولاية، لا طوعاً ولا رغبة، ولا إكراهاً ولا اجباراً، فلما أيسا من ذلك من علي (عليه السلام) نكتا العهد وخرجا عليه وفعلنا ما فعلنا».

٣- وفي بعض النسخ: (أوردتم).

٤- وفي بعض النسخ: (مشربکم).

٥- سورة النساء: ٢٩.

٦- غوالي اللئالي: ج ١ ص ٣١٥.

انه ملك لهذا الشخص أو لذاك، وهذا تشبيه لاخذهم الخلافة وغصبهم فذك بمن يستولي على ابل غيره فيجعلها لنفسه غصبا ونهباً، كمن يسم ابل الناس بسمة نفسه حتى يستولي عليه ويستملكه متذرعاً بالعلامة، وكمن يدخل ويرد على غير مشربه فانه غاصب للمشرب.

ولكلامها (عليها السلام): هنا (عقدان) عقد سلب وعقد إيجاب: فما ليس لهم قد وسموه، وما هو لغيرهم لم يسمحوا له بوسمه والتصرف فيه.

وبعبارة أخرى: الخلافة ليست لكم بل هي لغيركم، والتصرف فيها كان لغيركم فاتخذتموه لأنفسكم. قولها (عليها السلام): (ووردتم غير شربكم) وفي بعض النسخ (أوردتم) وفي بعضها (وأوردتموها شرباً ليس لكم) وفي بعضها (مشربكم) (١) والكل بمعنى واحد تقريباً. (الورد) (٢): عبارة عن الحضور على الماء والصيرورة إليه. كما قال سبحانه في قصة موسى (عليه السلام): ((ولما ورد ماء مدين)) (٣). فانهم أوردوا آباهم على ماء غيرهم.

و (الشرب) بالكسر عبارة عن: الحظ من الماء، لان الجماعة التي لها البئر أو النهر، يكون لكل واحد منهم حظ فيه، من ساعة أو ساعتين أو أكثر أو اقل، وهاتان الجملتان كنايةتان عن اخذ القوم ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وفذك وغير ذلك كما وضحناه.

ثم إن الحرمة تترتب على كلا المعنيين: الحقيقي والمجازي الكنائي (٤) كما لا يخفى. وان وسم ابل الغير محرم نفسي بما هو تصرف في ملك الغير، وطريقي باعتبار كونه مقدمة للاستيلاء والتملك وتثبيت ذلك.

وادعاء الخلافة أيضاً لغير وصيه (صلى الله عليه وآله) محرم نفسي ومقدمي، فان نفس هذا الادعاء - من غير أهله - بما هو محرم نفسي، وبما هو طريق إلى فعلية الغصب للخلافة محرم مقدمي.

مصادرة الحقوق

مسائل: تحرم مصادرة حقوق الآخرين، وانتهاك حرمتهم، كما يحرم (تبرير) ذلك و (التعليل) له و (تغطيته) تحت عنوان (المصلحة العامة) أو ما أشبه ذلك، فانه إغراء وتلبيس وخداع وتضليل كما هو شأن كل طاغ وجبار وجائر، ويحرم تبرير الآخرين متحلقين وغيرهم عمل الجائر أيضاً. وقد علل القوم مصادرتهم الخلافة وغصبهم حق الإمام علي (عليه السلام) بـ (لأن فيه دعابة) (٥)، ولأن

١- المشرب: موضع الشرب، ويطلق على نفس الماء أيضاً، كما هو الشأن في المصدر الميمي.

٢- الورد: هو الاسم من ورد، والمصدر: الورد.

٣- سورة القصص: ٢٣.

٤- المعنى الحقيقي هو وسم الإبل وورود مشرب الغير، والمجازي هو غصب الخلافة كما هو المقصود من كلامها (عليها السلام).

٥- راجع شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٥ و ص ١٨٥، و ج ١٢ ص ١٤٢، و راجع المناقب: ج ٣ ص ٢١٣ فصل في

كلمة العرب لا تجمع عليه لكثرة من قتل منهم إبان مواجهتهم للرسول (صلى الله عليه وآله)، ولأنه حدث السن، وكما قالت (عليها السلام) (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة) وشبه ذلك.

وحقيقة الأمر غير ذلك كما صرحت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إذ السبب الحقيقي كان (ظهر فيكم حسكة النفاق.. وهدر فنيق المبطلين.. واطلع الشيطان رأسه من مغرزه.. هاتفا بكم.. ثم استنهضكم.. واحمشكم.. (ف) والفاء للتفريع (وسمتم غير ابلکم..).

وعلى ضوء كلامها (عليها السلام) نعرف السبب الحقيقي وراء مصادرة الحكومات الجائرة أملاك الناس وثرواتهم وتأميم بعضها للشركات الكبرى والمعادن والصناعات الأم وغيرها.

ثم إنه تشمل التكنية بـ (وسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم): سرقة (الاعتبار)، كما كان صفة القوم يومذاك، وهو مشمول لاطلاق كلامها (عليها السلام)، وكما يصنعه (سراق الثورة) والذين يتخذون سياسة ركوب الموج وأشباههم.

وكان من ذلك سرقة ألقاب أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (١). ومنه سرقة الفضائل والأمجاد والبطولات والتاريخ المشرق أيضاً (٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خذوا بحجة علي (عليه السلام) فإنه الصديق الأكبر وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أبغضه الله، ومن تخلف عنه محقه الله» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين (عليه السلام) يا علي أنت الفاروق الأعظم وأنت الصديق الأكبر» (٤).

ورود في زيارته (عليه السلام): «السلام عليك أيها الصديق الأكبر، السلام عليك أيها الفاروق الأعظم» (٥).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي سيف الله على أعدائه» (٦).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا سيف الله على أعدائه ورحمته على أوليائه» (٧).

حساده (عليه السلام)، هذا وقد ورد أن أصل الدعابة من صفات المؤمن قال (عليه السلام): «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة» معاني الأخبار: ص ١٦٤ باب معنى الدعابة، ومشكاة الأنوار: ص ١٩٠ ومستطرفات السرائر: ص ٥٧٩.

١- من ألقابه (الصديق) و (الفاروق) و (سيف الله) و (أمير المؤمنين).. الخ.

٢- كوضع حديث الخوخة في قبال حديث سد الأبواب راجع (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله).

٣- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٦٧٣ المجلس ٩٦ ح ٨.

٤- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٦ ح ١٣.

٥- المزار: ص ٧٨.

٦- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١١ المجلس ٣ ح ٦.

٧- المناقب: ج ٣ ص ١١٣.

جواز الكناية

مسألة: الكناية في الخطاب جائزة، بل هي مما قد يحسن ويرجح، وليست الكناية كذباً كما سبقت الإشارة إليه، والكتاب والسنة ملينان بذلك، ومنه كلامها (عليها السلام) هاهنا: (فوسمتم غير ابلکم ووردم غير مشربکم).

فان الميزان في الكذب ليس حجم الكلام ولا هيكله وشكله، ولذا قالوا خرج عن الكذب التورية والمبالغة والإغراق والكناية (١).

والفرق بين المبالغة والإغراق: إن المبالغة فوق الواقع بقليل، أما الإغراق فهو فوق الواقع بكثير، فقد يقول: استقبله من أهل المدينة مائة، وقد يقول: استقبله كل أهل المدينة، بينما في الأول لم يستقبله مثلاً إلا ثمانون وفي الثاني لم يستقبله إلا نصف أهل المدينة.

وهكذا خرج عن الكذب مثل الاستهزاء وما أشبه، لان الاستهزاء ليس من مقولة الخبر، بل من مقولة الإنشاء، والإنشاء لا مسرح للكذب والصدق فيه.

نعم قد يكذب الإنشاء باعتبار كونه طريقاً إلى الخبر، مثلاً يقول: تفضل إلى دارنا، فانه إنشاء، لكنه يجب بأنك تكذب، ويراد تكذيب قصده الواقعي، أي ما أراده أن يفهمنا بالكلام، يعني أنك لا تقصد (الدعوة) عن جدّ، وانما تقصده خداعاً أو هزلاً كما ذكرناه في حاشية المنطق (٢).

هذا والعهد قريب

حرمة نقض العهد

مسألة: يحرم نقض العهد، وأشد منه حرمة بل هو من أشد الكبائر: نقض عهد الله ورسوله، ومثل نقض عهدبيعة الغدير يعد من الكبائر الموبقة.

وذلك بدلالة العقل والنقل.

وهذا بخلاف الوعد، فان المشهور بين الفقهاء عدم حرمة خلفه، وان كان الوفاء بالوعد من الصفات الحسنة.

والفرق بين العهد والوعد، ان العهد ما يقع في العهدة، وأما الوعد فهو ما يتلفظ به مع القصد من دون أن يكون كذلك، فالعهد أكد من الوعد، ومن هذه الجهة يقال: (العهد بين الدول)، و (المعاهدات الدولية)، ولا يقال الوعود بين الدول، إلى غير ذلك.

ومن تلك الفروق: أن العهد عقد وليس الوعد عقداً.

وإذا علمنا بأن العهد واجب الوفاء فما بالك بعهد يعهده رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله) إلى الأمة؟

١- للتفصيل راجع موسوعة الفقه، كتاب المكاسب المحرمة: ج ٢ ص ٣٣.

٢- مخطوط.. وللتفصيل راجع أيضاً كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

- وهي خلافة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - خاصة مع تأكيدات المتكررة بأنه عهد عهده الله إليه ليبلغه الأئمة! كما في القرآن الحكيم: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)) (١).

وقال تعالى: ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم)) (٢).

وقال سبحانه: ((الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)) (٣).

وقال تعالى: ((وبعهد الله أوفوا)) (٤).

وقال سبحانه: ((وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا)) (٥).

وقال تعالى: ((وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)) (٦).

وقد ورد في العديد من الروايات تفسير العهد بولاية أمير المؤمنين وإمامته وخلافته.

ففي تفسير القمي في الآية المباركة: ((الذين ينقضون عهد الله)) (٧) قال: «نزلت هذه الآية في آل محمد وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذر من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده، وهو قوله: ((الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)) يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الذي أخذ الله عليهم في الذر، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير خم» (٨).

والكلم رحيب

وروي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الإيمان بعد توكيدها)) (٩) عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنها نزلت في ولاية أمير المؤمنين (١٠).

إلى غيرها (١١).

والكلم رحيب

قولها (عليها السلام): (والكلم رحيب) أي الجرح، فإن الكلم عبارة عن الجرح، والرحيب بمعنى وسيع، لأن

١- سورة المائدة: ٦٧.

٢- سورة النحل: ٩١.

٣- سورة البقرة: ٢٧.

٤- سورة الأنعام: ١٥٢.

٥- سورة الإسراء: ٣٤.

٦- سورة البقرة: ٤٠.

٧- سورة الرعد: ٢٥.

٨- تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦٣ سورة الرعد.

٩- سورة النحل: ٩١.

١٠- تفسير القمي: ج ١ ص ٣٨٩.

١١- راجع تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٠١ سورة محمد.

موت الإنسان يحدث جرحاً عميقاً واسعاً في نفوس أقربائه وأودائه ثم يتجمع الجرح حتى يندمل، وفي هذا إلفات إلى أنه لم يمض على وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) سوى ساعات حتى اجتمعوا في السقيفة، وكلامها (عليها السلام) هذا يدل على شدة حرمة ما فعله القوم.

والجرح لما يندمل

وجوب إحياء أمرهم (عليهم السلام)

مسألة: يمكن التمسك بكلامها (عليها السلام) هنا - وبدلالة الاقتضاء (١) - دليلاً آخر على وجوب إبقاء مصاب الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، حياً في القلوب، طريراً على الألسن، ظاهراً على الجوارح كشعيرة من شعائر الله.

فإن عدم اندمال الجرح حقيقة - أو تنزيلاً عبر ما يقوم به مقامه (٢) - هو من أكبر أسباب إدانتهم، ومن أكبر عوامل فضح الظلمة والجائرين، ومن مقومات ردع من تسول له نفسه اتخاذ منهجهم والسير على دربهم، وهو (إنذار) و (إرشاد) و (تنبيه) كما لا يخفى.

وقد كان من علل بكانها (عليها السلام) تذكير الناس بمصائب الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وإبقائه حياً طريراً، إحياءً لذكره (صلى الله عليه وآله) ولكلماته ومنهجه ومدرسته، إضافة إلى فضحهم كما كان ذلك من علل بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) عشرين أو أربعين سنة (٣).

وكلامها (عليها السلام) في خطبتها في المسجد وغيرها كانت ولا تزال من أهم العلل لتحول تلك المصائب والرزايا الكبرى إلى صور حية متجسدة أمام النواظر، متجذرة في النفوس، حارة في القلوب إلى يوم القيامة، فهي تذكرنا دائماً بالمؤامرة على منهج الرسول (صلى الله عليه وآله) والصراف المستقيم، وتدعونا للعودة إلى ما أكد (صلى الله عليه وآله) عليه مكرراً بقوله: (كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (٤).

فإن موت الرسول (صلى الله عليه وآله) خلف في القلوب جرحاً، ولم يطل الزمان حتى يندمل الجرح وينسى الناس وفاته، أي كيف فعلتم هذه الفعلة مع أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يدفن بعد، فقد اجتمعوا في السقيفة قبل دفن الرسول (صلى الله عليه وآله) وفعلوا ما فعلوا.

ونذكر بعض العلماء أن حكمة إبقاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) جسد الرسول (صلى الله عليه وآله)

١- وهي ما يتوقف صحة أو صدق الكلام أو بعضه عليه، فإن صحة اعتراضها (عليها السلام) عليهم ب (والجرح لما يندمل) موقوف على كون عدم اندمال الجرح سبباً لمزيد القبح في فعلهم، وسبباً لصحة الاعتراض والفضح، وإذا كان ذلك كذلك وكان ما يقوم مكانه كذلك، اشتركوا في الحكم.

٢- كالتذكير، والتصدير، والتمثيل وغير ذلك.

٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٤٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠٠ ب ١٤ ح ٥٩.

وآله) ثلاثة أيام يصلى عليه، بالإضافة إلى إرادة صلاة الناس عليه، انه أراد أن لا يترك لهم عذراً يدفعهم إلى نبش القبر بحجة الصلاة على الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا عذراً يدفعهم حتى إلى مجرد طرح هذا الأمر في المجالس وتردده على الألسنة، فانه هتك حرمة بنفس هذا المقدار، كما حدث بالنسبة للسيدة الزهراء (عليه السلام) حيث أرادوا نبش القبر والصلاة عليها، ولكنها (عليها السلام) كانت قد أوصت بتجهيزها ليلاً حتى تثبت مظلوميتها للعالمين ولكي تسلب الشرعية ممن آذوها وغصبوا حقها وحق بعثها (صلوات الله عليهما).

التفاعل مع مصاب الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يحرم عدم التفاعل مع ما ورد على الزهراء (عليها السلام) من المصائب، وعدم الاهتمام بما ورد عليها (صلوات الله عليها).

وقد ورد في مستفيض الأحاديث بل متواترها - ولو تواترا معنوياً أو إجمالياً - (شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)(١).

وقد صح عن الفريقين غضبها (صلوات الله عليها) على الشيخين (٢) وايدانها لها (عليها السلام)(٣)، كما ثبت عند الفريقين قوله (صلى الله عليه وآله): «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»(٤)، وقوله (صلى الله عليه وآله): «من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»(٥).

هذا وقد قال سبحانه: ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)) (٦).

١- راجع الخصال: ص ٦٣٥، وغرر الحكم: ص ١١٧ ح ٢٠٥٠، وجامع الأخبار: ص ١٧٩، وفضائل الأئمة الثلاثة: ص ١٠٥ فضائل شهر رمضان ح ٩٥، وصفات الشيعة: ص ٣ ح ٥، وارشاد القلوب: ص ١٤٤ و ص ٢٥٧ و ص ٤٢٣، وبشارة المصطفى: ص ١٨ و ص ١٦٢ و ص ١٩٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٢٢ ب ٤ ح ٥٢. وانظر أيضاً: صحيح البخاري: ج ٣ ص ١١٢٦ ح ٢٩٢٦، وج ٤ ص ١٥٩٤ ج ٣٩٩٨، وج ٦ ص ٢٤٧٤ ح ٦٣٤٦، وصحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٩-٣٠ ح ١٧٥٩، وسنن الترمذي: ج ٤ ص ١٣٥ ح ١٦٠٩، والسنن الكبرى للبيهقي: ج ٦ ص ٣٠٠، ومسنند أحمد: ج ١ ص ١٨ ح ٥٦.

٣- انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ١ ص ٢٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦٢ ب ١ ح ١٦. وانظر: المستدرک على الصحيحين للحاكم: ج ٣ ص ١٦٧ ح ٤٧٣٠، وميزان الاعتدال: ج ١ ص ٥٣٥ ح ٢٠٠٢، وأسد الغابة: ج ٧ ص ٢٢٤، والإصابة: ج ٤ ص ٣٧٨، وتهذيب التهذيب: ج ١٢ ص ٤٦٩ ح ٢٨٦٠، ومجمع الزوائد: ج ٩ ص ٢٠٣، وذخائر العقبى: ص ٣٩، وتذكرة الخواص: ص ٣١٠، وكفاية الطالب للكنجي: ص ٣٦٤، والشرف المؤبد: ص ١٢٥.

٥- المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢، فص في حب النبي (صلى الله عليه وآله) إياها، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٣.

٦- سورة الأحزاب: ٥٧.

وكيف لا يتفاعل المؤمن مع من بغضبها يغضب الرب الجليل؟ (١).

ثم إن المراد بـ (الجرح لما يندمل) قد يكون: الأعم من جرح موت الرسول (صلى الله عليه وآله) ومما ورد عليها من الجراح، وفي قصة حرق الدار وعصرها بين الحائط والباب وكسر الضلع وإسقاط الجنين وغير ذلك مما هو مذكور في التواريخ.

وقد يكون المراد من (والجرح لما يندمل) جرحها فقط.

وكلا الأمرين جائز فان الجرح مادي ومعنوي، والجامع أنه جرح، ولذا قال الشاعر:

جراحات السنن لها التيام***ولا يلتام ما جرح اللسان

ولعل الآية المباركة أيضاً يراد بها الاتئان، قال سبحانه: ((إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله)) (٢).

والرسول (صلى الله عليه وآله) لما يقبر

ومن المعلوم أنه أصابتهم في الحرب قروح نفسية وقروح بدنية، لان الحرب لها أهوال ومخاوف، كما ان لها جروحا ومعاطب.

ولا يخفى أن كل واحد من القرح والجرح يطلق على الآخر مع انفراده، أما مع اجتماعه فالجرح ما يجرح والقرح يراد به الدمل ونحوه.

والرسول (صلى الله عليه وآله) لما يقبر

عدم دفن الرسول (صلى الله عليه وآله)

مسألة: من المحرمات ترك الرسول (صلى الله عليه وآله) دون تكفين وغسل ودفن والاشتغال بما اشتغلوا، ووجه الحرمة فيه إضافة إلى كونه مخالفه لواجب مسلم (٣) أنه (٤) إهانة بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) كما هو إهانة بالنسبة إلى كل ميت له شيء من الاحترام، والإهانة محرمة مطلقاً خصوصاً بالنسبة إلى عظماء الدين فكيف بالرسول (صلى الله عليه وآله) الذي هو اعظم من كل عظيم، مضافاً إلى أن القضية كانت مؤامرة ضد وصي الرسول (صلى الله عليه وآله) وخليفته المنصوص عليه.

ووجه احتجاجها (عليها السلام) بـ (الرسول لما يقبر) هو: الجوانب النفسية والطريقية وما أشبهه مطابقة أو تضمناً أو التزاماً، لذلك الترك.

١- إذ ان تلك الجرائم الكبرى بحق ابنة الرسول ووصيه أوجبت سخطها وغضبها الشديد وغضب الله سبحانه وتعالى، فكيف لا يغضب المؤمن لغضب الرب.

٢- سورة آل عمران: ١٤٠.

٣- واجب المسلم هو دفن المسلم وكفنه وتغسيله وهو واجب شبه فوري ولا يجوز تأخيره أكثر من المقدار المتعارف.

٤- أي تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن والاشتغال بالدنيا.

ويدل عليه أيضاً قولها (عليها السلام) بعد قليل: (ألا في الفتنة سقطوا) فإن (السقوط) امتد بامتداد الزمن وفي شتى الجهات.

توضيح ذلك: أن تركه (صلى الله عليه وآله) دون غسل وكفن ودفن محرم نفسي كما كان حراماً من جهة طريقيته إلى الانشغال بغصب الخلافة، ومن جهة طريقيته أيضاً باعتبار كونه فتح باب لأمثال ذلك، - متعللين بعذر أو بآخر - كما جرى بالنسبة إلى سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) حيث تركه القوم هو وأصحابه دون غسل وكفن ودفن، وكما فعلوا مع زيد بن علي (عليه السلام) بعد صلبه، إلى غير ذلك، وهذه السنة السيئة قد سئوها من ذلك اليوم فعليهم وزرّها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

إشارات

المراد من (والعهد قريب) أي عهدكم بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وفي تعيينه خليفة من بعده، وذلك يوم الغدير وغيرها. ويحتمل إرادة العهد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا أيضاً بذلك اللحاظ، بقرينة ما سبقه من الجمل (١).

فانهم في حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يكن بمقدورهم المخالفة العلنية بهذا النحو وبهذه الدرجة وإن خالفوا بانحاء آخر، لكنهم بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) بادروا إلى الانقلاب على الأعقاب بسرعة قياسية.

و (قريب) إشارة إلى الامتداد الزمني، وهو الكم المتصل غير القار.

و (رحيب) إشارة إلى السعة، هو كم متصل قار.

و (لما يندمل) إشارة إلى العمق، وهو من لوازم السعة أيضاً.

و (لما يقبر) إشارة إلى طرف آخر للإضافة، فإن نقضهم لبيعة الغدير له إضافتان:

أولهما: إلى العهد والميثاق نفسه.

وثانيهما: إلى صاحبه ومن عقده (٢).

ومن الواضح أن الجريمة تكون أقبح وأسوأ بلحاظ الإسناد، ومتعاكسة في الجهة، ومساوية في القوة مع درجة من أجرم بحقه.

وله إضافة ثالثة أيضاً: إلى (من عقد له) (٣).

ورابعة: إلى (الأمة).

وخامسة: إلى (الأجيال القادمة)، فإن نقضهم لبيعة الغدير كان جريمة بحق الأمة وبحق كل الأجيال اللاحقة، إذ شرعوا بذلك طريق الفساد والاستبداد والضلال والإضلال إلى يومنا هذا.

١- فوسمتم غير ابلکم ووردتم غير مشربکم.

٢- وهو الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

٣- وهو الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وهناك إضافة سادسة أيضاً: إلى (أنفسهم) إذ بذلك النقض، خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

قولها (عليها السلام): (هذا) أي الانقلاب على الأعقاب والاعتصاب للحق البديهي ووسم غير ابلهم وورود غير مشربهم، (و) الحال أن (العهد) برسول الله (صلى الله عليه وآله) (قريب) إلى درجة كبيرة بل مذهلة، فإن (الرسول لما يقبر) وهذا يتضمن مزيد إدانة لهم عقلياً وعقلانياً وإنسانياً وعاطفياً (عليه السلام) ثم إنه يمكن أن يعد ذلك دفعا لدخل مقدر وإجابة على سؤال مفترض، إذ قد يتعلل بمخالفة القرار الصادر عن القيادة بـ (النسيان) أو بـ (بتغير الظروف)، وطرو مستجدات غيرت المعادلة، لكن (هذا والعهد قريب، والرسول لما يقبر) فأى عذر بعدها لكم؟ مع قطع النظر عن الجواب باستحالة كون هذا العهد مما يقبل التغير على كل الظروف.

وأما التعلل بخوف الفتنة فهو ما ستشير إليه (عليها السلام) في ما سيأتي. ثم إن نقض العهد والحال انه قريب، يكشف عن مزيد من خبث الباطن وعن مدى انقيادهم للشيطان الرجيم، كما أن في الجانب الآخر المسارعة إلى مغفرة من الرب تكشف عن سمو النفس وقوة العبودية له جل وعلا.

ابتداراً^(١) زعمتم خوف الفتنة

المسارعة للشر

مسألة: ربما يستفاد من قولها (عليها السلام): (ابتداراً) حرمة المبادرة للغضب ولمطلق المعصية، فقد يقال: بأن (الاعتصاب) محرم و (المبادرة إليه) محرم آخر. وذلك بلحاظ أن (المبادرة) إلى الشر مذمومة عقلاً، كما أن فعله مذموم، كما أن (المسارعة) إلى الخير حسنة وممدوحة كفعله، ولذلك قال تعالى: ((وسارعوا إلى مغفرة من ربكم))^(٢)، وقال سبحانه: ((فاستبقوا الخيرات))^(٣). بضميمة^(٤) مثل: (العجلة من الشيطان) و«إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها»^(٥).

١- وفي بعض النسخ: (بداراً).

٢- سورة آل عمران: ١٣٣.

٣- سورة البقرة: ١٤٨، وسورة المائدة: ٤٨.

٤- ربما يكون التمهيد بذكر مذمومية المبادرة عقلاً، لدفع دخل كون مثل (العجلة من الشيطان) ملحوظة طريقياً محضاً.

٥- تحف العقول: ص ١٤٧، ودعائم الإسلام: ج ١ ص ٣٦٨.

ولأنها أكثر زماناً (١) وأوسع تأثيراً وأكبر أثراً، ولما فيها (من سن سنة سيئة) (٢)، فتأمل.
وقد يكون السر في الردع عنها عقلاً، أن في التأخير - إضافة إلى ما سبق - احتمال ارتداعه، وإن العجلة فيها تسد الطريق - عادة - على التراجع.

ثم إن المبادرة للشر تكشف عن شدة التجري على الله سبحانه، والاستخفاف بنواهي، وشدة الحرص على الدنيا، وخبث السريرة، وسوء الباطن، وقد قال الله سبحانه في حكم الاغتصاب لأموال اليتامى: ((وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسراراً وبداراً إن يكبروا ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف)) (٣).

أما المبادرة للخير فحسن وقد يجب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصيته لأمير المؤمنين (عليه السلام): «يا علي، بادر بأربع قبل أربع، بشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك» (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «دوام الطاعات وفعل الخيرات والمبادرة إلى المكرمات من كمال الإيمان وأفضل الإحسان» (٥).

وقال (عليه السلام): «المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام» (٦).

وقال (عليه السلام): «للكرام فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف وإسداد الصنائع» (٧).

وقال (عليه السلام): «بادر الفرصة قبل أن تكون غصة» (٨).

وفي وصية لقمان (عليه السلام): «يا بني بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك وقبل أن تسير الجبال سيراً» (٩).

وقال (عليه السلام): «اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل» (١٠).

وفي الحديث: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه..» (١١).

وقال (عليه السلام): «بادر الخير ترشداً» (١٢).

١- إذ أنه يبتدأ من اللحظة الأولى، بينما غير الابتدار يبتدأ من لحظات لاحقة.

٢- وهي سرعة المبادرة للشر والمعصية، وتجد الحديث في مكارم الأخلاق: ص ٤٥٤.

٣- سورة النساء: ٦.

٤- الخصال: ص ٢٣٩ ح ٨٦.

٥- غرر الحكم: ص ١٨٤ ح ٣٤٧٨.

٦- غرر الحكم: ص ٢٤٥ ح ٥٠٠٥.

٧- غرر الحكم: ص ٣٨٣ ح ٨٧١٩.

٨- تحف العقول: ص ٨٠.

٩- الاختصاص: ص ٣٤٠.

١٠- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٤٩.

١١- تحف العقول: ص ٢٨١.

١٢- غرر الحكم: ص ١٠٤ ح ١٨٥٥.

وقال (عليه السلام): «طوبى لمن بادر صالح العمل قبل أن تنقطع أسبابه» (١).

وقال (عليه السلام): «بادر الطاعة تسعد» (٢).

وقال (عليه السلام): «بادر البر فان اعمال البر فرصة» (٣).

وقال (عليه السلام) في الشعر المنسوب إليه:

تزود من الدنيا فانك راحل***وبادر فان الموت لا شك نازل

ومن المبادرة المذمومة ما قاله (عليه السلام): «المبادرة إلى الانتقام من شيم اللئام» (٤)

قولها (عليها السلام): (ابتدارا زعمتم خوف الفتنة)، الظاهر أن (ابتدارا) مفعول له (٥) مقدم لزعمتم، أي زعمتم خوف الفتنة، وهذا الزعم كان لأجل الابتدار إلى أخذ الخلافة، وإلا لم تكن هنالك فتنة لأن الخليفة معين من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (٦).

ثم انه بلحاظ وقوع الابتدار في موقع الذم الأكيد والتفريع الشديد بل في موقع اشد أنواع الذم والتألم والاحتجاج والردع، في كلامها (عليها السلام) يستفاد ما ذكر من الحكم (٧).

تبرير المعصية

مسألة: يحرم تبرير المعصية في الجملة، فان (التبرير) إضلال ومكر وخديعة.

وقد أشارت (عليها السلام) في قولها (زعمتم خوف الفتنة) إلى الأسلوب الذي يستخدمه المنحرفون والطغاة عادة لإخماد صوت المعارضة، وإقناع البسطاء والسذج، ولتكريس الواقع المنحرف، وهو (أسلوب التبرير). وكثيرا ما نرى قادة انقلاب عسكري يعلنون انقلابهم بدكتاتورية الحكم السابق، مع انهم جاءوا بدكتاتورية اشد، ويخططون لظلم اكبر، أو يعلنون بأنهم جاءوا للدفاع عن حقوق المستضعفين وشبه ذلك ثم يدسونهم تحت أرجلهم.

وكان مما علل به القوم غضب الخلافة من الإمام علي (عليه السلام) انهم قالوا إذا لم نبادر الى جعل الخليفة، تقع فتنة بين المسلمين، رغم ان الذين اعتذروا بمثل هذا كانوا يعلمون بأنه عذر غير صحيح، فان الفتنة بين المسلمين صارت بسببهم، وإلا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عين الإمام علي (عليه السلام) خليفة من بعده وأخذ البيعة له من المسلمين يوم غدیر خم (٨)، لكن ((بل الإنسان على نفسه بصيرة *

١- غرر الحكم: ص ١٥٤ ح ٢٨٧٨.

٢- غرر الحكم: ص ١٨٣ ح ٣٤٥٤.

٣- غرر الحكم: ص ٤٤٩ ح ١٠٣٢١.

٤- غرر الحكم: ص ٣٤٦ ح ٧٩٥٣.

٥- كما في قولك (ضربته تأديبا)، ف (زعمتم خوف الفتنة ابتدارا).

٦- كما يحتمل أن يكون (ابتداراً) مفعول له للأفعال السابقة.

٧- أي الحرمة التي ذكرت في أول المسألة.

٨- للتفصيل راجع موسوعة (الغدیر) للعلامة الأميني (رحمه الله).

ولو ألقى معاذيره»(١).

بل كان السبب هو حب الرئاسة و السلطة و (عليه السلام) كما قال علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية: «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وأنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير»(٢).

مثلث المعصية

مسألة: أشارت (صلوات الله عليها) في هذه الجملة القصيرة الى مثلث المعصية الذي وقعوا فيه، فانهم لم يرتكبوا محرماً واحداً بل كانت الجريمة مزدوجة، بل كان عملهم (مجمع المعاصي)، فقد (كذبوا) و (مكروا) و (خانوا).

فب (ابتدارهم) إلى غضب الخلافة (خانوا) الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، و (خانوا) العهد والبيعة، و (خانوا) الإمامة والأمة.

وقد (كذبوا) في زعمهم إن ذلك كان (خوف الفتنة)، إذ كان السبب غير ذلك، بل هو حب الدنيا والرئاسة وما أشبه حيث حليت الدنيا في أعينهم.

وقد (مكروا) حيث حاولوا التغطية على واقع الجريمة باختلاق عذر أرادوا به إقناع الأمة وإغفال الناس ((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)) (٣).

وبذلك كشفوا عن خبث باطنهم وسوء سريرتهم.

وحيث أنها (عليها السلام) في مقام اشد أنواع التقريع، ربما استفيد من ذلك - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - مضافاً إلى حرمة الكذب و المكر والخيانة، كونها من اشد المصاديق حرمة، فإن كل واحد منها تكون حرمة اعظم في الأمور العظيمة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فاني سمعت جبرئيل يقول إن المكر والخديعة في النار، ثم قال (صلى الله عليه وآله): ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً» (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا سوءة أسوء من الكذب» (٥).

وقال (عليه السلام): «الكذب في العاجلة عار، وفي الآجلة عذاب النار» (٦).

وقال (عليه السلام): «الكذب فساد كل شيء» (١).

١- سورة القيامة: ١٤ - ١٥.

٢- نهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

٣- سورة آل عمران: ٥٤.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٠ المجلس ٤٦ ح ٥.

٥- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٢١ المجلس ٥٢ ح ٨.

٦- غرر الحكم: ص ٢٢٠ ح ٣٩٩٤.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ثلاثة يرجعون على صاحبهن: النكث والبغي والمكر» (٢).
وقال (صلى الله عليه وآله): «وإياك والمكر فإن الله قضى أن لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله» (٣).
وقال (عليه السلام): «المكر لؤم والخديعة شؤم» (٤).
وقال (عليه السلام): «المكر سجية اللنام» (٥).
وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الخيانة (٦) وقال: «من خان أمانة في الدنيا ولم يردّها إلى أهلها ثم أدركه الموت، مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه

ألا في الفتنة سقطوا

غضبان» (٧).
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الخيانة رأس النفاق» (٨).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب» (٩).
ألا في الفتنة سقطوا

السقوط في الفتنة

مسألة: قولها (عليها السلام) يدل على أن القوم سقطوا في الفتنة، ويلزم الاعتقاد بذلك، وهذا اقتباس من الآية المباركة: ((ومنهم من يقول انذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين)) (١٠).
وقد ذكرنا فيما تقدم إن الدنيا لها أوجه: وجه دنيوي ملموس، ووجه أخروي ناري، ووجه أخروي نوري، ولا حاجة إلى تكرار ما سبق، وستأتي إشارة إليها ولكننا نضيف هنا:
إن التعبير بـ ((في الفتنة))، وفي للطرفية، بلحاظ إن الفتنة ليست أمرا مفردا وجزئيا واحدا عادة، بل هي ظرف محيط يطوق الإنسان فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغير ذلك، إذ هي منظومة متكاملة من

١- غرر الحكم: ص ٢٢٠ ح ٤٤٠٦.

٢- تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٢١ سورة يونس.

٣- تحف العقول: ص ٣٥.

٤- غرر الحكم: ص ٢٩١ ح ٦٤٧٨.

٥- غرر الحكم: ص ٢٩١ ح ٦٤٨١.

٦- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٠ المجلس ٦٦.

٧- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٠ المجلس ٦٦.

٨- غرر الحكم: ص ٤٦٠ ح ١٠٥١٩.

٩- الاختصاص: ص ٢٣١.

١٠- سورة التوبة: ٤٩.

الجزئيات والأقوال والأفراد والأحداث التي تحيط بالمرء من كل حذب وصوب، فـ (يسقط) فيها الناس. والتعبير بـ (سقطوا) أيضاً لنكتة دقيقة، فإن الفتنة هي مهوى سحيق، وبئر عميقة موحشة يسقط فيها الإنسان، وليس الأمر مجرد منظومة تحيط بإنسان من كل صوب. وكذلك كانت (فتنة السقيفة) فلم تكن مفردة واحدة، بل كانت سلسلة متعاضدة من التخطيط والضغط والقهر والقسر والإرهاب:

أحد أطرافها إنكار وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتهديد من يقول بذلك (١)..
والطرف الآخر حرق باب ابنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) (٢) وكسر ضلعها

١- قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «وروى جميع أصحاب السيرة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما توفي كان أبو بكر في منزله بالسج... فقال عمر بن الخطاب: ما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، لا اسمع رجلاً يقول مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ضربته بسيفي!» وراجع الطرائف: ص ٤٥١.
٢- من أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع كتاب (الهجوم على بيت فاطمة) لمؤلفه عبد الزهراء مهدي، ولا بأس هنا بالإشارة السريعة إلى بعض ما ورد في هذا الكتاب من قصة حرق الدار أو كسر الضلع وإسقاط الجنين وذكر بعض روايتها من مصادر الشيعة والسنة، تنميماً للفائدة:
فمن مصادر الشيعة:

أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧): راجع تقريب المعارف: ص ٢٣٣.
أبو الفتح بن مخدوم العريشاهي الجرجاني (ت ٩٧٦): انظر مفتاح الباب: ص ١٩٩ المطبوع مع الباب الحادي عشر.

أبو الفتح محمد بن علي الكراكي (ت ٤٤٩): كنز الفوائد: ص ٦٣-٦٤.
أبو القاسم جعفر بن محمد قولويه (ت ٣٦٧): كامل الزيارات: ص ٣٣٢-٣٣٤. وص ٣٢٦-٣٢٧.
أبو جعفر الطبري: بشارة المصطفى: ص ١٩٨.
أبو محمد طلحة بن عبد الله العوني (ق ٤): مثالب النواصب: ٤٢٠-٤٢٢.
أبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٨): (ترجمة بحر الأنساب) ص ١-٢، عنه (الهجوم على بيت فاطمة ص ٢٢٤).
أبو هاشم اسماعيل بن محمد الحميري (ت ١٧٣): الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٣.
العلامة المولى مهدي النراقي (ت ١٢٠٩): أنيس الموحدين: ص ١٨٠.
المحقق الثاني الكركي العاملي (ت ٩٤٠): نفحات اللاهوت: ص ٧٨ و ١٣٠.
ابن أبي الجمهور الأحساني (ت ق ١٠): مناظرات في الإمامة: ص ٣٧٨. والمجلد: ص ١٧٤ وص ٣٧٤.
ابن بابويه القمي (ت ٣٢٩): مثالب النواصب: ص ٢٦.
ابن حمزة الزيدي (ت ٦١٤): الشافي: ج ٤ ص ١٧٤.
ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨): مثالب النواصب: ص ٤١٩ و ٤٢٠.
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النقي (ت ٢٨٣): الهجوم على بيت فاطمة: ص ٢٣١.
الإمامي الخاتون آبادي (ت ١١٢٨): جنات الخلود: ص ١٩.

- الأمير علي بن مقرب الإحساني (ت ٦٢٩): ادب الطف: ج ٤ ص ٣١.
- الجرمقي البسطامي الخراساني (ق ١٣): خزان المصائب: ب ٢ ص ١١.
- الحاج محمد حسن القزويني (ت ١٢٤٠): رياض الشهادة في مصائب السادة: ج ١ ص ١٢٢.
- الحاج ملا اسماعيل السبزواري (ت ١٣١٢): جامع النورين: ص ٢٠٦ و ٢٤٤.
- الحسن بن بدر الدين الحسيني الزيدي (ت ٦٧٠): أنوار اليقين: ص ٣٧٨-٣٧٩.
- الحسن علاء الدين الحلبي (ق ٨): عنه الغدير: ج ٦ ص ٣٩١-٣٩٢.
- الحسين العقيلي الرستمداري (ق ١٠): رياض الأبرار: ص ٣٣.
- السروجي: مثالب النواصب: ص ٤٢٣.
- السيد الحسن الرازي (ق ٦): تبصرة العوام: ص ٤٩.
- السيد بن طاووس (ت ٦٦٤): الطرائف: ص ٢٣٨.
- السيد حيدر العلوي الحسيني الأملّي (ت ٧٨٧): الكشكول: ص ٨٣-٨٤.
- السيد رضي الدين علي بن رضي الدين علي بن طاووس (ق ٧): زوائد الفوائد، عنه البحار ج ٩٨ ص ٣٥٣.
- السيد محمد التقوي الهندي (ت ١٢٨٤): طعن الرماح المسمى بالفوائد الحيدرية: ص ٩٣.
- السيد محمد باقر المجتهد الكنجوي: (مرقات الإيقان): ج ١ ص ١٢٥ و ١١٢.
- السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت ١٢١٢): مستدركات أعيان الشيعة: ج ٢ ص ٣٣٢.
- السيد ناصر الهندي (ت ١٣٦١): إفحام الاعداء والخصوم: ج ١ ص ٩٣.
- السيد هادي بن إبراهيم الوزير (ت ٨٢٢): نهاية التنويه في إزهاق التمويه: ص ١٢٢.
- الشريف أبو الحسن بن محمد طاهر النباطي العاملي (ت ١١٣٨): ضياء العالمين: ج ١ ص ٥٤٦ و ٥٥٧.
- الشريف المرتضى (ت ٤٣٦): الشافي: ج ٣ ص ٢٤١.
- الشيخ أبو السعادات اسعد بن عبد القاهر الاصفهاني (ق ٧): رشح الولاء في شرح الدعاء، عنه البحار: ج ٨٥ ص ٢٦٤-٢٦٦.
- الشيخ أبو زينب النعماني (ق ٣): الغيبة: ص ٤٧.
- الشيخ احمد الطبرسي (ق ٦): الاحتجاج: ص ٨٠ و ٢٧٨.
- الشيخ البحراني في عوالم العلوم: ج ١١ ص ٣٩١.
- الشيخ الديلمي (ت ٧٧١): إرشاد القلوب: ص ٢٩٥.
- الشيخ الصدوق (ت ٣٨١): أمالي الصدوق: ص ١١٤ و ١٣٤. ومعاني الأخبار: ص ٢٠٦.
- الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠): تلخيص الشافي: ج ٣ ص ٧٦.
- الشيخ الكليني (ت ٣٢٩): الكافي: ج ١ ص ٤٥٨.
- الشيخ المفيد (ت ٤١٣): الاختصاص: ص ١٨٥-١٨٧. والأمالي: ص ٤٩-٥٠. والجمل: ص ١١٧-١١٨.
- الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨): كشف الغطاء: ص ١٨.
- الشيخ حسن بن سليمان الحلبي (ق ٨): المحتضر: ص ٦١.
- الشيخ حسن بن سليمان الحلبي: المحتضر: ص ١٠٩.

- الشيخ حسين بن عبد الرزاق التبريزي (ق ١٣): بشارة الباكين: ص ٢٦.
- الشيخ زين الدين العاملي البياضي (ت ٨٧٧): الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٣٠١ وج ٣ ص ٩٤ وص ٢٣٩.
- الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي البحراني (ت ١١٢١): ذخيرة يوم المحشر: ص ٩٨.
- الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العرندس (ت ٨٤٠): الصوارم الحاسمة، عنه الجنة العاصمة ص ٢٥٢.
- الشيخ عبد الجليل القزويني الرازي (٥٦٠): كتاب النقض: ص ٣١٧.
- الشيخ عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي (ت ١٢٦٨): مصائب المعصومين: ص ١٢٧.
- الشيخ علي أكبر النهاوندي (ت ١٣٦٩): أنوار المواهب: ص ٩٧-٩٨.
- الشيخ محمد باقر الفشاركي (ت ١٣١٤): عنوان الكلام: ص ١٤٢، المجلس ٢٥.
- الشيخ محمد باقر القايني البيرجندي (ت ١٣٥٢): الكبريت الأحمر: ص ٢٧٧.
- الشيخ محمد تقي المعروف بأغا نجفي (ت ١٣٣٢): اسرار الزيارة بهامش حقائق الأسرار: زيارة فاطمة (عليها السلام).
- الشيخ محمد جواد اليزدي المشهدي الشيباني: شعشة الحسينية: ص ١٤٤.
- الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣): جنة المأوى: ص ١٣٣.
- الشيخ محمد علي الكاظمي (ت ١٢٨١): حزن المؤمنين: ص ٦١.
- الشيخ مغامس الحلبي (ق ٩): المنتخب: ج ٢ ص ٦٩.
- الشيخ مفلح الصيمري (ت ٩٠٠): المنتخب: ج ١ ص ١٣٧.
- الشيخ مفلح بن صلاح البحراني (ق ٩): الزام النواصب: ص ١٥٣-١٥٤.
- العلامة الأميني (ت ١٣٩٠): الغدير: ج ٧ ص ٧٤-٧٧.
- العلامة البياضي (ت ٨٧٧): الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٩٢.
- العلامة الحلبي (ت ٧٢٦): شرح التجريد: ص ٣٧٦-٣٧٧. وراجع نهج الحق أيضا.
- العلامة الخواجوني المازندراني (ت ١١٧٣): الرسائل الاعتقادية: ج ١ ص ٤٤٤.
- العلامة السيد عبد الله الشير (ت ١٢٤٢): حق اليقين: ج ١ ص ١٨٨. وجلاء العيون: ج ١ ص ١٩٣.
- العلامة السيد محمد قلي الموسوي الهندي والد صاحب العبا (ت ١٢٦٨): تشييد المطاعن: ج ١ ص ٤٣٤.
- العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي (ت ١٠٧٠): روضة المتقين: ج ٥ ص ٣٤٢.
- العلامة الشيخ محمد حسين المظفر: دلائل الصدق: ج ٣ ص ٥٢ و ٥٣.
- العلامة المجلسي (ت ١١١١) حق اليقين: ص ١٨٩. ومرآة العقول: ج ٥ ص ٣١٨. وجلاء العيون: ص ١٤٤.
- وانظر بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٢ و ١٩٧ وج ٢٨ ص ٣٨ وص ٢٩٧-٣٠٠ و...
- العلامة شرف الدين: المراجعات: ص ٢٦٦.
- الفاضل المقداد السيوري (ت ٨٢٦): اللوامع الالهية: ص ٣٠١.
- الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١): علم اليقين: ج ٢ ص ٧٠٠.
- القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣): الأرجوزة المختارة: ص ٨٩-٩٠.
- القاضي نور الله التستري (ت ١٠١٩): مصائب النواصب: ص ١٢٩.

- المحدث الجليل الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩): بيت الأحزان: ١٠٢-١٠٣.
- المحدث الجليل الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦): الحقائق الناضرة: ج ٥ ص ١٨٠.
- المحقق الأردبيلي (ت ٩٩٣): الحاشية على إلهيات شرح الجديد للتجريد: ص ٢٥٨. وحديقة الشيعة: ص ٣٠.
- وص ٢٦٥-٢٦٦.
- المحقق الحلي صاحب الشرائع (٦٧٦): المسلك في أصول الدين: ص ٢٦٠.
- المحقق نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢): شرح تجريد الاعتقاد ص ٣٧٦-٣٧٧.
- المخزون السلمي (ت ١٢٢٣): مصائب الأبرار: ص ٢٧-٢٨.
- الملا محمد باقر اللاهيجي (ق ١١): تذكرة الأئمة: ص ٦٣.
- المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١): شرح الكافي: ج ٧ ص ٢٠٧.
- حسن بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤): الهداية الكبرى: ص ١٣٨-١٣٩. وص ١٧٨-١٧٩. وص ٤٠٨.
- حسن بن علي اليزدي (ت ١٢٩٧): أنوار الشهادة في مصائب العترة الطاهرة: ص ٢٠٧.
- حيدر علي بن ميرزا محمد الشرواني (ق ١٢): رسالة فيما ورد في صدر هذه الأمة: ص ١٢١.
- رضي الدين علي بن يوسف الحلي (ق ٧): العدد القوية: ص ٢٢٥.
- سبهر صاحب ناسخ التواريخ (ت ١٢٩٧): ناسخ التواريخ، الخلفاء: ج ١ ص ٥١.
- سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦ أو ٩٠): كتاب سليم بن قيس.
- شاذان القمي: الفضائل: ص ٩.
- صدر الواعظين القزويني (ت ١٣٣٠): رياض القدس ج ٢ المسمى بحدائق الأئمة: ص ٢٥٥.
- ضياء الدين بن سديد الدين الجرجاني (ق ٩): رساله عقائد مذهب شيعة، رسائل فارسي جرجاني: ص ٢١٠.
- ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني (ت ١١٢١): نسمة السحر: ج ٢ ص ٤٧٢.
- عز الدين محمد بن احمد بن الحسن الديلمي (ت ٧١١): قواعد عقائد آل محمد: ص ٢٣٩ وص ٢٧٠.
- علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦): اثبات الوصية: ص ١٥٣-١٥٥.
- علي بن حماد (ق ٤): مجالس المؤمنين: ج ٢ ص ٥٦٥. ومثالب النواصب: ص ٨٦.
- علي بن داود الخادم الاسترآبادي (ق ١١): أنساب النواصب: ص ٤٥ وص ٩٥.
- علي بن عيسى الإربلي (ت ٦٩٣): كشف الغمة: ج ١ ص ٤٩٧.
- علي بن محمد العمري النسابة (ت ٤٩٠): المجدي في أنساب الطالبين: ص ١٩.
- علي بن محمد الوليد الداعي الاسماعيلي اليمني (ت ٦١٢): تاج العقائد ومعدن الفوائد: ص ٨٠.
- علي بن محمد بن عمار البرقي (ت ٢٤٥): الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٣ ومثالب النواصب: ص ٤٢٣.
- عماد الدين القرشي (ت ٨٧٢): عيون الأخبار: ص ٦.
- عماد الدين حسن بن علي الطبري الأملي (ق ٧): تحفة الأبرار: ص ٢٤٩.
- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩): شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج ١ ص ٢٥٢.
- محمد باقر الشريف الحسيني الاصفهاني (ق ١٢): نور العيون: ج ٢ المجلس ٣.
- محمد بن اسحاق الحموي (ق ١٠): أنس المؤمنين: ص ٥٢.

محمد بن جرير الطبري الإمامي (ق ٥): دلائل الإمامة ص ٢٦-٢٧ وص ٤٥.

محمد بن جمال الدين مكي العاملي الشهيد الأول (ت ٧٨٦): بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٤٤.

محمد بن علي أكبر الخراساني (ت بعد ١٢٦١): ماتمكده: المجلس ١٣.

محمد بن علي الطرازي (ت ٤٥٠): الإقبال: ص ٦٢٥.

محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠): تفسير العياشي: ج ٢ ص ٦٦-٦٨.

محمد تقى سبهر الكاشاني (ت ١٣٢١): ناسخ التواريخ، ترجمة فاطمة الزهراء ص ٩٧.

محمد هادي الميلاني (ت ١٢٤٢): لسان الذاكرين: ج ١ ص ٩٤.

يحيى بن الحسين الزبيدي اليميني (ت ٢٩٨): تثبيت الإمامة ص ١٥-١٧.

إلى غيرهم من المتقدمين والمتأخرين.. وإليك بعض النصوص في هذا الباب:

قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه: ج ٢ ص ٩٠٧ ط الحديث: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لابنته فاطمة (عليها السلام): «إنك أول من يلحقني من أهل بيتي وأنت سيدة نساء أهل الجنة وسترين بعدي ظلما وغيظا حتى تضربي ويكسر ضلع من أضلاعك، لعن الله قاتلك ولعن الله الأمر والراضي والمعين والمظاهر عليك وظالم بعلك وابنيك».

وسليم أيضا في كتابه: ج ٢ ص ٦٧٣-٦٧٥ ط الحديث: «فلقيت عليا صلوات الله عليه فسألته عما صنع عمر، فقال: هل تدري لم كف عن قنقذ ولم يغرمه شيئا؟ قلت: لا، قال: لأنه هو الذي ضرب فاطمة بالسوط حين جاءت لتحول بيني وبينهم فماتت صلوات الله عليها وإن أثر السوط لفي عضدها مثل الدمج». وفي حديث آخر: «فنظر علي (عليه السلام) إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال: شكر له ضربها فاطمة بالسوط فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدمج».

وقال أيضا: «... ثم عاد عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه...» المصدر: ج ٢ ص ٧٦٣-٨٦٥.

وقال أيضا: «... وقد كان قنقذ... ضرب فاطمة بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها، فألجأها قنقذ إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعا من جنبها، فألقت جنبنا من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت (عليها السلام) من ذلك شهيدة». المصدر: ج ٢ ص ٥٨٤-٥٨٨.

وقال الخصيبي (ت ٣٣٤) في حديث عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): «فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت، فأخذت بعضادتي الباب وقلت: ناشدتك الله وبأبي رسول الله أن تكفوا عنا وتتصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنقذ مولى أبي بكر فضرب به عضدي فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدمج، وركل الباب برجله فرده علي وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسنا قتيلا بغير جرم...». الهداية الكبرى: ص ١٧٨-١٧٩.

والخصيبي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «... وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين لإحراقهم بها، وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط ورفس بطنها واسقاطها محسنا...».

وأياها عنه (عليه السلام): «... فقال لها عمر: دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء، فلم يكن الله ليجمع لكم

النبوة والخلافة، وأخذت النار في خشب الباب وإدخال قنْفَذ يده.. يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط على عضدها حتى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملٌة بالمحسن لستة أشهر وإسقاطها إياه، وهجوم عمر وقنْفَذ وخالد بن الوليد وصفقة خدّها حتى بدا قرطاهما تحت خمارها وهي تجهر بالبكاء وتقول: وا أبتاه، وارسول الله، ابنتك فاطمة تُكذّب وتضرب ويقتل جنين في بطنها... وصاح أمير المؤمنين بفضة: يا فضة مولاتك فأقبلي منها ما تقبله النساء فقد جاءها المخاض من الرفسة ورد الباب، فأسقطت محسناً... إلى أن قال: فبكى الصادق (عليه السلام) حتى اخضلت لحيته بالدموع ثم قال: لا قرت عين لا تبكي عند هذا الذكر». الهداية الكبرى: ص ٤٠١-٤٠٨.

وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠): «ومما أنكر عليه ضربهم لفاطمة وقد روي أنهم ضربوها بالسياط والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة أن عمر ضرب بطنها حتى أسقطت فسمي السقط محسناً والرواية بذلك مشهورة عندهم». تلخيص الشافي: ج ٣ ص ١٥٦.

ومن مصادر العامة:

البلاذري في (أنساب الأشراف): ج ١ ص ٥٨٦ ط مصر و (ج ٢ ص ٢٦٨ ط دار الفكر): «ان ابابكر أرسل إلى علي يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فلقته فاطمة على

الباب، فقالت فاطمة يابن الخطاب، أترك محرقاً علي بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك...».

والبلاذري أيضاً في (أنساب الأشراف) ج ١ ص ٥٨٧ و (ج ٢ ص ٢٦٩ ط دار الفكر) بسنده عن ابن عباس قال: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي حين قعد عن بيعته وقال: انتني به بأعنف العنف...».

والنوفلي في كتاب (الأخبار) عنه مروج الذهب ج ٣ ص ٧٧ ط دار الهجرة: «كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه لهم الحطب لتحريقهم ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته كما أرب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لاحتراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف».

وابن أبي الحديد عن المسعودي: «كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم، لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار» شرح نهج البلاغة: ج ٢٠ ص ١٤٧.

وابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز البغدادي في كتابه (السقيفة وفدك): «سأل أبوبكر فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتيا نيهما، فانطلقا... ثم قال (عمر) لعلي: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير وأخرجه، ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله» شرح النهج: ج ٢ ص ٥٧.

وأيضاً ابن أبي الحديد عن كتاب (السقيفة وفدك): (ثم دخل عمر فقال لعلي قم فبايع، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير ثم أمسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً واجتمع الناس ينظرون وامتألت شوارع المدينة بالرجال...» شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ١١.

وابن أبي الحديد في شرح النهج: ج ٦ ص ١١: «جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم... ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتى بايعوا أبابكر».

وأيضاً في شرح النهج: ج ٢ ص ٥٦: «فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج اليه الزبير بالسيف وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فنهت من الناس».

وابن أبي الحديد عن أستاذه أبي جعفر النقيب أنه قال: «إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها، فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم أن فاطمة روعت فألقت المحسن؟ فقال: لا تروه عني ولا ترو عني بطلانه، فإني متوقف في هذا الموضوع، لتعارض الأخبار عندي فيه» شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ١٩٣.

واليعقوبي في (تاريخه): ج ٢ ص ١٢٦: «وبلغ أبابكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر فصرعه وكسر سيفه ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله...».

والطبري في (تاريخه): ج ٣ ص ١٠١ ط بيروت (وج ٢ ص ٢٠٣ ط مصر): «أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة».

والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج ٥ ص ٦٥١ ح ١٤١٣٨: «عن أسلم أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان علي والزبير يدخلون على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويشاورونها ويرجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما من الخلق أحد أحب إلي من أبيك وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرهم أن يحرق عليهم الباب، فلما خرج عليهم عمر جاوزوا، قالت: تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم الباب وأيم الله ليمضين لما حلف عليه».

وهذا رواه السيوطي أيضاً في (مسند فاطمة): ص ٣٦.

وقريباً منه رواه ابن عبد البر في (الاستيعاب في معرفة الأصحاب): ج ٣ ص ٩٧٥ ط القاهرة.

والنويري في (نهاية الارب في فنون الأدب): ج ١٩ ص ٤٠.

والشاه ولي الله الدهلوي في كتابه (ازالة الخفاء) ج ٢ ص ٢٩ و ص ١٧٩، وأيضاً في كتابه (قرة العينين) ص ٧٨.

وابن أبي شبيبة في كتاب (المصنف): ج ٧ ص ٣٢٤ ح ٣٧٠٤٥.

وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٤ ص ٢٤٢ وفي ط ج ٤ ص ٢٥٩: «الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر: علي والعباس والزبير ففقدوا في بيت فاطمة، حتى بعث اليهم أبوبكر، عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: ان أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب، أجنبت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة».

وابن حنابلة في كتابه (الغرر): «قال زيد بن اسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة، حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقتك ومن فيه، قال: وفي البيت علي والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: أفتحرق علي وولدي، فقال: أي والله أو ليخرجن وليبايعن».

عنه ابن شهر آشوب في (مثالب النواصب) ص ١٩٤، والسيد بن طاووس في الطرائف ص ٢٣٩ والعلامة الحلي في نهج الحق: ص ٢٧١.

وأبو الفداء في (المختصر في أخبار البشر): ج ١ ص ١٥٦ ط دار المعرفة بيروت: «ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم، فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلفقته فاطمة رضي الله عنها وقالت: إلى أين يا بن الخطاب، أجنبت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو يدخلوا فيما دخل فيه الأمة».

والشهرستاني في (الملل والنحل): ج ١ ص ٥٧ تحت عنوان النظامية وما يعتقد به النظام: (إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين).

وابن تيمية في (منهاج السنة) ج ٤ ص ٢٢٠: بعد ذكر اعتراف أبي بكر بالهجوم: «غاية ما يقال: إنه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه».

وابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة) ص ١٧-٢٠: «وان أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقبل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة، فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا علياً فإنه زعم أنه قال: (حلفت إن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن) فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمنونا ولم تردوا لنا حقاً، فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقتنذ وهو مولى له: أذهب فادع لي علياً، قال: فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك: فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتكم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقتنذ: عد إليه فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت (فاطمة) أصواتهم نادى بأعلى صوته: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوته وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبدهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصيح ويبكي وينادي يا ((ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)) (سورة الأعراف: ١٥٠)، فقال عمر لأبي بكر: ... انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه، فأدخلهما إليها، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام. فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة

ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنحك حقك وميراثك من رسول الله إلا أنني سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة! فقالت: أرأيتهما إن حدثكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولنن لقيت النبي لأشكونكما إليه، فقال ابوبكر: أنا عانذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب ابوبكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي». الحديث

والشاه عبد العزيز الدهلوي قال في الرد على الطعن الثاني من مطاعن عمر: «انما هدد عمر من التجأ إلى بيت فاطمة بزعم انه ملجأ ومعاذ للخائنين فجعلوه مثل مكة المكرمة وقصدوا الفتنة والفساد وتشاوروا في نقض خلافة أبي بكر، والحق ان فاطمة كانت تكره اجتماعهم في بيتها ولكنها لحسن خلقها لم تمنعهم من ذلك صريحاً، فلما تبين ذلك لعمر هددهم باحراق البيت عليهم!! تحفة اثني عشرية ص ٤٦٤.

والمقريري في الخطط (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٣٤٦: «وزعم (أي النظام) أنه (أي عمر) ضرب فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنع ميراث العترة».

والحمويني في (فرائد السمطين): ج ٣ ص ٣٤-٣٥: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «... وأما ابنتي فاطمة... وإني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الدل بيتها وانتهكت حرمتها وغصب حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها وهي تنادي يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية...».

والصفدي في (الوافي بالوفيات) في ترجمة النظام: ج ٦ ص ١٧: (ان عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقى المحسن).

والحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال): ج ١ ص ١٣٩، و (سير اعلام النبلاء): ج ١٥ ص ٥٧٨، قال عند ذكر احمد بن محمد بن السري بن يحيى المعروف بابن أبي دارم: «... ثم كان في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: ان عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن».

ورواه ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان: ج ١ ص ٢٦٨.

وأبو الوليد محمد بن شحنة في (روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، هامش الكامل لابن الأثير: ج ١١ ص ١١٣): «ثم ان عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على من فيه، فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة».

ثم هناك من العامة من تطرق إلى حديث حرق الدار وما أشبه ونسبه إلى الشيعة أو ردها، فمنهم: المقدسي في (البدء والتاريخ): ج ٥ ص ٢٠ عند ذكر أولاد فاطمة: «وولدت محسناً وهو الذي تزعم الشيعة أنها أسقطته من ضربة عمر».

وأبو الحسين الملطي الشافعي في (التنبيه والرد): ص ٢٥: «... فزعم هشام (أي هشام بن الحكم) ... ان أبابكر

وإسقاط جنينها الذي سماه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) محسناً (١)... (عليه السلام) وغير خفي إن السقوط في الفتنة أمر اختياري حدوثاً واستمراراً، ولو فرض كونه في بعض مراحل في بعض الأزمان غير اختياري، فإن ما بالاختيار لا ينافي الاختيار فعليه العقوبة دون ريب وذلك للتقصير في المقدمات.

وقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الفتنة وأمر الناس باتباع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دون غيره، حيث قال:

«ستكون من بعدي فتنة فإذا كان كذلك فآلزموا علي بن أبي طالب، فإنه الفاروق بين الحق والباطل» (١).

مر فاطمة فرفس في بطنها فأسقطت وكان سبب علتها ووفاتها، وأنه غضبها فذك... والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الاسد آبادي (المغني): ج ٢٠ ص ٣٣٥: «ومن جملة ما ذكره من الطعن ادعاهم ان فاطمة لغضبها على أبي بكر وعمر أوصت أن لا يصلوا عليها وأن تدفن سرا منهما فدفنت ليلاً، وادعوا برواية رويها عن جعفر بن محمد وغيره: ان عمر ضرب فاطمة بسوط وضرب الزبير بالسوط... ثم نقل قول عمر لفاطمة: وأيم الله لنن اجتمع هؤلاء النفر عندك ليحرقن عليهم» ثم قال إلى غير ذلك من الروايات البعيدة.

وابن تيمية في منهاج السنة: ج ٤ ص ٢٢٠: «انما ينقل مثل هذا جهال الكذابين ويصدقهم حمقى العالمين الذين يقولون: ان الصحابة هدموا بيت فاطمة وضربوا بطنها حتى اسقطت».

وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ص ٥١: «الا ترى إلى قولهم (أي قول الشيعة) ان عمر قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولداً اسمه المحسن».

والبرزنجي في (النواقض للروافض والنواقض): ص ٤١،: «انهم قالوا: ان عمر بن الخطاب ذهب إلى دار علي... وخافت فاطمة منه وأسقطت ولداً اسمه المحسن».

ورسول بن محمد في (نصيحة الشيعة الإمامية) ص ٤٥: «قول الإمامية ان عليا كان في بيته فجاء عمر ليأخذ منه البيعة لأبي بكر، فناداه من الباب، فخرجت اليه فاطمة فقالت من داخل الباب يا عمر أي شيء تريد من علي... فغضب عمر لذلك فضرب الباب برجله وكسره ووقع من كسره رض في بطن فاطمة ووقع سقط من فاطمة اسمه محسن ودخل الدار وأوقع حبلاً في عنق علي فجره إلى أبي بكر فأخذ منه البيعة لأبي بكر كرهاً وجبراً».

هذا وشعر محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل معروف:

وقولة لعلي قالها عمر***أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرق دارك لا أبقى عليك بها***ان لم تباع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها***أمام فارس عدنان وحامياها

إلى غير ذلك... علماً بأنهم قد كتموا كثيراً منها رعاية لسمعة خلفائهم، كما حذفوا بعض هذه التصريحات من بعض الطبعات لذلك، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين. (مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر).

كما أخبر (صلى الله عليه وآله) بالفتن في آخر الزمان حيث قال: «سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه، يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود» (٢).

وان جهنم لمحيطه بالكافرين

الكفر موضوعا وحكما

مسألة: اقتباسها (عليها السلام) الآية الشريفة: ((ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين)) (٣) وذكرها هاهنا، يدل على شهادتها (عليها السلام) بان ما فعلوه (من غصب الخلافة وفدك، وإيذاء آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وقد قال فيها (صلى الله عليه وآله وسلم): (من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) (٤) و...

استلزم الكفر وذلك واضح، وإلا لزم لغوية ذكر هذه الآية ههنا.

ثم انه هل المقصود الكفر موضوعا أو حكما (٥)؟

فان الكفر على قسمين:

١: كفر العقيدة.

٢: كفر النعمة.

تفصيل البحث في المفصلات، وهذه الآيات ونظائرها توضح أقسام الكفر أكثر فاكثر.

قال تعالى: ((قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين * قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)) (٦).

ومن الواضح أن نصب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) خليفة من بعده (صلى الله عليه وآله) كان من عند

١- المناقب: ج ٣ ص ٩١، وكشف الغمة: ج ١ ص ١٤٣.

٢- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٥٣ وأعلام الدين: ص ٤٠٦.

٣- سورة التوبة: ٤٩.

٤- المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢.

٥- (الكفر موضوعا) يعني إنكار ضروري من ضروريات الدين وإنكار الأمر الإلهي الصريح عنادا ولجاجا كما قال تعالى: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) سورة النمل: الآية ١٤، والبعض قد أنكر خلافة الإمام علي (عليه السلام) رغم علمه بها في واقعة غدير خم وغيرها، إلا أن الشارع لم يرتب عليه آثار الكفر من النجاسة وبينونة الزوجة وتقسيم الإرث وحرمة الذبيحة... فهو كفر موضوعي لاحكمي، وهذا هو رأي المشهور والنادر ذهب إلى الكفر الحكمي أيضا.

٦- سورة الأحقاف: ٩-١٠.

الله دون شك، قال تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (عليه السلام))))(١).
وقال سبحانه: .. ((فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع)) (٢).
وقال تعالى: ((وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به)) (٣).
وقال سبحانه: ((إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا)) (٤).
وقال عزوجل: ((سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع)) (٥).
وقال تعالى: ((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب)) (٦).
وقال سبحانه: ((ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب)) (٧).
قال تعالى: ((ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)) (٨).
وقال عزوجل: ((أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل)) (٩).
وقال سبحانه: ((ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله)) (١٠).
وقال تعالى: ((أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون)) (١١).
قال عزوجل: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضللاً مبيناً)) (١٢).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حب علي إيمان وبغضه كفر» (١٣).
وعن ابن عباس أنه مر بمجلس من مجالس قریش وهم يسبون علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لقائله
ما يقول هؤلاء؟

قال: يسبون علياً.

قال: قربني إليهم.

١- سورة المائدة: ٦٧.

٢- سورة النحل: ١١٢.

٣- سورة إبراهيم: ٩.

٤- النساء: ٥٦.

٥- سورة المعارج: ١- ٢.

٦- سورة البقرة: ٨٥.

٧- سورة آل عمران: ١٩.

٨- سورة المائدة: ٥.

٩- سورة القصص: ٤٨.

١٠- سورة البقرة: ٦١.

١١- سورة النحل: ٧٢.

١٢- سورة الأحزاب: ٣٦.

١٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٨٩ المجلس ٢٠ ح ١.

فلما أن وقف عليهم قال: أيكم الساب الله؟
قالوا: سبحان الله ومن يسب الله فقد أشرك بالله.
قال: فأيكم الساب رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟
قالوا: ومن يسب رسول الله فقد كفر.
قال: فأيكم الساب علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)؟
قالوا: قد كان ذلك.
قال: فاشهد بالله واشهد الله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله عز وجل» (١).
وقال (صلى الله عليه وآله): «من حسد علياً فقد حسدني ومن حسدني فقد كفر» (٢).
وقال (صلى الله عليه وآله): «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله فقد كفر» (٣).
وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس لا تشك في علي فان الشك فيه كفر يخرج عن الإيمان ويوجب الخلود في النار» (٤).
وقال (صلى الله عليه وآله): «إن علياً خير البشر من أبي فقد كفر» (٥).
قولها (عليها السلام): ((ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)) (٦) فانهم زعموا انهم يريدون الخروج من الفتنة (المزعومة) فوقعوا في فتنة حقيقية مؤكدة، لأن مخالفة أمر الباري جلّ وعلا ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخلافة (٧) فتنة ليست فوقها فتنة.
وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فارق علياً (عليه السلام) بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة، وجعل مأواه النار وبئس المصير، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقيه ولقته حجته عند المساءلة» (٨).
وقال (صلى الله عليه وآله): «يا بن عباس من خالف علياً فلا تكون ظهيراً له ولا ولياً، فوالذي بعثني بالحق

١- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٩٧ المجلس ٢١ ج ٢.

٢- المناقب: ج ٣ ص ٢١٣.

٣- المناقب: ج ٣ ص ٢٢١.

٤- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٩٠.

٥- الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٤٣، رواه عن عائشة وقيس بن جازم الأصفهاني والشيрази وابن مردويه والخوارزمي وابن حنبل والبلاذري وابن عبدوس والطبراني.

٦- سورة التوبة: ٤٩.

٧- حيث قال تعالى ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)) سورة المائدة: ٦٧.

٨- كمال الدين: ص ٢٦٠ والتحسين لابن طاووس: ص ٥٥٣.

نبياً ما يخالفه أحد إلا غيّر الله ما به من نعمة وشوه خلقه قبل إدخاله النار» (١).

نافذة نحو العالم الآخر

أما ((إن جهنم لمحيطة بالكافرين)) (٢) فلأن الآخرة امتداد للدنيا (٣) والثواب والعقاب يكونان أيضاً في نفس هذه الدنيا، كما يكونان في عالم الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا، منتهى الأمر إن (منافذ) الإنسان و (نوافذه) نحوها مغلقة ما دام حياً، فما أعطي من الحواس الخمس نوافذها للعالم الدنيوي، والحاسة السادسة والأحلام وغيرها إنما هي (إشارات) لنوافذ ربما تطلّ على العالم الآخر..

ولذلك فإن الإنسان المؤمن لا (يحسّ) ولا (يشهد) عادة: حسن الآخرة ونعيمها مادام في الدنيا، والإنسان السيئ لا يحس بعقوبات عالم الآخرة مادام حياً لأن حواسهما ليست من حواس الآخرة، ولم يعط في الدنيا تلك الحواس التي تكشف له آفاق ذلك العالم، فحاله حال الإنسان الذي فقد ذوقه أو بصره أو سمعه أو شمّه أو لمسّه، فانه يلامس الأشياء دون أن يحس بلطافتها وطرابتها أو خشونتها، ويكون أمامه المرئي وتملاً غرفته الأصوات (من صدح البلابل إلى هدير المحركات) دون أن يرى أو يسمع شيئاً، وهكذا بالنسبة إلى الذوق والشم، بينما قد يوجد الى جانبه من لم يفقد حواسه الخمس فانه يحسّ بكلّ ذلك ويشهدها بوضوح.

بل ربما أحسّ المريض بمرارة الحلاوة، بينما الصحيح يكتشفها حلوة كما هي.

فهيئات منكم

وقد أكثر الباري جل وعلا وأنبيأوه وأولياؤه في الآيات والروايات الإشارة إلى هذا القبيل، مثل قوله سبحانه ((إنما يأكلون في بطونهم ناراً)) (٤) وقد أشرنا إلى بعض تفصيل ذلك في (الفقه) (٥) وغيره (٦).

فهيئات منكم

محتملات (هيئات)

مسألة (٧): يحتمل في المراد من قولها (عليها السلام): (هيئات) (١) وجوه:

- ١- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٩٠.
- ٢- سورة التوبة: ٤٩.
- ٣- كما إن عالم الدنيا امتداد لعالم الأرحام والأصلاّب.
- ٤- سورة النساء: ١٠.
- ٥- راجع موسوعة الفقه: (المدخل) كتاب العقائد.
- ٦- راجع (التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) للإمام الشيرازي.
- ٧- قوله: (مسألة) بلحاظ ذيل البحث عندما يحتمل الإمام المؤلف إنشائية هيئات.

إذ لعل المراد بـ: ((هيهات)): أن هذه الأعمال كانت بعيدة عنكم، كقوله سبحانه: ((هيهات هيهات لما توعدون)) (٢)، فكأنه أريد أن من المستبعد ممن عاشر الرسول (صلى الله عليه وآله) وعرفه وسمع وصاياه الأكيدة حول أهل بيته (عليهم الصلاة والسلام) أن يسكت عن غضب حقهم (عليهم السلام)، فكيف بأن يعين على ذلك، فكيف بأن يمارسه بتلك الطريقة الوحشية (٣).

أو أن المراد: أن ما تكشفه تلك الأفعال من قصد مبطن كان بعيداً عنكم (٤) فكان الأوفق بحالكم غير ذلك القصد.

أو: الجامع بين الأمرين، باستعمال (هيهات) في كلي يكون كلا الأمرين مصداقاً له. أو أن المراد: بعيد منكم الرجوع الى الحق ما دمت قد عقدتم قلوبكم على الابتعاد عنه، فإن الإنسان - عادة - إذا عقد قلبه على الابتعاد عن شيء فإنه يسيطر على جوارحه الابتعاد عنه، كما أنه في عكسه إذا عقد الإنسان قلبه على الإقتراب من شيء فإنه يسيطر على جوارحه الإقتراب إليه، وبعد ذلك لا يهمه إن كان الابتعاد أو (الإقتراب) حقاً أو باطلاً.

قال سبحانه بالنسبة إلى بعض الناس: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم)) (٥). وقال عز وجل: ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) (٦). هذا كله بناء على كونها خبرية.

ويحتمل أن تكون إنشائية (٧) بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن رحمة الله، وعلى هذا يستفاد منه مطلوبة الدعاء على الأعداء ومنه اللعن، فإنه بمعنى البعد

عن رحمة الله أو بمعنى الدعاء عليهم بالبعد عن الوصول لما كانوا يصبون إليه فتأمل.

قال تعالى: ((أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) (٨).

وقال سبحانه: ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)) (٩).

وقال عز وجل: ((إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً)) (١٠).

١- (هيهات) اسم فعل بمعنى بَعْدَ، وفاعله محذوف، فهيهات منكم أي بعد منكم كذا، والمصنف أشار الى الفاعل في الاحتمالات الخمسة.

٢- سورة المؤمنون: ٣٦.

٣- من حرق باب الدار وكسر الضلع وإسقاط الجنين وغير ذلك على ما عرفت.

٤- فـ (بعدت) منكم تلك الأعمال، أو (بعد) منكم ذلك القصد الذي تكشفه الأفعال.

٥- سورة النمل: ١٤.

٦- سورة البقرة: ١٤٦، وسورة الأنعام: ٢٠.

٧- فهي جملة خبرية في مقام الإنشاء كما في (يعيد صلاته).

٨- سورة البقرة: ١٥٩.

٩- سورة الأحزاب: ٥٧.

١٠- سورة الأحزاب: ٦٤.

ويؤيد أول الاحتمالات سياق كلامها (عليها السلام) وقولها: (وكتاب الله بين أظهركم). ومما ورد فيه كلمة (هيهات) بالمعنى المذكور ما قاله أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عباس بعدما قطع خطبته الشقشقية: «هيهات هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. فقال ابن عباس: فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا لم يبلغ به حيث أراد» (١). وقد ورد في باب التوحيد ونفي التشبيه: «الهي تاهت أو هام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك بعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى، ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات» (٢). وفي الحديث أن معاوية قال للإمام الحسن (عليه السلام): «أنا خير منك يا حسن، قال (عليه السلام): وكيف ذاك يا بن هند، قال: لأن الناس قد أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك، قال هيهات هيهات، فشر ما علوت يا بن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجالان بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشى لله أن أقول أنا خير منك، فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل» (٣). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) مخاطباً الدنيا وما فيها: «يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم إلي تشوقت هيهات هيهات غري غري لا حاجة لي فيك، قد طلقك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وأملك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد» (٤). وقال (عليه السلام): «هيهات أن ينجو الظالم من أليم عذاب الله وعظيم سطواته» (٥).

وكيف بكم، وأنى تؤفكون

قولها (عليها السلام): (وكيف بكم) أي كيف صار الأمر بكم إلى ما صار، وكيف صرتم إلى هذه الحالة من العداء لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وغضب حقوقهم. وبعبارة أخرى: أي حال لكم في دنياكم وفي آخرتكم مع عملكم هذا الذي هو خلاف الحق. وفي (كيف) معنى التعجب كما ذكره الأدباء (٦)، وفي المقام هو إنكار توبيخي. قولها (عليها السلام): (وأنى تؤفكون) أي: كيف تصرفون عن الحق، وتزيغون عنه، وتتبعون الباطل، من إفكه كضربه بمعنى: صرفه عن الشيء وقلبه، وقد ورد في القرآن الحكيم بالنسبة إلى البلاد التي قلبت ظهراً لبطن وبطناً لظهر، بسبب عذاب الله سبحانه وتعالى، اسم (المؤتفكات) كما في قضية قوم لوط (عليه السلام). قال سبحانه: ((ألم يأتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات

١- علل الشرائع: ص ١٥١، ونهج البلاغة: الخطبة الشقشقية.

٢- التوحيد: ص ٦٦ ح ١٩ باب التوحيد ونفي التشبيه.

٣- المناقب: ج ٤ ص ٢٢.

٤- ارشاد القلوب: ص ٢١٨.

٥- غرر الحكم: ص ٤٥٧ ح ١٠٤٤٢.

٦- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

أنتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) (١).
 وقال تعالى: ((وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة)) (٢).
 وفي تأويل هذه الآية المباركة أنها في أعداء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (٣).
 ويحتمل أن يكون معنى (أنى) (٤) توفكون) هو: أين يصرفكم الشيطان، أو تصرفكم أنفسكم عن الحق؟ وهو كلمة تعجب أيضاً يقصد بها الإنكار والتوبيخ.
 قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أين تتيهون، ومن أين توتون، وأنى توفكون، وعلام تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، أين وهم أزمة الصدق والسنة الحق» (٥).

وكتاب الله بين أظهركم

جمع القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) وبمجموعة من القرائن الأخرى أن القرآن كان مجموعاً في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هو اليوم وبنفس الترتيب من دون زيادة ولا نقصان.

قال تعالى: ((إن علينا جمعه وقرآنه)) (٦).
 وإن قيل بصحة الإسناد في ظرف عدم الجمع، إلا أنه خلاف المتفاهم عرفاً، خاصة بلحاظ (بين أظهركم) و بلحاظ الإطلاق الأزماني والأحوالي في الجمل اللاحقة (٧).
 وقد فصلنا هذا البحث في كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) (٨) و (متى جمع القرآن) (٩).

-
- ١- سورة التوبة: ٧٠.
 - ٢- سورة الحاقة: ٩.
 - ٣- راجع تأويل الآيات ص ٦٨٩ سورة الحاقة.
 - ٤- (أنى) تأتي للاستفهام عن المكان وعن الحال وبمعنى متى الاستفهامية، فـ (أنى زيد) أي أين زيد، وكيف زيد، و (أنى القتال) أي متى القتال، والإمام المؤلف احتمل في قولها (عليها السلام): (أنى توفكون) المعنيين الأوليين، ويحتمل الثالث أيضاً كما في قوله تعالى: ((فأتوا حرثكم أنى شئتم)) (سورة البقرة: ٢٢٣).
 - ٥- غرر الحكم: ص ١١٥ ح ٢٠٠٠ فصل في الأئمة.
 - ٦- سورة القيامة: ١٧.
 - ٧- أي (أموره ظاهرة...) الخ.
 - ٨- ولأول مرة في تاريخ العالم: ج ٢ ص ٢٤٣-٢٤٩.
 - ٩- يقع الكتاب في ٨٠ صفحة من الحجم المتوسط، وطبع عدة مرات في بيروت والكويت.

عدم تحريف القرآن

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) عدم تحريف الكتاب، وإلا لما صح إطلاق (كتاب الله) على الموجود بين أظهرهم.

ولو قيل بتمامية الاستدلال في صورة القول بالتحريف بالنقص فقط دون الزيادة أجيب بأن الإطلاق ينفيهما (١) إضافة إلى ما للجمل اللاحقة من الدلالة الواضحة على عدم التحريف مطلقاً، إذ كيف يكون المحرّف (أموره ظاهرة وأحكامه زاهرة (عليه السلام)) خاصة مع لحاظ إفادة الجمع المضاف للعموم.

قال تعالى: ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)) (٢).

حجية الكتاب

مسألة: يستفاد من قولها (عليها السلام): (وكتاب الله بين أظهركم) ومن الجمل اللاحقة: حجية الكتاب، على خلاف ما ذهب إليه بعض الأخباريين.

قال تعالى: ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)) (٣).

وقال سبحانه: ((وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)) (٤).

ودلالة كلامها (عليها السلام) واضحة بل صريحة، فالمعنى: والحال أن كتاب الله سبحانه وتعالى وهو القرآن الحكيم بينكم، وأنتم تقرؤونه ليل نهار، وهو الحكم والمرجع، فإلى أين تنصرفون، ولمن ولأي شيء ولما تتوجهون، (وكتاب الله بين أظهركم)؟ (أفحكم الجاهلية تبغون)؟

وقولها (عليها السلام): (بين أظهركم)، يقال: فلان بين أظهر القوم وبين ظهرائهم، أي مقيم بينهم، محفوف من جوانبه بهم (٥)، وكذلك يقال بالنسبة إلى الشيء، مثل: أن المدرسة بين أظهرهم، والمكتبة بين أظهرهم، وما أشبه ذلك.

أموره ظاهرة

١- أي ينفي القول بالتحريف بالنقص كما ينفي القول بالتحريف بالزيادة.

٢- سورة يونس: ٣٧.

٣- سورة الإسراء: ٩.

٤- سورة النمل: ٦.

٥- يقال (هو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم) أي وسطهم وفي معظمهم، راجع (المنجد).

القرآن كالشمس

مسألة: قولها (عليها السلام): (أموره ظاهرة) فإن القرآن الكريم - أوامره ونواهيه وحكمه ومواعظه وقصصه وغير ذلك - كلها ظاهرة كالشمس ويلزم العمل وفقها.

قال تعالى: ((ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون)) (١).

وقال سبحانه: ((ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)) (٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الذي يجب العمل بظاهرة» (٣).

ولا يعنى عن أمور القرآن الظاهرة إلا من تلبد قلبه بحجب اللجاج والعناد وسحب الأهواء والشهوات، قال تعالى: ((وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً)) (٤).

فيعرفها الإنسان العربي وليست من قبيل الألغاز، وهم ليسوا من غير العرب حتى لا يفهموا أحكام القرآن وأوامره وزواجره، وقد أمر القرآن باتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلما يأمر وما ينهي ((ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فاتتهوا)) (٥)، وقد أمرهم رسول الله بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهناك آيات عديدة في هذا الباب كآية البلاغ (٦) وآية الولاية (٧) وآية إكمال الدين (٨) وما أشبهه.

فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عين الخليفة بمتواتر الروايات، وبمشهد ومرأى الناس في غدير خم وغيره (٩)، فكيف تصرفون وتعرضون عن هذا الظاهر من القرآن؟.

والظاهر أن الجمل اللاحقة من قبيل عطف الخاص على العام (١٠) لأهميته، وللتأكيد.

ويحتمل التغاير كما سيأتي.

و المراد بالظهور الأعم من الظهور ابتداءً أو ثانياً، بالمباشرة أو بالواسطة (١١)، فلا يستشكل على ذلك بالمتشابه، أو يقال بانصراف الأمور إلى غيره بقرينة

١- سورة الزمر: ٢٧.

٢- سورة القمر: ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠.

٣- فقه القرآن: ج ١ ص ٢٠٧ باب الزيادات.

٤- سورة الإسراء: ٨٢.

٥- سورة الحشر: ٧.

٦- سورة المائدة: ٦٧.

٧- سورة المائدة: ٥٥.

٨- سورة المائدة: ٣.

٩- راجع موسوعة (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله).

١٠- العام هو (أموره ظاهرة) والخاص هو (أحكامه زاهرة... إلى آخر الجمل).

١١- أي عبر الثقل الآخر، ولذلك قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل وعترتي... انهما لن يفرقا حتى يردا علي الحوض) معاني الأخبار: ص ٩٠ باب معنى الثقلين ج ٢.

وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة

المقام (١) ويكون المراد على هذا (الأمر التي تحتاجون إليها لشؤون معاشكم ومعادكم) ومن أهمها أمر الخلافة.

وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة

الأحكام الزاهرة

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن أحكام القرآن زاهرة وأعلامه باهرة.
والزاهر عبارة عن: المتألي المشرق، بمعنى أن أحكام القرآن كلها متألئة، عليها نور الحق والصدق، وهي (تزه) كما تزه الشمس، في أفق الأرواح والأفكار.
وكما أن أعمى العين لا يرى نور الشمس كذلك أعمى البصيرة لا يبصر نور القرآن، فهي (زاهرة) بيّنة لنفسها ومضيئة للسائرين، كالنور الظاهر بنفسه المظهر لغيره، ولو أتبعتم أحكامه لسرتم على المنهاج الواضح نحو حياة سعيدة في الدنيا وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، قال تعالى:
((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)) (٢).

وقال سبحانه: ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)) (٣).
وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهراً، واحجب به خطرات الوسوس عن صحة ضمائرنا، واغسل به زيغ درن قلوبنا وعلائق أوزارنا، واجمع به منتشر أمورنا (عليه السلام) واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق، واسق إلينا به رغد العيش وخصب سعة الأرزاق، وجنبنا به من الضرائب المذمومة ومداني مذام الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائبا طارداً، ولنا لما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً» (٤).

١- أي باعتبار كونها (عليها السلام) في مقام الاحتجاج عليهم بوجود الحجة البينة وهي الكتاب، فإلى أين يصرفون مع ذلك؟.

٢- سورة طه: ١٢٤ - ١٢٦.

٣- سورة الأعراف: ٩٦.

٤- الإقبال: ص ٢٦٩ من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند ختم القرآن.

من العلامات القرآنية

وقولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، أعلام: جمع علم، أي: علاماته، كعلامات الطريق مثلاً، لكن علامات الطريق مادية وعلامات القرآن معنوية.

ثم إن (١) القرآن الحكيم تحداهم في مواطن أربعة على أربع مستويات، متدرجاً من التحدي عن الإتيان بمثل القرآن إلى الإتيان بجزء من سورة فقط..

فقال مرة: ((لا يأتون بمثله)) (٢)، أي: (١١٤) سورة.

وثانية: ((فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)) (٣).

وثالثة: ((فأتوا بسورة مثله)) (٤)، وفي آية أخرى قال: ((فأتوا بسورة من مثله)) (٥)، ولا يخفى الفرق بينهما لمكان (من).

ورابعة: ((فليأتوا بحديث مثله)) (٦)، مما قد يشمل أقل من السورة أيضاً.

ثم من جانب آخر، رفع درجة التحدي ومستوى عدم إمكان ذلك بالقياس إلى الأشخاص والزمن.

فقال مرة: ((فأتوا)).

وأخرى: ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) (٧).

وثالثة قال: ((فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)) (٨)، أي أنهم ليس بمقدورهم ذلك إلى الأبد، كما ليس بمقدورهم الإتيان بأي محال آخر استحالة ذاتية أو وقوعية (٩).

فهو في التنازل والترقي مثله مثل من يقول لمن يدعي البطولة: أحمل طناً، ثم يقول: مائة من (١٠)، ثم

١- هذا بيان لمصاديق قولها (عليها السلام): (وأعلامه باهرة)، فـ (التحدي) مظهر من مظاهر العلامات الباهرة، أو أن أعلامه باهرة هو بيان آخر عن التحدي.

٢- سورة الإسراء: ٨٨.

٣- سورة هود: ١٣.

٤- سورة يونس: ٣٨.

٥- سورة البقرة: ٢٣.

٦- سورة الطور: ٣٤.

٧- سورة الإسراء: ٨٨.

٨- سورة البقرة: ٢٤.

٩- وجه الاستحالة الذاتية أن المحدود يستحيل أن يحيط باللامحدود اللامتناهي وكذلك إحاطة المحدود الأضيق بالأوسع منه، ومدارك البشر مهما سعت فإنها أضيق من سعة وعمق دائرة مفاهيم ورموز وأسرار القرآن الكريم وسيذكر الإمام المصنف وجهه، والاستحالة الوقوعية بناء على ما ذهب إليه البعض من (الصرف).

١٠- الطن هو ألف كيلو، والمن رطلان، والرطل (١٢) أوقية كما في لسان العرب، وفي المنجد: المن يساوي (

يقول: عشرة أمان، ثم يقول: مناً واحداً، فإذا لم يفعل حتى الدرجة الأخيرة كان معناه أنه لاحظ له من البطولة. وفي المقابل يقول: إن حملت أعطيك ديناراً، ثم يقول: عشرة دنائير، ثم يقول: مائة دينار، ثم يقول: ألف دينار، فيخفض مستوى التحدي ويرفع الثمن.

والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي نزل من عند الله وبقي وسيبقى خالداً دون تحريف، وسراً بقلبه أنه كتاب لخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى آخر الأزمان، فهو كتاب الله عبر خاتم أنبيائه للبشرية إلى فناء الدنيا، بينما الكتب السماوية السابقة نزلت لفترة زمنية محددة، ثم ((نسوا حظاً مما ذكروا به)) (١) فالكتب الموجودة في أيديهم الآن لم تنزل من السماء، والكتب النازلة لم تبق، فلم يحفظها الله سبحانه غيباً وإعجازاً - كما حفظ القرآن - لأنها كانت مؤقتة لا دائمة كالقرآن الحكيم، فلم يستلزم قاعدة (اللفظ) حفظها.

ومن الطبيعي أن لا يكون بمقدور البشر على أن يأتي بمثل القرآن، حتى إذا تعاضد وتعاون مع الجن وغيرهم، فإن الكتاب التشريعي كالكتاب التكويني، وحيث لا تستطيع المخلوقات بأجمعها حتى على خلق ذبابة، بل على خلق حبة حنطة حية تنمو لما فيها من الروح إذا أنبتت (٢) كذلك في كتاب الله التشريعي.

وعلامات القرآن تشير إلى مجموعة هائلة من الحقائق التكوينية و التشريعية والماورائية، من المبدأ إلى المعاد، ومن الأحداث التاريخية إلى الإخبارات الغيبية، ومن السنن الاجتماعية التي تحكم الأسرة والمجتمع والحكومات، مروراً بالقضايا الحقوقية والسياسية والاقتصادية و (عليه السلام) وانتهاء بحالات الإنسان وهو على بوابة العالم الآخر في آخر لحظاته من الدنيا.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائب، ولا تكشف الظلمات إلا به» (٣).

وقال (عليه السلام): «إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب» (٤).

وقال (عليه السلام): «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن غنى» (٥).
والباهرة - والمصدر: البهر والبهور - هي التي تبهر الإنسان وتثير إعجابه بحسنها أو نورها وضياءها، وهي تتضمن معنى الغلبة والتفوق (٦) أيضاً.

٢٨٠) مثقالاً عرفياً والمثقال العرفي يساوي درهماً ونصف.

١- سورة المائدة: ١٣.

٢- ربما يكون بمقدور العلماء أن يصنعوا حبة حنطة أو ذبابة تشبه الحقيقية في الشكل والأجزاء والخلايا وغيرها، إلا أن (بعث الروح) يبقى هو غير الممكن للبشرية إلا بإذن الله، ولو توفرت المقتضيات كلها كان الله هو الباعث للروح لا غير كما قال عز وجل حكاية عن عيسى (عليه السلام): ((إني أخلق لكم من الطين كهينة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله)) (سورة آل عمران: ٤٩).

٣- غرر الحكم: ص ١١٠ ح ١٩٦٢.

٤- غرر الحكم: ص ١١١ ح ١٩٧٣.

٥- غرر الحكم: ص ١١١ ح ١٩٨٩.

٦- كما تقول: بهر القمر أي فاق ضوءه ضوء الكواكب، وبهر الرجل أي فاق أقرانه، وبهرت فلانة سائر

ثم ان من جملة أعلام القرآن الباهرة التي أشارت (عليها السلام) إليها: قوله تعالى: ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) (١). ومن جملة علاماته الباهرة إخباره الغيبي بـ ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (عليه السلام))) (٢).

وزواجه لائحة

من النواهي الإلهية

مسألة: يحرم الإتيان بما نهى عنه القرآن الكريم من المحرمات. قولها (عليها السلام): (وزواجه لائحة) المراد بالزواج: النواهي. و (لائحة) بمعنى: ظاهرة، نعم هناك فرق بين الظاهر واللائح، فإن (اللائح) هو: الذي يظهر بعد الإختفاء، بينما (الظاهر) أعم من ذلك ومن غيره، وإذا قوبل بينهما كان من قبيل الفقير والمسكين، أو من قبيل الظرف والجار والمجرور، وفي اصطلاح الأدباء: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا). قال تعالى: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّلاً مبيناً)) (٣). وقال عزوجل: ((وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)) (٤). ومما قضى به الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) تعيين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة من بعد النبي (صلى الله عليه وآله) قال عزوجل: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)) (٥).

وأوامره واضحة

ومن زواجه اللائحة قوله تعالى: ((وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)) (٦) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) (٧)، إلى غير ذلك.

النساء أي غلبتهن حسناً وجمالاً، وبهرت الشمس أي أضاعت.

١- سورة المائدة: ٥٥.

٢- سورة آل عمران: ١٤٤.

٣- سورة الأحزاب: ٣٦.

٤- سورة القصص: ٦٨.

٥- سورة المائدة: ٦٧.

٦- سورة الأحزاب: ٥٣.

٧- المناقب: ج ٣ ص ٣٣٢ فصل في حب النبي (صلى الله عليه وآله) أياها، وكشف الغمة: ج ١ ص ٤٦٦.

وأوامره واضحة (١)

ومن الأوامر الإلهية

مسألة: يجب امتثال الأوامر القرآنية التي فرضها الله سبحانه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «يا أيها الناس إنه لم يكن لله سبحانه حجة في أرضه أوكد من نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ولا حكمة أبلغ من كتابه القرآن العظيم، ولا مدح الله تعالى منكم إلا من اعتصم بحبله واقتدى بنبيه، وإنما هلك من هلك عندما عصاه وخالفه واتبع هواه، فذلك يقول عز من قائل: ((فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)) (٢)» (٣).

وقال (عليه السلام): «عليكم بهذا القرآن، احلوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه وردوا متشابهه إلى عالمه، فانه شاهد عليكم وافضل ما توسلتم به» (٤).

قولها (عليها السلام): (وأوامره واضحة) أي أن أوامر القرآن كلها واضحة غير مبهمّة، يعرفها الإنسان الذي يعرف اللغة العربية، قال تعالى: ((تلك آيات القرآن وكتاب مبين)) (٥).

ومن أوامره: قوله تعالى: ((وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ)) (٦).

وقوله سبحانه: ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) (٧).

وقوله عزوجل: ((يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين)) (٨)، و (عليه السلام) فلماذا الإعراض عن أمر الله؟ ولماذا إيذاء آل بيت رسول الله؟ ولماذا حرمان ابنته الزهراء (عليها السلام) من الإرث؟ و (عليه السلام) ومن المحتمل أن تكون هذه الجمل والجمل السابقة عليها تختلف عن أولى الجمل (٩) إذا فسرت (الأمور) بالموضوعات - لا بمعنى مطلق الشيء - والأوامر مدرجة في دائرة الأحكام كما هو بين.

١- وفي بعض النسخ: (وكتاب الله بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلالة، نيرة شرائعه، زواجه واضحة، وأوامره لائحة).

٢- سورة النور: ٦٣.

٣- غرر الحكم: ص ١١٠ ح ١٩٦١.

٤- غرر الحكم: ص ١١١ ح ١٩٨٦.

٥- سورة النمل: ١.

٦- سورة الإسراء: ٢٦.

٧- سورة الشورى: ٢٣.

٨- سورة النساء: ١١.

٩- وهي (أمر ظاهرة).

من مميزات القانون الإلهي

مسألتان: يجب أن يكون (القانون) ظاهر الأمور وزاهر الأحكام وباهر الأعلام ولائح الزواجر وواضح الأوامر، باعتبار أن القانون هو دستور حياة الناس، فلو لم يتصف بذلك لزم نقض الغرض - ولو في الجملة - ويلزم العبث وما أشبهه.

والقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المتصف بهذه الصفات في أعلى الدرجات - كما بين في محله (١) - فكان الواجب إتخاذه مصدر التشريع (٢) لا الإنجيل والتوراة وما أشبهه، ولا القوانين الغربية والشرقية المستوردة (٣).

وما يستنبط من الكتاب والسنة ينبغي أن يكون كذلك فالرسالة العملية للمراجع العظام و (الدستور أو القانون الأساسي) - بناء على صحته (٤) - ومختلف القوانين واللوائح التي تصدرها الدولة ينبغي أن تكون كذلك قدر المستطاع.

وقد خلفتموه وراء ظهوركم

هجر القرآن وتركه

مسألة: يحرم ترك القرآن وهجره، فإن ترك أحكام القرآن الواجبة والمحرمات من أشد المحرمات مع الإسناد، وعلى حسب الدرجات بدونه (٥).

أما ترك القرآن في أحكامه المستحبة والمكروهة وقصصه (٦) وما أشبه ذلك فإذا كان مصداقاً لهجر القرآن كما قال سبحانه وتعالى: ((وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً)) (٧) كان محرماً أيضاً، وإلا فترك المستحب وفعل المكروه ليس من المحرمات كما قرر في الفقه.

١- راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون.

٢- ومن الواضح أن (السنة) مفسرة للكتاب وليست قسماً له.

٣- راجع (الهدى إلى دين المصطفى) للإمام البلاغي، و (الفقه: حول القرآن الحكيم) للإمام المؤلف و...

٤- راجع حول هذا المبحث كتاب (الفقه: القانون) و (إذا قام الإسلام في العراق) للإمام المؤلف.

٥- توضيحه أنه: قد يترك الإنسان العمل بالقرآن كسلاً أو جبناً أو شبه ذلك فتكون الحرمة على حسب درجات تلك المحرمات من صغيرة وكبيرة، وقد يتركه إستخفافاً به وإستهانة، أو لأن الحكم قد ورد في القرآن وشبه ذلك فيكون عندئذ تركه للواجب القرآني وفعله للمحرم القرآني، من أشد المحرمات وإن كان ذلك الحرام من الصغائر في حد ذاته، فالأشدية بلحاظ (الإسناد).

٦- ترك القرآن في قصصه يتصور بترك تدوالها - في الكتب والخطابات وشبه ذلك - ونسيانها، أو بترك الإعتاظ بها أو ما أشبهه.

٧- سورة الفرقان: ٣٠.

وفي علل الشرائع: «فإن قال فلم أمروا بالقراءة في الصلاة، قيل لأن لا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً بل يكون محفوظاً مدروساً فلا يضمحل ولا يجهل» (١).

وفي زيارة الإمام الحسن (عليه السلام): «وإصباح كتاب الله بفقدك مهجوراً» (٢). وفي الأثر: «أنه يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه» (٣). قولها (عليها السلام): (قد خلفتموه وراء ظهوركم)، أي: أنكم تركتم العمل بالقرآن مع العلم أنه بهذه الصفات التي ذكرناها من الوضوح والظهور وما إلى ذلك، كالذي يخلف شيئاً وراء ظهره، فهو من تشبيهه المعقول بالمحسوس، وهو كناية عن الإعراض وترك العمل به، بل اللامبالاة وعدم الاعتناء، لأن الإنسان إذا قدر شيئاً وقدره جعله أمامه.

ومن الواضح أن التعبير بـ (وقد خلفتموه وراء ظهوركم) أقوى وأبلغ من (تركتموه)، وهذا الكلام منها (صلوات الله عليها): عتاب وتحذير وكشف وفضح وإدانة كما لا يخفى.

اتباع من هجر القرآن

مسائل: يحرم إتيان تلك الثلة الذين هجروا القرآن وتركوا أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يجوز الدفاع عنهم كأشخاص وكمنهج ومبادئ، بل وحتى السكوت على جرائمهم والرضا بأفعالهم.

فإنهم كما صرحت (عليها السلام) قد خلفوا كتاب الله وراء ظهورهم ورغبوا عنه وحكموا بغيره، فأضحوا مصداق قوله تعالى: ((من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) (٤).

ولو أتبعهم متبع لأصبح كما قالت (عليها السلام) ممن خلف كتاب الله وراء ظهره، وصدق عليه قوله سبحانه: ((بئس للظالمين بدلاً)) (٥).

والحق أحق أن يتبع، ومن أن يكون المرء مصداق ((بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون)) (٦).

ومن أن يكون من «همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق» (٧).

١- علل الشرائع: ص ٢٦٠.

٢- البلد الأمين: ص ٢٨٨.

٣- كمال الدين: ص ٦٦.

٤- سورة آل عمران: ٨٥.

٥- سورة الكهف: ٥٠.

٦- سورة الزخرف: ٢٢.

٧- الإرشاد: ص ٢٢٧.

أرغبة عنه تريدون؟ (١) —————

الرغبة عن القرآن

مسألة: تحرم الرغبة عن القرآن، قال سبحانه: ((ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)) (٢).

ذلك أعم من الرغبة عنه نفسياً أو فكرياً أو سلوكياً، ووجه الحرمة في الرغبة عنه نفسياً أنه من قبيل أصول الدين المرتبطة بالقلب كما هي مرتبطة بالعمل، هذا إذا فسرت الرغبة عنه بالإكثار أو عدم عقد القلب على صحته والإيمان به، وإن فسرت بعدم المحبة لم تبعد الحرمة أيضاً إلا فيمن فرض عدم اختيارية ذلك له - وهو فرض نادر وبعيد - فتأمل.

والظاهر أن الجمع بين الآية السابقة (٣) وبين قوله تعالى في سورة «يس»: ((ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون)) (٤) اختلاف المواقف في القيامة. ففي موقف قد يكون العاصي أعمى وفي موقف قد يكون بصيراً، فإن يوم القيامة خمسون ألف سنة ومن الواضح تعدد المواقف في مثل هذه المدة الطويلة، بل حتى إذا كانت سنة واحدة، كما هو المشاهد في الدنيا، فكيف بالآخرة وهي كما ذكر.

قولها (عليها السلام): (أرغبة عنه تريدون)، أي: أتريدون الإعراض عن القرآن، فإن الرغبة إذا تعدت بـ: (عن) كان معناها الإعراض والنفرة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم أحد لبعض القوم الذين فروا: «أترغبون بأنفسكم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (٥)، وإذا تعدت بـ (في) كان معناها الإقبال، فالمعنى: أنكم تريدون شيئاً آخر غير القرآن ودينكم ومنهجه.

هذا وعدم تداول القرآن الكريم، وعدم تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار، وعدم مدارسته والتدبر فيه، وعدم وجود دروس تفسير في المدارس - من الابتدائية إلى الجامعة، وإلى جوار الدروس الحوزوية من المقدمات إلى الخارج - بالشكل الكافي كماً وكيفاً وغير ذلك، ربما يعد من مصاديق الرغبة عن القرآن - ولو في الجملة - أعاننا الله من ذلك.

أم بغيره تحكمون؟

١- وفي بعض النسخ: (تدبرون).

٢- سورة طه: ١٢٤ - ١٢٦.

٣- سورة طه: ١٢٤ - ١٢٦.

٤- سورة يس: ٦٦.

٥- الفضائل: ص ١٧٤.

الحكم بغير القرآن

مسألة: يحرم الحكم بغير القرآن، كما هو متعارف الآن في البلاد الإسلامية من العمل بقوانين الغرب والشرق، سواء في الأحوال الشخصية أم القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحقوقية والدولية وشبهها، ومنها الآيات الكريمة التي تركها المسلمون:

قال تعالى: ((وأمرهم شورى بينهم)) (١).

وقال سبحانه: ((لا إكراه في الدين)) (٢).

وقال تعالى: ((وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)) (٣).

وقال عز وجل: ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)) (٤).

وقال سبحانه: ((إنما المؤمنون أخوة)) (٥).

وقال تعالى: ((إن هذه أمتكم أمة واحدة)) (٦).

وقال عز وجل: ((يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)) (٧)، إلى غير ذلك.

قال تعالى: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) (٨).

وفي آية أخرى: ((فأولئك هم الظالمون)) (٩).

وفي آية ثالثة: ((فأولئك هم الكافرون)) (١٠).

فإن الانحراف عن أحكام القرآن يؤدي إلى الفشل والعطب والتقهقر في الدنيا والآخرة، وهذا ما نشاهده في الحال الحاضر في البلاد الإسلامية حيث أنهم مع كثرتهم ووفرة معادنها وثرواتهم يعيشون حالة الفقر والتخلف

١- سورة الشورى: ٣٨.

٢- سورة البقرة: ٢٥٦.

٣- سورة المطففين: ٢٦.

٤- سورة النحل: ٩٠.

٥- سورة الحجرات: ١٠.

٦- سورة الأنبياء: ٩٢.

٧- سورة النساء: ٦٠، وقد تحدث الإمام المؤلف عن هذه الآيات الشريفة وغيرها في الكثير من كتبه ومنها: (الصياغة الجديدة)، (الفقه: السياسة)، (الفقه: الاقتصاد)، (الفقه: الاجتماع)، (الفقه: الحقوق)، (الفقه: القانون)، (الفقه: الدولة الإسلامية)، ... ومن كتيباته في هذا الحقل: (هكذا حكم الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) و...

٨- سورة المائدة: ٤٧.

٩- سورة المائدة: ٤٥.

١٠- سورة المائدة: ٤٤.

والتأخر المشين(١).

ويمكن أن يستنبط من قولها (عليها السلام): (وأنى توفكون وكتاب الله (عليه السلام)) - إلى جوار سائر الأدلة العامة والخاصة - إن القرآن الكريم هو المرجع في كل شيء، أي أن فيه ما يصلح للرجوع إليه في كل قضية وحادث، وواقعة ومشكل، قال تعالى:

((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)) (٢).

وما فعلوه من غصب الخلافة ومصادرة فدك وإيذاءهم أهل البيت (عليهم السلام) كان مخالفة للقرآن وتركاً له.

ولا نقصد أن القرآن يبين كل ذلك بالتصريح، بل كليات القرآن ومختلف القرائن الأخرى تدل على هذه الأمور، ولهذا استدلت (عليها الصلاة والسلام) بالنسبة إلى إرثها بآيات ارث الأنبياء (عليهم السلام) وآيات إطلاق الإرث، ومن الواضح أنه ما من حكم شرعي إلا وقد ذكر في القرآن على نحو الجزئية أو الكلية، بالتصريح أو التلميح.

فإن في القرآن الحكيم رموزاً وإشارات، وفيه معادلات، لو عرفها الإنسان لاطلع على كل شيء بنحو التفصيل.

وفي استفادة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أقل مدة الحمل من الجمع بين الآيتين (٣)، مؤشر على ذلك.

وفي الحروف المقطعة مؤشر آخر. وفي تسلسل السور - لا على حسب ترتيب النزول - والآيات وعددها والحروف وتقابلاتها و (عليه السلام) مؤشر آخر (٤).

وإن كان لم يودع علم ذلك كله إلا عند أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) حسب الكثير من الروايات. وكنموذج مما يمكن استفادة الأحكام منه حتى لما يتجدد على مر الزمان، قوله سبحانه وتعالى: ((خلق لكم)) (٥).

وقوله سبحانه: ((وأحل لكم ما وراء ذلكم)) (٦).

١- راجع كتاب (المتخلفون مليارا مسلم) للإمام المؤلف (دام ظله).

٢- سورة النحل: ٨٩.

٣- قال تعالى: ((والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين)) سورة البقرة: ٢٣٣، و قال سبحانه: ((وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)) سورة الأحقاف: ١٥.

٤- إذا أمكن أن يكون رمز كمبيوتر واحد مفتاحاً لفصل أو باب أو علم كامل، وإذا كانت هندسة (الأهرام) وزواياها تتضمن مباحث كثيرة في علوم الفلك والرياضيات وغيرها، فكيف لا يتيسر لخالق الكون أن يضمن كتابه رموز كل شيء!

٥- سورة البقرة: ٢٩. وقد تطرق الإمام المؤلف في (الفقه: الاقتصاد) إلى جملة إستنباطات من هذه الآية الشريفة، ومنها حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية، والحق في حيازة المباحات وأنه محدد بإطار دائرة (لكم) و...

٦- سورة النساء: ٢٤.

وقوله عزوجل: ((أوفوا بالعقود))^(١)، الى غيرها من الآيات المطلقة أو العامة.
وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد إلا بينه للناس، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن، إلا وقد أنزل الله تبارك وتعالى فيه)^(٢).

وقال (عليه السلام): (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل، ولكن لا تبلغه عقول الرجال)^(٣).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (قد ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة، وخبر النار، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء)^(٤) ((٥)).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نبياً فلا نبي بعده وأنزل عليه الكتاب فحتم به الكتب فلا كتاب بعده أحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ثم أومئ بيده إلى صدره وقال: ونحن نعلمه)^(٦).

نعم إن الإسلام قرر الأدلة الأربعة، على ما ذكره الفقهاء، وهي الكتاب والسنة والإجماع والعقل، والمراد بالسنة: الأعم من فعلهم وقولهم وتقريرهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وكون السنة مخصصة للقرآن الكريم ومقيدة له، مما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ((ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))^(٧).

وقوله سبحانه: ((اليوم أكملت لكم دينكم)^(٨) وأتممت عليكم نعمتي

ورضيت لكم الإسلام ديناً))^(٩).

قولها (عليها السلام): (أم بغيره تحكمون)، أي: تحكمون بغير القرآن، ومن المعلوم أن غير القرآن هو الجاهلية والضلال، وأن القرآن حق وغير القرآن باطل، وفي هذا الكلام دلالة على وجوب الأخذ بالقرآن، كما

١- فيشمل العقود المستحدثة كعقد التأمين وغيره مما جمع الشرائط، والآية في سورة المائدة: ١.

٢- تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٥١ سورة الناس.

٣- المحاسن: ص ٢٦٧-٢٦٨ ح ٣٥٥.

٤- إشارة الى قوله تعالى: ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)) سورة النحل: ٨٩.

٥- بصائر الدرجات: ص ١٩٧.

٦- كشف الغمة: ج ٢ ص ١٩٧.

٧- سورة الحشر: ٧.

٨- إذ إكمال الدين تم بتعيين خليفة رسول رب العالمين (صلى الله عليه وآله)، بحيث يرجع إليه القاضي والداني في كل مسألة ومعضلة، في الأصول والفروع، في الشؤون الفردية والاجتماعية، وفي شؤون الحكم الى غير ذلك.

٩- سورة المائدة: ٣.

يقتضي حرمة الحكم بغير ما في القرآن الحكيم، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «علي مع القرآن والقرآن مع علي» (١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا» (٢).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعدما بين خلفائه من أمته وإن أولهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم من بعده الحسن (عليه السلام) ومن بعده الحسين ثم تسعة من ولد الحسين (عليهم السلام): «القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي» (٣).

((بنس للظالمين بدلاً)) (٤)

بنس للظالمين

مسألة: يستفاد من إستنادها (عليها السلام) إلى الآية الشريفة: ((بنس للظالمين)) أن ما فعلوه من غضب الخلافة وإيذاء الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وخذلانهم لهما (عليهما السلام) و (عليه السلام) جعلهم في عداد الظالمين وقد قال تعالى: ((وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)) (٥).

ويلزم الاعتقاد بذلك (٦) على حسب دلالة متواتر الروايات الواردة في باب التبري وغيره، ولأنه من الاعتقاد بالأمور الأصولية، فإن كثيراً من شؤون الأصول الخمسة ترجع إليها وإن كان بعضها مما لا يعلم بوجوب الاعتقاد بجميع خصوصياتها وإن كان يحرم إنكارها، مثلاً خصوصيات العرش وخصوصيات الجنة والنار وما أشبه، وبعض الخصوصيات المتعلقة بالمعصومين (عليهم السلام) من قبيل كناههم وعدد أولادهم وما أشبه ذلك، على تفصيل ذكره علماء الكلام مما هو خارج عن مبحثنا.

وفي إستنادها (عليها السلام) إلى هذه الآية الشريفة دلالة أخرى عميقة حيث أن كامل الآية هو ((إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بنس للظالمين بدلاً)) (٧)، فليتدبر.

قولها (عليها السلام): ((بنس للظالمين بدلاً))، أي: بنس ما إختاروه لأنفسهم بديلاً عن القرآن وأحكامه

١- كشف الغمة: ج ١ ص ١٤٨.

٢- كمال الدين: ص ٢٤٠، وقريب منه في بصائر الدرجات: ص ٨٣.

٣- كمال الدين: ص ٢٧٧.

٤- سورة الكهف: ٥٠.

٥- سورة البقرة: ١٢٤.

٦- أي بما ذكر من أن ما فعلوه جعلهم في عداد الظالمين.

٧- سورة الكهف: ٥٠.

ودساتيره، حيث بذلوا القرآن بغير القرآن واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وحكموا بالباطل والجور، إرضاءً وإشباعاً لشهواتهم الزائلة، وقد قال سبحانه: ((للظالمين)) كناية عن أن الذي يستبدل القرآن بغير القرآن فهو من الظالمين أي أن الاستبدال هو ملاك الظلم وسبب اتصافهم بهذه الصفة وإن شمل اللفظ من كان متصفاً بها من قبل.

أقسام الظلم

مسألة: الظلم المحرم يشمل ظلم النفس وظلم الشعب وظلم الأجيال القادمة. والقوم بغصبهم الخلافة وعزل آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها وتغيير منهجه (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ظلموا أنفسهم والناس وكل الأجيال القادمة على مر العصور، أسوأ الظلم وأشدّه. وإستشهادها (عليها السلام) بالآية الشريفة، والإطلاق الأزمانى والاحوالى فى ((للظالمين))، وشهادة الآثار الوضعية الخارجية العينية، دليل على ذلك، وقد ورد النهي الشديد عن الظلم: قال (صلى الله عليه وآله): «وإياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة» (١). وقال (صلى الله عليه وآله): «وأما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا أهل الشرك والظلم» (٢). وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة» (٣). وقال أبو جعفر (عليه السلام): «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه لم يزل الله عز وجل معرضاً عنه، ماقثاً لأعماله التي يعملها من البر والخير، لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويرد المال الذي أخذه إلى صاحبه» (٤). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله تعالى عليه من يظلمه فإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته» (٥). نعم إن ما أبدلوا به كان بنس البدل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينياً وفي شتى الجهات الأخرى، قال تعالى: ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)) (٦).

وليست الولايات والدواهي والفتن والمحن التي مرت بالمسلمين منذ ذلك اليوم وحتى الآن إلا وليدة ذلك الظلم الذي عُدَّ الحجر الأساس في تحريف مسار التاريخ عن منهج الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان سيكفل للبشرية جمعاء السعادة لو طبق، الى منهج الظلم والاستبداد والجهل والأثرة والتخلف والاحتياط و

١- الخصال: ص ١٧٦ ح ٢٣٥ باب الثلاثة.

٢- الخصال: ص ٣٥٥ باب السبعة ح ٣٦.

٣- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٧٢ باب عقاب من ظلم.

٤- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٧٣.

٥- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٧٤.

٦- سورة الأعراف: ٩٦.

(عليه السلام)

و (بنس) تكشف عن حقيقة خارجية وتدل على الأثر الوضعي الدنيوي كما تفصح عن واقع الحال في الآخرة أيضاً.

((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) (١)

أصول الدين

مسألة: عَدَّ جماعة أصول الدين ثلاثة وهي: التوحيد والنبوة و المعاد، وأصول المذهب خمسة بإضافة العدل والإمامة، والمستفاد من استدلالها (صلوات الله عليها) بهذه الآية الشريفة ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً (عليه السلام))) (٢)، أن الإمامة من أصول الدين، ومنكرها قد ابتغى غير الإسلام ديناً في الموضوع لا الحكم، فتأمل، وعلى ذلك روايات كثيرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ان الولاية من بعدي لعلي والحكم حكمه، والقول قوله، لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن» (٣).

وعنه (عليهما السلام): «في قوله تعالى: ((ليخرجكم من الظلمات إلى النور)) (٤) يقول: من الكفر إلى الإيمان يعني إلى الولاية لعلي (عليه السلام)» (٥).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): ((والذين كفروا)) (٦) أي بولاية علي (عليه السلام) ((أولياؤهم الطاغوت)) نزلت في أعدائه ومن تبعهم، أخرجوا الناس من النور، والنور ولاية علي (عليه السلام) فصاروا إلى الظلمة ولاية أعدائه (٧).

وفي قوله تعالى: ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)) (٨) قال أبو الحسن الماضي (عليه السلام):

«يريدون يطفئوا ولاية أمير المؤمنين بأفواههم والله متم نوره: والله متم الإمامة» (٩).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: ((فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها))

١- سورة آل عمران: ٨٥.

٢- سورة آل عمران: ٨٥.

٣- الأماي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨ المجلس ٥٥ ح ٧.

٤- سورة الأحزاب: ٤٣.

٥- المناقب: ج ٣ ص ٨٠.

٦- سورة البقرة: ٢٥٧.

٧- المناقب: ج ٣ ص ٨١.

٨- سورة التوبة: ٣٢.

٩- المناقب: ج ٣ ص ٨٢.

(١) قال: «هي الولاية» (٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ((إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرة)) (٣) قال: «نزلت فيمن آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه، فعلي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين حيث قالوا له: بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثم كفروا حين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يقرروا بالبيعة ثم ازدادوا كفرة»

بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهو لاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء» (٤).

وعن أبي سعيد الخدري قال: «تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية: ((لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)) (٥) ثم قال: أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعلي الولاية بعدي، وأصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علياً بعدي..» (٦).

لا يقال: إن كلامها (عليها السلام) عن القرآن وتركه وراء الظهر.

لأنه يقال: إن مصبّ كلامها هي خلافة الإمام علي (عليه السلام) واعتراضها عليهم بأن الإعراض عنه إعراض عن القرآن، وأنهم بذلك صاروا مصداق ((بنس للظالمين بدلاً)) (٧)، و ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً)) (٨).

وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: ((إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)) (٩) قال (عليه السلام): «يهدي إلى الولاية» (١٠).

وفي حديث آخر: «يهدي إلى الإمام» (١١).

وذلك بين أيضاً من قولها (عليها السلام) (والرسول لما يقبر) أو ليس نصب غير الإمام خليفة في السقيفة هو الذي كان قبل أن يقبر الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ ومن قولها: (ابتداراً زعمتم خوف الفتنة).

ويدل عليه أيضاً قولها: «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين».

١- سورة الروم: ٣٠.

٢- تأويل الآيات: ص ٢٧ سورة الروم.

٣- سورة النساء: ١٣٧.

٤- راجع تفسير العياشي: ج ١ ص ٢٨١ سورة النساء، ح ٢٨٩.

٥- سورة الحشر: ٢٠.

٦- تفسير فرات الكوفي: ص ٤٧٧ ح ٦٢٣ سورة الحشر.

٧- سورة الكهف: ٥٠.

٨- سورة آل عمران: ٨٥.

٩- سورة الإسراء: ٩.

١٠- تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٨٣.

١١- تفسير العياشي: ج ٢ ص ٢٨٢.

ثم إن معنى (فلن يقبل منه) هل هو المطلق أو النسبي، أي قبولاً مطلقاً أم قبولاً كما يقبل عن المؤمنين، وبعبارة أخرى هل (القبول المطلق) هو المنفي أو (مطلق القبول)؟
قد يختلف باختلاف المصاديق.

ثم إن الكفار على ثلاثة أقسام أو أكثر: الذميون والمحايدون والمعاهدون، وهؤلاء يحقن دمهم ومالهم وعرضهم، وأما الكفار في القسم الرابع وهم المحاربون، فإنهم يحاربون حسب موازين الإسلام، كما قال سبحانه: ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)) (١).

هذا ويحتمل أن يكون المراد عدم القبول أخوياً ولا منافاة بينهما.
و (ابتغاء غير الإسلام ديناً) يشمل الأقوال والأعمال، سلباً وإيجاباً - فهذه أربع صور :-
بأن يقول ما لا يقوله الإسلام (٢).
أو لا يقول ما يقوله الإسلام (٣).
أو يعمل ما لا يريد الإسلام عمله (٤).

أو لا يعمل ما أراده (٥)، فإن الإسلام عقيدة وقول وعمل، وعلى هذا فالأقسام ستة.
قال الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان» (٦).

وفي حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال جبرئيل: قال الله تعالى: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني كان آمناً) وقال الإمام (عليه السلام): بشروطها وشروطها المعرفة بالولاية والعمل بالأركان» (٧).

ثم انه يجب الاعتقاد بمضمون هذه الآية الشريفة (٨) كبرى، وبمصاديقها صغرى - في الجملة -، ومنها ما قام به القوم من غصب الخلافة، وعلى ذلك دلت الأدلة الأربعة.

١- سورة التوبة: ٣٦.

٢- كقوله تعالى: ((ولقد قالوا كلمة الكفر)) سورة التوبة: ٧٤.

٣- كعدم نطقه بالشهادتين.

٤- كقوله: ((وهموا بإخراج الرسول)) (سورة التوبة: ١٣)، و ((يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به)) سورة النساء: ٦٠.

٥- كقوله تعالى: ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) (سورة الشورى: ٢٣) و ((أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) سورة النساء: ٥٩.

٦- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٢٦.

٧- أعلام الدين: ص ٣٥٦.

٨- سورة آل عمران: ٨٥.

الطريق إلى الله

مسألة: الآية صريحة في نفي ما ذهب إليه بعض المذاهب الباطلة (١)، من أن الأديان والمذاهب كلها طرق إلى الله تعالى وإن من تمسك بأي منها فهو ناج، أو أن القلب وسلامته هي المعيار لا العمل، أو أن هنالك طريقة تغاير الشريعة وما أشبه ذلك.

كما أن إستدلالتها (عليها السلام) بالآية في المقام نفي لصحة المذاهب الأخرى غير المذهب الجعفري الاثنا عشري، وهي عبارة أخرى عن الروايات الصحيحة التي تصرح بـ «ستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين إحداها ناجية وسائرهما هالكة» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقيون في النار» (٣).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قول النبي (صلى الله عليه وآله): «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية وهم المتمسكون بولايتكم، لا يعملون برأيهم، أولئك ما عليهم من سبيل» (٤).

وفي حديث آخر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) افترق قومه ثلاث فرق، فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان، وإن أمتي ستفترق ثلاث فرق، فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الشاكون، وفرقة غلاة فيك فهم الجاحدون، وأنت يا علي وشيعتك ومحبو شيعتك في الجنة، وأعداؤك والغلاة في محبتك في النار» (٥).

الخلافة والظلم

مسائل: لا يصلح من يكون ظالماً، أو في حكم غير المسلمين، أو من يكون من الخاسرين في الآخرة، لخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يجوز إستخلافه، ولا تكون له الشرعية، ولا لأقواله وأفعاله الحجية، ويلزم الاعتقاد بما ذكر وقد قال سبحانه جواباً لإبراهيم (عليه السلام): ((لا ينال عهدي الظالمين)) (٦).

لا يقال: هل سأل إبراهيم (عليه السلام) من ربه (العهد) للظالمين أو العادلين، فإن سأل للظالمين فهو مستبعد منه (عليه السلام) وإن سأل للعادلين فلم يكن هذا الجواب جواباً له؟

لأنه يقال: إن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) طلب العهد في الجملة، وإنما فصل الله سبحانه وتعالى ونوه

١- كالبهائية، وكقسم من العرفاء القائلين بوحدة الوجود ووحدة الموجود وكبعض الصوفية ومن أشبه.

٢- المناقب: ج ٣ ص ٧٢.

٣- الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٩٦.

٤- الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٦.

٥- مائة منقبة: ص ٨٠ المنقبة ٤٨.

٦- سورة البقرة: ١٢٤.

إلى أنهم بين عادل وظالم، لتنبية الناس على هذه الحقيقة
 (كبرى) والى أنه لا يليق بالخلافة من كان ظالماً (صغرى)، وتفصيل البحث في علم الكلام.
 قولها (عليها السلام): ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) (١).
 فإن الذي يبتغي غير الإسلام ديناً وطريقة في حياته، سواء عقيدة أو عملاً لن يقبل منه في الدنيا في الجملة (٢)،
 ويسبب له ذلك انحطاطاً وانحرافاً وضنكاً في معاشه وفي سائر مجالات حياته الدنيا.
 ولن يقبل منه في الآخرة أيضاً، قال تعالى: ((وهو في الآخرة من الخاسرين)) (٣)
 وقال سبحانه: ((الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)) (٤)، لأن الدنيا
 مزرعة الآخرة (٥)، فقسم من الناس يزرعون ما ينفعهم هناك، وقسم من الناس يزرعون ما لا يضر ولا ينفع (٦)،
 وقسم من الناس يزرعون ما يضرهم هناك.
 فأهل الباطل يخسرون رأس المال والأرباح المفترضة (٧)، بل إنهم يحتطبون أوزاراً ويحملون أثقالاً ويشرون
 سعيراً، بينما الذكي الفطن هو من يحافظ على رأس ماله ويربح فوق ذلك (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر) (٨).
 نسأل الله عزوجل أن يجعلنا من المتمسكين بولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين
 (عليهم السلام).

ثم لم تلبثوا (٩) إلا ريث (١٠) أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها

-
- ١- سورة آل عمران: ٨٥.
 - ٢- قوله (دام ظله) في الجملة: إشارة إلى ما سبق في المسألة السابقة.
 - ٣- سورة آل عمران: ٨٥.
 - ٤- سورة الزمر: ١٥.
 - ٥- الإرشاد: ص ٨٩ ب ٢٢، تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٩٢.
 - ٦- ككثير من الناس الذين يصرفون أوقاتهم في السهرات (إن لم تتضمن محرماً كالغيبة والتهمة والنميمة وغيرها وإلا كانت السهرة محرمة).
 - ٧- رأس المال هو العمر، والقدرات التي منحها الله للإنسان ليستخدمها في عمارة آخرته هي (كالذكاء والصحة وماء الوجه)، والأرباح المفترضة: ((رضوان من الله)) (سورة التوبة: ٧٢)، و ((جنة عرضها السماوات والأرض)) (سورة آل عمران: ١٣٣).
 - ٨- أعلام الدين: ص ٢٦٨.
 - ٩- وفي بعض النسخ: (ثم لم تبرحوا ريثاً)، وفي بعضها: (هذا ولم تريثوا حتها إلا ريث) وفي بعضها: (ثم لم تريثوا اختها).
 - ١٠- أي مقدار.

ومكروا ومكر الله

مسألة: يستفاد من كلامها (عليها السلام) حرمة ما فعله القوم حيث لم يلبثوا إلا ريث سكون نفرتها وسلس قيادتها.

ويحتمل في قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا (عليه السلام)) أن يكون إنشاء كما يحتمل أن يكون إخباراً، فعلى الأول - على تأمل فيه - فإن هذا يتضمن تهديداً لهم وعلى ما فعلوه بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنه سيعود - بشناره وضرره - على أنفسهم، وذلك نتيجة أعمالهم المنحرفة ونتيجة إعراضهم عن أحكام القرآن وديساتير الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد قال سبحانه: ((ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله)) (١).

وقال تعالى: ((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)) (٢).

وقال سبحانه: ((يخادعون الله وهو خادعهم)) (٣).

وقال تعالى: ((ويمكرون ويمكر الله)) (٤).

وقال سبحانه: ((قل الله أسرع مكرًا)) (٥).

لا يقال: إن (عليه السلام) (٦) يريد الماكرين فلا يحيط المكر السيئ.

لأنه يقال: هذا على حسب اقتضاء طبيعة الأشياء وقد ذكرنا فيما سبق أن القضايا غالباً طبيعية. هذا أولاً.

وثانياً: أنا إذا لاحظنا أن الدنيا والآخرة كوجهي الشيء الواحد وأن الآخرة امتداد للدنيا بوجه كما فصلناه في بعض كتبنا (٧)، فلا إشكال في أن المكر يعود إلى الماكر سواء في الدنيا أو في الآخرة.

وأما أن الله سبحانه وتعالى أسرع مكرًا، فأنه سبحانه يعلم مسبقاً بمكرهم ومخططاتهم ولذلك فانه يهيأ أسباب المكر لهم، ويكون مكره أسرع من مكرهم (٨)، والمكر عبارة عن معالجة الأمور بنحو خفي حتى يوقع

١- سورة فاطر: ٤٣.

٢- سورة آل عمران: ٥٤.

٣- سورة النساء: ١٤٢.

٤- سورة الأنفال: ٣٠.

٥- سورة يونس: ٢١.

٦- في المخطوطة ههنا كلمة أو كلمات غير واضحة، ولعل المراد: لا يقال: اننا نلاحظ كثيراً من الماكرين لا يحيط بهم مكرهم السيئ ولا يرون العاقبة السيئة للمكر، فأجاب المصنف:

أولاً: بأن هذه القضايا غالبية وهي بنحو المقتضي لا العلة التامة.

وثانياً: لنا أن نلتزم بأن هذه القضايا دائمية، وأن المكر السيئ يحق بأهله إما في الدنيا أو في الآخرة.

٧- راجع موسوعة الفقه: المدخل، كتاب العقائد، و (التفسير الموضوعي للقرآن) للإمام المؤلف دام ظله.

٨- الذي يبدو أن الإمام المصنف فسر (أسرع مكرًا) بـ (أسرع في إعداد مقدمات ووسائل المكر) لا الأسرع في إنفاذ المكر نفسه.

غيره فيما يريد الفرار منه (١).

الحيطة من أهل الباطل

مسألة: الواجب أن لا يغتر المؤمنون من سكون أهل الباطل وهدونهم ودعتهم الظاهرية، إذ ربما يكونون قد بيتوا شراً مستطيراً.

ومعنى ذلك الأخذ بلوازم الحيطة والحذر، وليس ذلك يعني مصادرة حرياتهم المكفولة شرعاً أو التضيق عليهم ومعاملتهم كمجرمين، إذ لا قصاص قبل الجناية، ولا يؤخذ بالظنة أو التهمة في الشريعة السمحة السهلة. نعم من دأب الظالمين والمستبدين القصاص قبل الجناية بل ومن غير قصدها، والأخذ بالظنة وما أشبهه. وقد كتب الإمام الحسين (عليه السلام) جواباً لكتاب معاوية:

«ابشر يا معاوية بقصاص واستعد للحساب واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله تبارك وتعالى بناس أخذك بالظنة وقتلك أوليائه بالتهمة ونفك إياهم من دار الهجرة إلى الغرباء والوحشة» (٢).

ثم إن هذه الجملة، من كلامها (صلوات الله عليها) تعد إحدى أدق الدراسات وأجمل التعابير في الأدب التصويري عن طبيعة المنحرفين في المجتمع ونفسياتهم، فهم يتبعون خطوات الشيطان في المراوغة، والتظاهر، والتستر، والمكر، واتباع سياسة الكر والفر، وسياسة الخطوة خطوة، وسياسة خطوة إلى الخلف وخطوتان إلى الأمام.

أقسام المكر

مسألة: المكر على قسمين:

فمنه: مكر صحيح محمود هو مقتضى العدل والعقل (٣) واللفظ، وهو ما كان من باب مقابلة المكر بالمكر، وفي حدوده الشرعية، أي ما كان في مواجهة مكر وحيلة وتضليل وتدليس وظلم الطغاة والمنحرفين والضلال. ومنه: مكر فاسد مذموم، وهو الابتداء بالمكر مما يعد ظلاً وتحايلاً على الحق لصالح جبهة الضلال والظلام، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يكر ولا يخدع فاني سمعت جبرئيل يقول ان المكر والخديعة في النار» (٤).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «المكر سجية اللئام» (٥).

١- أي حتى يوقع الطرف الآخر في المصيدة وفي المحذور الذي فر منه.

٢- الاحتجاج: ص ٢٩٨.

٣- غير خفي أن العدل في الله عزوجل وفي الخلق، والعقل في غيره جل وعلا.

٤- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٠ المجلس ٤٦.

٥- غرر الحكم: ص ٢٩ ح ٦٤٨١.

وقال (عليه السلام): «إياك والمكر فإن المكر لخلق ذميم» (١).

وقال (عليه السلام): «المكر والخديعة والخيانة في النار» (٢).

وقال الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): (ولا تمكر بي في حيلتك) (٣) أي لا تمكر بي في علاجك للأمور. ومن المحتمل أن قولها (عليها الصلاة والسلام): (لم تلبثوا) إخباراً لا إنشاءً أي لما سكنت نفرة الخلافة - تشبهاً لها بالفرس الجموح أو الناقة الهانئة بالنسبة لهم - واسلست السلطة لكم قيادتها، وثبتت على الحكم وانتزعتوها فرصة سانحة وأخرتم من عينه الله خليفة لرسوله (صلى الله عليه وآله).

قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها). ريث بمعنى: قدر، وقد يضاف عليها (ما) فيقال: (ريثما) أي: قدر ما، فقد لبثتم هادين - ظاهرياً - بانتظار ساعة الصفر وهي (عندما تسكن نفرتها ويسلس قيادها).

قولها (عليها السلام) (ويسلس قيادها)، بمعنى: سهولة القيادة والانتقاد.

ومعنى الجملتين (٤) أن الخلافة كانت حين عقدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) كالفرس الجامح الصعب بالنسبة لكم، لا ينقاد لأحد منكم وأشباهكم، ولا تكون قيادته أمراً سهلاً، إنها كانت كذلك بسبب حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقوته وخشية الأعداء منه، فلم تتمكنوا أن تأخذوها كما تشاءون، لكن لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانشغل الإمام علي (عليه السلام) بتجهيز رسول الله (صلى الله عليه وآله) - إضافة إلى أن وصيته (صلى الله عليه وآله) قد قيده (٥) - صارت الخلافة كفرس ذلول فلانشوز لها عنكم، وتمكنتم من قيادها بسهولة، ولذا ركبتموها وأخذتم بزمامها، ولم يكن زهدكم عن الخلافة في زمان الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا بقدر وبانتظار أن تأتي الخلافة بهاتين الحالتين: حالة السكون وحالة السلاسة، فكان الأمر تكتيكاً منكم وبحثاً عن الفرص وتربصاً للدوائر.

ثم أخذتم توروون وقديتها، وتهيجون جمرتها

الإعانة على الإثم

مسألة: يستفاد من إطلاق خطابها (٦) (عليها السلام) وتوجيهه للمجموع، شموله لمن قاد المؤامرة ولمن أعان عليها، بل ربما أمكن القول بشموله لمن سكت أيضاً، فإنه نوع معونة عقلاً أو عرفاً، كما ورد في الساكت

١- غرر الحكم: ص ٢٩١ ح ٦٤٨٦.

٢- الجعفریات: ١٧١.

٣- الإقبال: ص ٦٧ و ١٤٨.

٤- بناء على كونهما إخباراً لا إنشاءً.

٥- أي وصيته (صلى الله عليه وآله) للإمام (عليه السلام) بأن لا يشهر سيفه وبأن يصبر على غضب حقه رعاية للإسلام. راجع بحار الأنوار: ج ٢٨ ص ٣٠٠ ب ٤ ح ٤٨.

٦- أي في قولها (عليها السلام): (ثم لم تلبثوا) و (ثم أخذتم توروون).

عن الغيبة، حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الساکت شريك المغتاب» (١).
 باعتبار أن سكوت جمع كبير من الناس عن الظلم يعد من العلل المعدة لوقوعه وتحققه فتأمل.
 فكما أن إقرار الإثم والظلم والغصب محرم كذلك الإعانة عليها محرم أيضاً.
 قال تعالى: ((ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)) (٢).
 وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير» (٣).
 وقال (صلى الله عليه وآله): «من أعان ظالماً سلطه الله عليه» (٤).
 وقال (صلى الله عليه وآله): «من دل جائراً على جور كان قرين هامان في جهنم» (٥).
 وقال الإمام الرضا (عليه السلام): «من أعان ظالماً فهو ظالم» (٦).
 وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله ساخط عليه حتى ينزع من معونته» (٧).
 وقال (عليه السلام): «لا ينجو من أعان علينا، ولا يعان من أسلمنا» (٨).
 وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحاً من درّ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله تعالى يوم القيامة وشاحاً من نار» (٩).

التفكيك بين الظلم والظالم

مسألة: من المحرمات الإعانة على (ذات الظلم والعدوان) كما تحرم إعانة الظالم على ظلمه، والفرق: إنه قد يكون هناك ظلم صادر عن فاعل مكلف مختار جامع لسانر الشرائط، فهاهنا قد اجتمع الظلم والظالم. وقد يكون هنالك ظلم دون أن يوجد ظالم كما لو صدر الظلم أو الجرم أو العدوان عن غير المكلف بوجه من الوجوه، كما لو ضرب المضطر أو المجبور أو المجنون أو الغافل الساهي، إنساناً، وكما في تعدي الحيوان على الإنسان، فإن أعان شخص ذلك الضارب المضطر أو المجنون أو (عليه السلام) كان معيناً للظلم وإن لم يكن معيناً للظالم لفرض الانفكاك، وقد تطرقوا إلى شبه هذا المبحث في باب التجري والقبح الفاعلي والفعلي.

١- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١١٩ باب الغيبة.

٢- سورة المائدة: ٢.

٣- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٦٤ المجلس ٦٦.

٤- الخرائج والجرائح: ص ١٠٥٨.

٥- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٦٤ المجلس ٦٦.

٦- عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٢٣٥.

٧- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٢٤٧ باب عقاب من ظلم.

٨- تحف العقول: ص ١٢١، وتفسير الفرات: ص ٣٦٦ ح ٤٩٩ سورة الزمر.

٩- كشف اليقين: ص ٢٣٤ المبحث السابع.

وكون ظاهر العناوين: القصدية لا يضر بعد وجود القرينة هاهنا (١) فتأمل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته، أو قاتلهم، أو أعان عليهم، أو سبهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم» (٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما نزلت هذه الآية: ((يوم ندعو كل أناس بإمامهم)) (٣) قال المسلمون: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: انا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال واشياعهم، ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه برئ» (٤).

الرضا بفعل الظالم

مسألة: يحرم الرضا بفعل الظالم، وذلك فيما إذا كان الظلم في أمر يتعلق بأصول الدين.

وأما إذا كان الظلم في فروع الدين فالمشهور بينهم عدم الحرمة كما إذا اغتصب إنسان مال إنسان وكان المغتصب منه إنساناً عادياً - لا مثل السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) - فإن رضي شخص آخر بهذا الغصب (العادي) فلا يعلم بكونه فاعلاً للحرام وإن كان ذلك من رذائل الأخلاق ومما يكشف عن سوء السريرة كالحسد مثلاً ما لم يظهر، وقد ذكروا هذا المبحث أيضاً في باب التجري في الأصول وعلم الكلام.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء فيه» (٥).

ومثله باختلاف يسير في تحف العقول (٦).

وقال (عليه السلام): «إياك ومصاحبة أهل الفسوق فإن الراضي بفعل قوم كادخل معهم» (٧).

وقال (عليه السلام): «لكل داخل في باطل إثم إن إثم الرضا به وإثم العمل به» (٨).

١- الظاهر أن المراد: ما ذكره الفقهاء من أن أي فعل يسند إلى المكلف (كالظلم والبيع والعقد والايقاع) ظاهره أنه فعله قاصداً له ف: (باع) أي باع قاصداً للبيع، و (ظلم) كذلك، إذن الظلم يعني الظلم قاصداً له، فهناك تلازم بين الظلم والظالم، فأجاب بأن الظهور يتمسك به مع عدم وجود قرينه على الخلاف، والفرض أنه (دام ظله) قد صرح بـ (الظلم لا عن قصد) عندما قسم النوع وفكك، فليدقق جيداً.

٢- روضة الواعظين: ص ٢٧٣.

٣- سورة الإسراء: ٧١.

٤- بصائر الدرجات: ص ٣٣.

٥- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ١٧.

٦- تحف العقول: ص ٢١٦ وفيه: «شركاء ثلاثة».

٧- غرر الحكم: ص ٤٣٣ ح ٩٨٨٥.

تقوية شوكة الظالمين

مسألة: تحرم تقوية شوكة الظالمين.

وذلك كالمشي في ركاب الظالم حيث يكون شوكة له وان لم يكن الظالم في حال الظلم.

وكالاشتراك في المؤتمرات والمجالس التي يعقدها الظالم وشبه ذلك.

فان المستفاد من الروايات حرمة ذلك في الجملة، بل لعله يعد من الركون أيضاً، ولو في بعض المصاديق،

قال سبحانه: ((ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)) (٢).

بل ورد في الحديث الشريف: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه» (٣).

وورد: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على الإسلام» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من مشى مع ظالم ليعينه فقد خرج من الإسلام، ومن أعان ظالماً ليبطل حقاً

فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله» (٥).

وقال (عليه السلام) في حديث وجوه معانئ العباد: «وأما وجه الحرام من الولاية فولاية الوالي الجائر،

وولاية ولاته، الرئيس منهم، وأتباع الوالي فمن دونه من ولاية الولاية إلى أدناهم باباً من أبواب الولاية على من

هو وال عليه، والعمل لهم والكسب معهم بجهة الولاية لهم حرام محرّم، معذب من فعل ذلك على قليل من فعله

أو كثير، لأن كل شيء من جهة المعونة معصية كبيرة من الكبائر. وذلك أن في ولاية الوالي الجائر دوس الحق

(٦) كله، وإحياء الباطل كله، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم

المساجد، وتبديل سنة الله وشرائعه، فلذلك حرم العمل معهم ومعونتهم والكسب معهم إلا بجهة الضرورة نظير

الضرورة إلى الدم والميتة» (٧).

قولها (عليها السلام): (ثم أخذتم) أي: بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، و (ثم) تستخدم للدلالة على

الفصل الزمني كما تستخدم للدلالة على الترتيب الرتبي.

قولها (عليها السلام): (تورون وقدتها) أي: تشعلون وقود النار..

والوقود هو العلة المادية للنار حدوثاً وبقاءً، فبه توجد النار وبه تبقى، قال سبحانه:

((قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)) (٨) فان الآخرة على خلاف النيران المتعارفة في الدنيا

١- غرر الحكم: ص ٣٣١ ح ٧٦٣٣.

٢- سورة هود: ١١٣.

٣- المناقب: ج ٤ ص ٢٥١.

٤- الصوارم المهرقة: ١٦.

٥- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٣٣.

٦- داسه: أي وطأه برجله وتحت أقدامه.

٧- تحف العقول: حديث وجوه معانئ العباد، عن الإمام الصادق (عليه السلام).

٨- سورة التحريم: ٦.

التي توقد بسبب الحطب والفحم والغاز وما أشبه ذلك.

ومن وقود الفتنة كان إثارة الأحقاد البدرية والحنينية والخيبرية، والحقد والحسد المتمركز على أمير المؤمنين (عليه السلام) لكونه قاتل جمع كثير منهم في حروبهم ضد الرسول (صلى الله عليه وآله) ولاختصاصه بالفضائل الجمة دون غيره.

ومن وقود الفتنة كان أيضاً الأهواء والشهوات وحب السلطة والرئاسة والجاه والمال، ذلك أن قادة المؤامرة أخذوا يذكرون هذه العوامل في صدور الناس كي يعينوهم على آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وليتسلموا السلطة ويصفو لهم الجو.

وقد يكون كناية عن أنكم أخذتم بأزمة الخلافة لأنفسكم وتوقدون نارها لمصالحكم حتى تستفيدوا من الخلافة، فالإنسان الذي ينقلب على الحق ويصادر حقاً أقره الله لغيره لا محالة يكون هدفه الاستفادة منها في أغراضه وأهدافه الشخصية التي يملئها عليه الشيطان والهوى والنفس، ولعل لذلك كان عطفها (عليها السلام) به (وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي).

ما يؤدي إلى الغضب

مسألة: كما يحرم أصل الغضب، يحرم أيضاً كل ما يؤدي إلى استحكامه وتجذره وثباته ودوامه وتوسعه.

وهذا ما كنث (عليها السلام) عنه بقولها: (وتهيجون جمرتها)، والجمر عبارة عن: الفحم الذي يسجر ناراً ويشتعل، فانهم كان يهيجون جمره الخلافة للاستفادة منها في مآربهم.

وهي (صلوات الله عليها) مرة شبهت الخلافة بالفرس أو البعير أو ما أشبه ذلك حيث يركبه الإنسان للوصول إلى هدفه، ومرة شبهها بالنار التي كان ينبغي أن ينتفع منها الإنسان في قبسه وسائر مآربه.

ولعل التشبيه به (تورون وقدها..) بلحاظ المقام، باعتبار أن عملهم باغتصاب الخلافة كان كالنار المحرقة التي ((لاتبقي ولا تذر)) (١).

ولا يخفى لطف التعبير به (تورون وقدها) تنظيراً لغضبهم الخلافة به ((النار التي وقودها الناس والحجارة)) (٢).

وربما تستبطن عبارة (وتهيجون جمرتها) فيما تستبطن الدلالة الكمية والكيفية في محاولاتهم، فانهم كانوا يرومون تكريس سلطتهم وتجزير ملوكيتهم وتوسعة سلطانهم فكانوا حثيثي السعي لكسب المزيد من الأنصار وكسر شوكة الأخيار، ومن ذلك كان إصرارهم الشديد على أخذ البيعة من الكل بلا استثناء، وكانت هذه معصية أخرى منضمة إلى معصية أصل غضب الخلافة كما لا يخفى.

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي

١- سورة المدثر: ٢٨.

٢- سورة البقرة: ٢٤.

الاستجابة لهتاف الشيطان

مسألة: إجابة هتاف الشيطان بما هو هو يتبع حكم متعلقه، وباعتبارها منه مسنداً إليه ان عاد إلى مكابرة الله والعناد معه موجب للكفر، وإلا فمحرم في الجملة، فتأمل.

قال تعالى: ((انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون)) (١).

وقال الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ان بايعه الناس: «وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم فإنه لكم عدو مبين فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفتنان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم» (٢).

والشيطان يهتف بالحرام والمكروه وترك الأولى، مثل أن ينام بين الطلوعين، استجابة لهتاف الشيطان فإنه من المكروه لا من المحرم.

واستجابتهم لهتاف الشيطان الذي أشارت إليه (صلوات الله عليها) كانت من المحرم بل من أشد درجاته الحرمة لكونهم نقضوا أكبر دعامة وأهم عمود للدين وهو الولاية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد ورد: (بني الإسلام على خمس

على الصلاة (عليه السلام) ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية) (٣).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، قال قلت: فأَيُّ ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضلهن لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن» (٤).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): «في قوله عز وجل: ((أرأيت الذي يكذب بالدين)) (٥) قال: بالولاية» (٦). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المخالف على علي بن أبي طالب بعدي كافر، والمشارك به مشرك، والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق.. لا يقبل الله الإيمان إلا بولايته وطاعته» (٧).

وقال (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق نبياً إن الله لا يقبل من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب وهو تعالى أعلم، فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأت به بولايته لم يسأله عن شيء وأمر به إلى النار» (٨).

وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «في قوله تعالى: ((ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة

١- سورة الأعراف: ٣٠.

٢- الأمالي للشيخ المفيد: ص ٣٤٩ المجلس ٤١.

٣- بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ٣٢٩ ب ٢٧ ح ١.

٤- تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩١ سورة آل عمران: ح ١٠٩.

٥- سورة الماعون: ١.

٦- تأويل الآيات: ٨٢٠.

٧- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١١ المجلس ٣ ح ٦.

٨- كشف الغمة: ج ١ ص ٣٨٠.

من الخاسرين))^(١)، قال: فالإيمان في بطن القرآن علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ف ((من يكفر)) كفر بولايته، ((فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين))^(٢).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بولايته - أي ولاية علي (عليه السلام) - صارت أمتي مرحومة»^(٣).
(.

التحذير من مساوئ الشيطان

مسألة: من اللازم ذكر مساوئ الشيطان وانه يغوي ويضل، فان ذلك يوجب تفريق الناس من حوله وعدم الاستجابة إليه.
وبالعكس من ذلك يلزم بيان صفات الصالحين والمصلحين، حيث أنه بين مستحب وواجب، فيما إذا سبب التفاف الناس حولهم التفافاً وجوبياً أو التفافاً استحبابياً، فتأمل.
وذلك كله في طرفيه السلبي والإيجابي يعد من مصاديق التولي والتبري و (عمل بالأركان)^(٤) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو مقدمة لها.
وربما عد من مصاديق ((فقاتلوا أئمة الكفر))^(٥) و ((جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم))^(٦).
قولها (عليها السلام): (تستجيبون لهتاف الشيطان الغوي):
الهتاف - بالكسر - بمعنى: الصياح، وهتف به: أي دعاه، فان الشيطان دعاهم إلى نقض عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر الخلافة فاستجابوا له.
والغوي بمعنى: الضال، وذكر هذه الصفة بالذات تذكير بأجل صفاته مما يناسب المقام، إذ كيف يستجيب الإنسان لهتاف ضال؟ فيضل هو كما ضل شيطانه ويستحق ما استحقه من اللعنة والإبعاد عن رحمة الله والعقاب.
وقد حذر القرآن الكريم عن الشيطان واتباعه:
قال سبحانه: ((ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين))^(٧).
وقال تعالى: ((الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم))^(٨).

١- سورة المائدة: ٥.

٢- تفسير الفرات: ص ١٢١ ح ١٢٩ سورة المائدة.

٣- بشارة المصطفى: ص ١٩٨.

٤- الخصال: ص ٦٠٩، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج ١ ص ٢٢٦ باب ما جاء عن الرضا (عليه السلام) في الإيمان وانه معرفة بالجنان وقرار باللسان وعمل بالأركان.

٥- سورة التوبة: ١٢.

٦- سورة التحريم: ٩.

٧- سورة الزخرف: ٦٢.

٨- سورة البقرة: ٢٦٨.

- وقال سبحانه: ((إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)) (١).
- وقال عزوجل: ((ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً)) (٢).
- وقال تعالى: ((ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً)) (٣).
- وقال سبحانه: ((وما يعدةم الشيطان إلا غروراً)) (٤).
- وقال تعالى: ((إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء)) (٥).
- وقال عزوجل: ((يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)) (٦).
- وقال سبحانه: ((يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً)) (٧).

استجابتهم المطلقة للشيطان

مسألة: قولها (عليها السلام) (تستجيبون) يدل على أن استجابتهم لهتاف الشيطان الغوي كان حالة مستمرة ومنهجاً متواصلاً على مر الأيام، ويلزم الاعتقاد بذلك.

حيث أن الفعل المضارع يدل على الاستمرار، وبقرينة السياق أيضاً.

وحيث أن حذف المتعلق يفيد العموم (٨) ولقرائن مقامية أخرى يكتشف أن استجابتهم لم تتحدد في قضية واحدة، بل كانت هي الأصل في شتى الجوانب، وكان من مصاديقها غصب الخلافة وغصب فذك واتهام المؤمنين بالردة، وأخذ الزكاة عن الناس بالقوة، وقتل الأبرياء والتعدي على الأعراض (كما في قضية مالك بن نويرة والتعدي على زوجته) (٩) ومصادرة حريات الناس، والجبر على البيعة، وتحريف كلمات الرسول (صلى الله عليه وآله)،

١- سورة آل عمران: ١٧٥.

٢- سورة النساء: ٦٠.

٣- سورة النساء: ١١٩.

٤- سورة النساء: ١٢٠.

٥- سورة المائدة: ٩١.

٦- سورة الأعراف: ٢٧.

٧- سورة مريم: ٤٤.

٨- أي في (تستجيبون).

٩- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ١٧٩، وشرح النهج: ج ١٧ ص ٢٠٢.

وفي كتاب الفضائل ص ٧٦: تحت عنوان خبر مالك بن نويرة قال: «فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة، فخرج لينظر من قام مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب الناس، فنظر إليه وقال: أخو تميم، قالوا: نعم، قال: فما فعل وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أمرني بولايته - يعني علياً (عليه السلام) -؟، قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر!، قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد خنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرافقك

مضافاً إلى إيدائه للزهراء (عليها السلام) وكسر ضلعها وإسقاط جنينها و (عليه السلام) (١).

مقتضى الأصل في هتاف الشيطان

مسألة: الأصل في كل دعوة وهتاف للشيطان: الغواية والضلال والإضلال، وهذا في مقابل أن الأصل في المسلم الصحة، وفي غيره أيضاً في الجملة كما فصلناه في الفقه، وربما يقال انه في قبال عدم وجود أصل في غير المسلم بقول مطلق فتأمل (٢).

وإنما كان كذلك لأنه مقتضى كونه عدواً، ولزوم اتخاذه عدواً، كما قال تعالى: ((يا بني آدم ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)) (٣).

وان ذلك هو ما بنى عليه أمره، حيث قال: ((فبعزتك لأغوينهم أجمعين)) (٤).

وقال تعالى: ((قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)) (٥).

وقد آلى على نفسه أن لا ينصح شخصاً أبداً كما في قضيته مع أحد الأنبياء (عليهم السلام).

وإطفاء أنوار الدين الجلي

هذا المنبر ووصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس، فقال أبو بكر: اخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)!!، فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكران عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وانشأ يقول:

اطعنا رسول الله ما كان بيننا***فيا قوم ما شأنني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمر مقامه***فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدب ويغشاه العشار كأنما***يجاهد جمأ او يقوم على قبر

فلو قام فينا من قريش عصابة***اقمنا ولكن القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت مالك على رؤوس الأشهاد، ولست آمن ان يفتق علينا فتقاً لا يلتئم فاقتله.

فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارساً يعدّ بألف، فخاف خالد منه فأمنه وأعطاه الموائيق، ثم عذر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله واعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو... » والحديث طويل.

١- راجع التهميش في الصفحات ٢٤٧-٢٨٩ من هذا الكتاب.

٢- (بقول مطلق) متعلق بالمقيد لا القيد.

٣- سورة فاطر: ٦.

٤- سورة ص: ٨٢.

٥- سورة الحجر: ٣٩.

وأما أن هذا النداء الباطني الداعي لأمر ما، هل هو من هتاف الشيطان أو لا، فيعرف بملاحظة موافقته للأهواء والشهوات، ومخالفته للكتاب والسنة والعقل.
إطفاء أنوار الدين الجلي

إطفاء نور الدين

مسألة: يحرم إطفاء أنوار الدين، فإن الدين له نور يهتدي الإنسان بسببه إلى المقاصد الصحيحة، وذلك من تشبيه المعنويات بالماديات.

أو يقال: هو حقيقة، فإن النور له مصداقان: نور في الماديات لعالم الأجساد، ونور في المعنويات لعالم الأرواح، فإن النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، والدين ظاهر بنفسه - لكونه فطرياً منكشفاً للعقول والأرواح دون واسطة (١) - ومظهر لغيره كما هو واضح، فإذا أطفئ ذلك النور أدى إلى ظلام دامس يخيم على الناس، ويسبب عدم وصولهم إلى الهدف من الخلقة، قال عزوجل: ((وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)) (٢). وعن أبي الحسن الثاني (عليه السلام) قال: «لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهد الناس على إطفاء نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره بأمر المؤمنين (عليه السلام)» (٣). وقال تعالى: ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)) (٤). وقال سبحانه في آية أخرى: ((يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)) (٥).

الدين جلي واضح

مسألة: يستحب بيان أن هذا الدين هو الجلي الواضح المشرق كالشمس في رابعة النهار، فإن الدين ببراهينه الساطعة وأدلته القويمة شيء جلي واضح لا خفاء فيه، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك وعن آياته بـ (المبين) أي الواضح الجلي.

قال تعالى: ((تلك آيات الكتاب المبين)) (٦). وقال سبحانه: ((إنما على رسولنا البلاغ المبين)) (٧). وقال عزوجل: ((فتوكل على الله إنك على الحق المبين)) (٨).

١- قال تعالى: ((فطرة الله التي فطر الناس عليها)) سورة الروم: ٣٠.

٢- سورة الذاريات: ٥٦.

٣- تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٧٢ ح ٧٥، سورة الأنعام.

٤- سورة التوبة: ٣٢.

٥- سورة الصف: ٨.

٦- سورة يوسف: ١.

٧- سورة المائدة: ٩٢.

وعن ابن عباس عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أنا والله الإمام المبين» (٢) أبين الحق من الباطل، وورثته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (٣).
وأما احتياج الدين في بعض مسائله رغم كونه جلياً إلى البيان، فذلك من باب (ويثيرون لهم دفائن العقول) (٤) فالخلل في القابل لا الفاعل، مضافاً إلى أنه قد يقال بأن الجلي الواضح من الكلي المشكك، فتأمل.

هل للدين أنوار؟

مسألة: الدين واحد إلا أن له أنواراً واشراقات وتجليات متعددة، ولذلك عبرت (صلوات الله عليها) بـ (أنوار الدين) جمعاً.

فإن للدين أنواراً يهتدي الإنسان بسبب تلك الأنوار إلى طرق المعاش والمعاد والاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها، فالتعدد بلحاظ المتعلق (والمرشد إليه) أو بلحاظ الأفراد - كل فرد فرد - أو بلحاظ المراتب أو بلحاظ أن للصلاة نوراً وللصوم نوراً وللحج نوراً وهكذا، وكلها يجمعها جامع الدين، ولا مانعة جمع هاهنا بين الأربعة. ولنا أن نقول: المستفاد من قولها (صلوات الله عليها): (أنوار الدين الجلي) - حيث عبرت بأنوار الدين وليس بـ: (نور الدين) - أن هنالك أنواراً تضيء الطريق وتقتشع الظلمات وهذه الأنوار تتجسد في كلمات وأشخاص وأحداث وأعمال،

فالكلمات: كالقرآن الكريم وأقوال الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) وآله المنتجبين (عليهم السلام). والأشخاص: كالمعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وحوارييهم والعلماء على مدى العصور. والأحداث: كحادثة الغدير (٥) والمباهلة (٦) والمؤاخاة (٧) ورد الشمس (٨). والأعمال: كصلاة الليل، والتوجه لزيارة مرقد الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) وأولياء الله الصالحين، والبكاء والطم والتطبير على سيد شهداء أهل الجنة (عليه السلام). وقد حاول الأعداء طمس كل هذه الأنوار:

فالقرآن: عبر تحريف أسباب النزول والتأويل المناقض لحقائق التنزيل. وكلمات المعصومين (عليهم السلام): عبر إحراقها أو تمزيقها أو إلقائها في الأنهار حيث قالوا: (حسبنا كتاب الله) (٩)، أو التصرف فيها

١- سورة النمل: ٧٩.

٢- إشارة إلى قوله تعالى: ((وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)) سورة يس: ١٢.

٣- تفسير القمي: ج ٢ ص ٢١٢ سورة يس.

٤- نهج البلاغة: الخطبة ١.

٥- راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢ المجلس ١ ح ٢ وللتفصيل راجع (الغدير) للعلامة الأميني (رحمه الله).

٦- راجع تفسير العياشي: ج ١ ص ١٧٧ سورة آل عمران ح ٥٨.

٧- راجع كشف الغمة: ج ١ ص ٣٢٦ - ٣٢٩.

٨- راجع المناقب: ج ٢ ص ٣١٨ فصل في طاعة الجمادات له. وكشف الغمة: ج ١ ص ٢٨٢.

٩- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٥٥، وج ٦ ص ٥١، ونهج الحق: ص ٢٧٣ المطلب الثاني

زيادة أو نقصاناً، أو تغييرها تأويلاً وتحويلاً.

والأشخاص: عبر قتلهم وتشريدهم وسجنهم ومحاصرتهم وتشويه سمعتهم وتلفيق التهم ضدهم كما قال: «ما منا إلا مقتول أو مسموم» (١). والأحداث: عبر إسدال ستار التجاهل عليها وطمرها أو التشويش عليها. والأعمال: عبر صرف الناس عنها تارة باسم أنها بدعة، وأخرى باسم الأهم والمهم، وثالثة بعنوان أنها مضیعة للوقت، ورابعة عبر توفير البدائل الأخرى. وبعض هذه الأنوار وإن كان مستحباً في نفسه إلا أن محاولة إطفائه كلياً والقضاء عليه كظاهرة، يعد محرماً، وأحياءه بهذا اللحاظ يعد واجباً كما لا يخفى.

وإهمال (٢) سنن النبي الصفي (صلى الله عليه وآله)

إلغاء سننه (صلى الله عليه وآله) محرم

مسألة: سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) بين واجبة ومستحبة، والواجبة يحرم تركها، أما المستحبة فتركها غير محرم بما هو ترك، لكن لو انطبق عليه عنوان (الإهمال) المذكور في كلامها (عليها السلام) فربما أمكن القول بالحرمة أيضاً. وأما (إهماد) سننه (كما في نسخة أخرى) فحتى إهماد المستحب منها محرم، كمن يعتمد لا لمجرد ترك صلاة الليل بل يحاول طمسها وامحائها وإهمادها، والإهماد هو إطفاء النار والنور كلياً. وكما أن تعليق الحكمة على الوصف مشعر بالعلية، كذلك إثبات الحكم - أو ما يشبهه - لموضوع متصف بوصف موح بالمدخلية، فإهمال أو إهماد السنن، مذموم لأنها سنن (النبي) وهو المنبئ من الله، و (الصفي) وهو من اصطفاه الله تعالى فإذا كان الشخص مصطفى لله - وبلحاظ الإطلاق الأحوالي والازماني - كانت سننه مصطفىة لله دون شك أو ريب، وكان إهمالها أو إهمادها إهمالاً لسنة الله وانتهاكاً لحريم الخالق جل وعلا. قال تعالى: ((ولن تجد لسنة الله تبديلاً)) (٣).

وقال سبحانه: ((ولن تجد لسنة الله تحويلاً)) (٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب: المغير لكتاب الله، والمكذب بقدر

في المطاعن التي نقلها السنة عن عمر بن الخطاب.

١- بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢١٦ ب ٩ ح ١٨.

٢- وفي بعض النسخ: (واهماد) ويكون بمعنى الإطفاء بالكلية.

٣- سورة الأحزاب: ٦٢.

٤- سورة فاطر: ٤٣.

الله، والمبديل سنة رسول الله والمستحل من عترتي ما حرم الله..» (١) الحديث.

ولا يخفى أن التبديل نوع من الإهمال أو الإهماد كما هو واضح.

وعن زرارة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام، فقال: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره، وقال: قال علي (عليه السلام): ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سنة» (٢).

وعن أبي جعفر (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله (صلى الله عليه وآله) وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً» (٣).

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداه: (عليه السلام) وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة والبراءة من أعدائهم واجبة ومن الذين ظلموا آل محمد وهتكوا حجابهم فأخذوا من فاطمة (عليها السلام) فذك ومنعوها ميراثها وغصبوها وزوجها حقوقهما وهموا بإحراق بيتها وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)» (٤).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي (عليه السلام) قال: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف سنة رسول الله فاتركوه» (٥).

ومن هنا أيضاً يعلم عدم صحة قولهم (حسبنا كتاب الله) (٦) فإن سنته (صلى الله عليه وآله) المتمثلة به (صلى الله عليه وآله) وبأهل بيته (عليهم السلام) لا يجوز إهمالها أو إهمادها كما سبق.

إلغاء السنن يوجب الفسق

مسألة: يلزم الاعتقاد بأن من أهد سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأطفأها أو أهملها في الجملة، ظالم فاسق، وبأن من فعل ذلك لا يمكن أن ينال الخلافة، فانه: ((لا ينال عهدي الظالمين)) (٧).

قولها (صلوات الله عليها): (وإهماد سنن النبي الصفي)، الإهماد بمعنى: الإطفاء فانه إذا أطفأت النار يقال: أهدمها، وهم قد أطفئوا سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخلافة، وإنما عبرت (صلوات الله وسلامه عليها) بالسنن لأن في إطفاء خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إطفاء لغير واحد من سنته (صلى الله عليه وآله) لأن الخلافة جماع الخير والشر، وهي المحور والمنطلق، ومنها انحرفت تبدأ بالفتنة واليه تعود

١- الخصال: ص ٣٥٠، لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبعة ح ٢٥.

٢- الكافي: ج ١ ص ٥٨ ح ١٩.

٣- الكافي: ج ١ ص ٥٩ ح ٢.

٤- الخصال: ص ٦٠٧ خصال من شرائع الدين.

٥- مشكاة الأنوار: ص ١٥٢.

٦- بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٢ ب ١ ح ٢١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٥٥ ب ٢٦.

٧- سورة البقرة: ١٢٤.

الخطيئة.

تشربون حسواً في ارتغاء

وربما يكون المقصود ما هو الظاهر من إلغائهم مجموعة من سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) وإهمادها من غصب الخلافة، وغصب فذك، ومنع الارث، وغير ذلك.

تشربون (١) حسواً في ارتغاء

هل المكر محرم؟

مسألة: هل الذين يشربون حسواً في ارتغاء، يرتكبون إثمين: إثم الغصب وإثم المكر والمخادعة، أم إثماً واحداً؟

ربما يقال: بأن ما يستفاد من لحن الآيات والروايات مذمومية المكر في حد ذاته:

قال تعالى: ((ومكروا ومكر الله)) (٢).

وقال سبحانه: ((يخادعون الله)) (٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أكر الناس» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ليس منا من مكر مسلماً» (٥).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر» (٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة مانلاً شذقه حتى يدخل النار» (٧).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ألا أن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة، ألا وأن الغدر والفجور والخيانة في النار» (٨).

وربما يستفاد ذلك أيضاً من روايات (التدليس) (٩) وغيرها.

١- وفي بعض النسخ: (تسرون).

٢- سورة آل عمران: ٥٤.

٣- سورة البقرة: ٩، وسورة النساء: ١٤٢.

٤- الكافي: ج ٢ ص ٣٣٦ ح ١.

٥- الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ ح ٣.

٦- الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ ح ٤.

٧- الكافي: ج ٢ ص ٣٣٧ ح ٥.

٨- الكافي: ج ٢ ص ٣٣٨ ح ٦.

٩- راجع موسوعة الفقه: ج ٩٣ كتاب (المحرمات).

وكذا من إدراك العقل لقبحه أو حكمه به، لكن قد يقال بطريقيته والذم من باب مقدميته ولا تلازم بين القبح الذاتي - على تقديره - وبين الحرمة.

قولها (صلى الله عليه وآله) - على بعض النسخ -: (تسرون حسواً في إرتغاء).
الإسراء: ضد الإعلان.

والحسو، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين بمعنى: شرب المايح شيئاً بعد شيء.
والإرتغاء: شرب الرغوة وهو الزبد على اللبن، وهذا من أمثال العرب، يقال ذلك لمن: يظهر أمراً ويريد غيره، فكأنه يظهر أنه يريد تذوق الزبد حتى يرى

صلاحه وفساده، لكنه يريد أن يشرب من خلال هذا التذوق اللبن جرعة بعد جرعة.
والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تقصد من هذا المثل أن الغاصبين أسرعوا إلى السقيفة وهم يدعون أن ذلك لأجل الوقوف أمام الفتنة، لكنهم أرادوا غير ذلك وهو غصب الخلافة من أهلها، وكذلك ادّعوا أن غصبهم فذلك كان لأجل المصلحة العامة! والحال أنه كان لأجل تجريد ذوي الحق من العامل الاقتصادي والمقدرة المالية، وهم بذلك كانوا ممن تسلح بالغاية لتبرير الوسيلة، مع أنه تعالى قال: ((إنما يتقبل الله من المتقين)) (١) ومع أن الغاية في حد ذاتها كانت خادعة مضللة كاذبة.

حسن الحذر والاحتياط

مسألة: ينبغي توخي الحذر والاحتياط في التعامل مع الشؤون الخطيرة، خاصة إذا فسد الزمان حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: (إذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر) (٢).

وفي كل الصور فإن المحتمل إذا كان خطيراً وإن كان الاحتمال ضعيفاً يلزم الفحص والاحتياط، ولو عمل بهذه القاعدة الهامة، عامة الناس الذين ساهموا في تكريس سلطة (الذين شربوا حسواً في إرتغاء) - مع قطع النظر عن تمامية الحجة

وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء

عليهم وإبلاغ الرسول (صلى الله عليه وآله) لهم بمحض الحق - لما حدثت المآسي التي حدثت من صدر التاريخ بتموجاتها حتى يومنا هذا.

ومن ذلك يعرف أنه يلزم الفحص والاحتياط عند سماع ما يدعيه أدياء السلام أو المحبة والوفا، دولا كانوا أم أحزاباً أم شخصيات.

فالفحص في الشبهة الموضوعية في أمثال تلك الصور لازم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الأصول والفقه.

١- سورة المائدة: ٢٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٩٧ ب ٦٢ ح ١٨ عن نهج البلاغة.

وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء

حرمة إرادة الشر بهم (عليهم السلام)

مسألة: يحرم إرادة الشر بأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والإعانة عليهم. وقد وردت روايات في حرمة الإعانة على المؤمن فكيف بهم (صلوات الله عليهم أجمعين) وهم أساس الإيمان.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزوجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي» (١).

وفي حديث آخر عنه (عليه السلام): «من أعان على مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة وبين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله» (٢).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة» (٤). هذا وقد كان الغاصبون للخلافة يدعون أنهم يريدون بذلك الإصلاح، بجمع كلمة المسلمين، ودفع الفتنة، وهذا النوع من الناس كثير في المجتمع، إذ الذين يسعون إلى تحقيق أهدافهم الشخصية تحت غطاء إصلاحي كثيرون، كما قال فرعون: ((إني أخاف أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)) (٥) وإنما كان هدفه في الواقع: محاولة تكريس سلطته وإرادة بقاء ملكه وذلك مصداق «يلبسون الحق بالباطل»، قال تعالى: ((ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)) (٦)، وقال سبحانه: ((يا أهل الكتاب لم تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) (٧).

وهكذا حال كثير من الظالمين على طول التاريخ، قال عزوجل: ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) (٨) وقال تعالى: ((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)) (٩) إلى غير ذلك من الشواهد والأمثال.

١- الكافي: ج ٢ ص ٣٦٨ ح ٣.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٩٤ ب ٢ ح ٥١٥٧.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٦٠٠ ح ٤.

٤- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣ ب ١ ح ٤.

٥- سورة غافر: ٢٦.

٦- سورة البقرة: ٤٢.

٧- سورة آل عمران: ٧١.

٨- سورة البقرة: ١٤٦، وسورة الأنعام: ٢٠.

٩- سورة البقرة: ٨٩.

قولها (عليها السلام): (وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء).
 الخمر: على وزن فرس، يقال: توارى الصيد في خمر الوادي أو خمر الغابة، ومنه قولهم: دخل فلان في خمار الناس أي ما يواريه ويستتره منه، وأصله من الخمر فإن معنى الخمر هو الستر، يقال للمسكر: الخمر، لأنه يستتر العقل.

والضراء: على وزن براء، الشجر الملتف في الوادي ونحوه، يقال لمن خذل صاحبه وخادعه: يدب له الضراء ويمشي له الخمر، والمراد: انهم يمشون في اغتصاب الخلافة وفدك مثل المشي في الخمر والضراء، لأنهم يخفون مقاصدهم الواقعية ويظهرون شيئاً آخر وذلك لخداع الناس.

من هم الأهل

مسألة: يستفاد من قولها (وتمشون لأهله وولده) المقصود من أهل بيته (صلى الله عليه وآله) وربما يستفاد تعيين وتوضيح المراد من قوله تعالى: ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)) (١) وأنهم: فاطمة وبعثها وبنوها (عليهم السلام) وليست الآية شاملة للأزواج، فإن السعي المضاد في الخمرة والضراء كان خاصاً بهم (عليهم السلام) دون الأزواج أو العباس (عليه السلام) أو من أشبهه، وذلك حسب المتفاهم العرفي وتفسير بعض كلامهم ببعض الآخر، فلا يرد أن وجود قرينة على تعيين المراد في مورد - حالية كانت أم مقالية - لا يقتضي إرادة ذلك المعنى منه في مورد آخر، إضافة إلى أن القرائن على انحصار المقصود من ((أهل البيت)) في الآية المباركة على هؤلاء الأطهار (عليهم السلام) قطعية (٢).

قال إسماعيل بن عبد الخالق: «سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول وأنا اسمع: (عليه السلام) ما يقول أهل البصرة في هذه الآية ((قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) (٣)؟ قلت: جعلت فداك انهم يقولون إنها لأقارب رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال (عليه السلام): كذبوا، إنما نزلت فينا خاصة، في أهل البيت، في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (عليهم السلام)» (٤).

الأسباط أبناء

مسألة: كلامها (عليها السلام) هاهنا، دليل آخر على كون الأسباط أبناء، وإن الحسن والحسين (عليهما السلام) أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

١- سورة الأحزاب: ٣٣.

٢- فليراجع (الغدير) للعلامة الأميني و (المراجعات) للسيد شرف الدين و (احقاق الحق) وغيرها.

٣- سورة الشورى: ٢٣.

٤- الكافي: ج ٨ ص ٩٣ ح ٦٦.

ولا وجه بعد تصريح الآيات والروايات - ومنها تصريحها (عليها السلام) هاهنا - لما قال الشاعر:
بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا***بنوهن أبناء الرجال الأبعاد
هذا مع قطع النظر عن كون كلام الشاعر لا حجية له في حد ذاته، ومع قطع النظر عن عدم وضوح دلالاته
على المدعى.

ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا

قال تعالى في آية المباهلة: ((وأبناءنا وأبناءكم)) (١).
وقال (صلى الله عليه وآله): «ان ابني هذين - الحسن والحسين (عليهما السلام) - ريحانتي من الدنيا» (٢).
وقال (صلى الله عليه وآله) مشيراً للحسن (عليه السلام): «ان ابني هذا سيد» (٣).
وقال (صلى الله عليه وآله): «ان الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي مع فاطمة
ابنتي» (٤).

ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا

وجوب الصبر في الجملة

مسألة: الصبر على الطاعة الواجبة واجب، وهكذا عن المعصية، وعلى المصائب مستحب، وربما وجب،
وعلى حسب شدة مرارته يكون الأجر، وعلى حسب درجات ما يصبر عليه أيضاً.
وصبرها (عليها السلام) وبعثها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) المشار إليه في كلامها هاهنا كان صبراً
على الطاعة، إذ سكوتهم (عليهم السلام) بالمقدار الذي عملوه كان تكليفاً، حفاظاً على الإسلام والمسلمين،
وهكذا صبرهم على المصيبة وما أقساها من مصيبة بل ما أمضاها من مصائب ورزايا.
قال الإمام الصادق (عليه السلام): «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله» (٥).
وقال (عليه السلام): «الصبر رأس الإيمان» (٦).
وقال (عليه السلام): «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من البدن» (٧).
وقال (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»

١- سورة آل عمران: ٦١.

٢- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٧٥ ب ١٢ ح ٤٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٩٨ ب ١٢ ح ٦٢.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٤٤ ب ٧ ح ٩٨.

٥- الكافي: ج ٢ ص ٦٠ ح ١.

٦- الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٢.

٧- الكافي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٢.

(١) الحديث.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «عود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر» (٢).

وقال (عليه السلام): «اعلم ان النصر مع الصبر» (٣).

إحياء ظلامه الزهراء (عليها السلام)

مسألة: يجب إحياء ظلامه السيدة الزهراء (عليها السلام) حتى تكون على مر الأيام غضة طرية لا يعفي عليها الزمن كمصيبة سيد الشهداء (عليه السلام).

وقد اخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بظلامتها قبل أن تقع، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملأكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها

وويل لمن آذى خليلها وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم اني منهم بريء وهم مني براء، ثم سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضم فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله) لابنته (عليها السلام): «وأنت تظلمين وعن حقاك تدفعين وأنت أول أهل بيتي لحوقاً بي» (٥).

وقد قال جبرئيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): «أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً بك بعد أن تظلم ويؤخذ حقها وتمنع ارثها ويظلم بعلمها ويكسر ضلعها» الحديث (٦).

وفي الحديث الشريف عن ابن عباس، قال:

إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن (عليه السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يذنيه حتى أجلسه على فخذه الأيمن.

ثم أقبل الحسين (عليه السلام) فلما رآه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكى، ثم قال: إليّ يا بني، فما زال يذنيه حتى أجلسه على فخذه اليسرى.

ثم أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: إليّ يا بنية، فأجلسها بين يديه.

ثم أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رآه بكى (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم قال: إليّ يا أخي، فما زال يذنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.

١- الكافي: ج ٢ ص ٩١ ح ١٥.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٦ ب ٢ ح ٥٨٣٤.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤١٢ ب ٢ ح ٥٩٠٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٨٥ ب ١ ح ٣١.

٥- بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٦٤ ب ١ ح ٨٥.

٦- بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٤٤ ب ٥ ح ٨٤.

فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء الا بكيت، أو ما تسرّ برويته؟
فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، اني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزوجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم.

أما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فانه أخي وشقيقي، وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لواني في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل نقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي، في حياتي وبعد موتي، محبه محبي ومبغضه مبغضتي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة منها ملعونة، واني بكيت حين أقبل لأنني ذكرت غدر الأمة به حتى انه ليُزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته.

وأما ابنتي فاطمة: فانها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله ظهر نورها لملائكة السماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزوجل لملائكته: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي انظروا الى أمتي فاطمة سيدة نساء إمامي، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبيها على عبادتي، اشهدكم اني قد آمنت شيعتها من النار.

واني لما رأيتهما ذكرت ما يصنع بها بعدي، كاني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغضب حقها، ومنعت ارثها، وكسر جنبها، واسقطت

جنبينها وهي تنادي يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقني أخرى، وتستوحش اذا جنبها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد ان كانت في أيام أبيها عزيزة (عليه السلام)
فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلل من أذلها، وخلد في ناركَ من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.. الحديث (١).

لا يقال: ذلك تاريخ قد انقضى.

لأنه يقال: التاريخ هو الذي يصنع المستقبل، والحاضر تاريخ المستقبل، ومن لا تاريخ له لا جذور له، ولذلك ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم قصة هابيل وقابيل (٢)، وغيرها من القصص.

قال سبحانه: ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)) (٣).

ولذلك كله سجلت (عليها السلام) ظلامتها بقولها: (ونصبر منكم على مثل خز المدى ووخز السنان في الحشا).

ولذلك كان (نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح وهمه لأمرنا عبادة) (١).

١- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١١٢ المجلس ٢٤ الحديث ٢.

٢- سورة المائدة: ٢٧، قال تعالى: ((واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين)).

٣- سورة يوسف: ١١١.

ولذلك ورد: (من أبكى أو بكى أو تباكى وجبت له الجنة)(٢).
 وإذا كان من فلسفة الآخرة الاقتصاص من الظالم مع ان ظلمه تاريخ، والثواب على الطاعة والطاعة تاريخ،
 كما لا يخفى.
 وإذا كان (فرعون) آية لمن استكبر وطغى - بنص الكتاب(٣) - خلدها الباري عز وجل في كتابه كرمز لقوى الشر.

وإذا كانت قصصهم عبرة لأولي الألباب(٤).
 وإذا جعل الله عز وجل نبيه عيسى (عليه السلام) آية للناس(٥).
 وإذا أنجى الله سبحانه نوحاً (عليه السلام) وأصحاب السفينة وجعلها آية للعالمين(٦).
 وإذا ترك سفينته لتكون آية للمدكرين(٧).
 وإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) يطلب من رب الأرباب ((واجعل لي لسان صدق في الآخرين)) (٨)
 (حتى يتحدث عنه - بكل خير - وهو في دائرة الماضي، وقد
 قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه»(٩).
 وإذا كان العقلاء على مر الأزمان يعتنون بتاريخهم بشتى الصور..
 وإذا كانت كتب التاريخ تملأ المكتبات في كل الحضارات
 وإذا.. وإذا..

فالدعوة إلى إلغاء التاريخ، تعد عند العقلاء سفاهة وجهلاً ان لم تعد مخططاً خبيثاً لقطع الأمة عن جذورها
 ليسهل للمستعمر ابتلاعها و (عليه السلام)
 وإذا كان كل ذلك كذلك، فلماذا نسمع همسات من هنا وأصوات من هناك تنادي بطمس أهم ملامح التاريخ
 وأهم منعطف تاريخي وأهم محور في معادلة الصراع الكبرى بين قوى الجاهلية والإيمان، حيث تقول الآية
 القرآنية الشريفة: ((أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) (١٠)؟

- ١- الكافي: ج ٢ ص ٢٢٦ ح ١٦.
- ٢- راجع بحار الأنوار: ج ٤ ص ٢٨٨ ب ٣٤ ح ٢٧، وفيه عنهم (عليهم السلام): «من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة».
- ٣- قال تعالى: ((فاليوم ننجيكَ ببدنك لتكون لمن خلفك آية)) (سورة يونس: ٩٢).
- ٤- إشارة إلى قوله تعالى: ((لقد كانت في قصصهم عبرة لأولي الألباب)) (سورة يوسف: ١١١).
- ٥- إشارة إلى قوله سبحانه: ((قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس)) (سورة مريم: ٢١).
- ٦- إشارة إلى قوله تعالى: ((فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)) (سورة العنكبوت: ١٥).
- ٧- إشارة إلى قوله سبحانه: ((ولقد تركناها آية فهل من مدكر)) (سورة القمر: ١٥).
- ٨- سورة الشعراء: ٨٤.
- ٩- سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١ مادة (ورخ) ط القديمة.
- ١٠- سورة آل عمران: ١٤٤.

مما يستحب للمظلوم

مسألة: يستحب للمظلوم التحدث عن (صبره) والجهر بصموده كما ذكرت فاطمة الزهراء (عليها السلام) ذلك، فانه بيان للحق بهذا الأسلوب، بالإضافة إلى انه يكون بذلك أسوة وقدوة لسائر الناس، قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا) (١).
فان الإنسان الذي يعترض العظم حلقه لا يتمكن من الأكل ولا من الشرب ولا حتى من النوم ولا مزاوله أعماله اليومية، براحة أو بشكل طبيعي.
وكذلك الإنسان الذي في عينه قذى، لا يتمكن من فتح عينه ولا من إغماضها، فهو في ألم مستمر وفي أذى متواصل، وكلامه (عليه السلام) اشارة لعظيم ما تجرعه من الظلم.
وقال (عليه السلام): «فأغضيت على القذى وتجرت ريقي على الشجي وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وعالم للقلب من حز الشفار» (٢).
وقال (عليه السلام): «ان الله عزوجل امتحنني بعد وفاة نبيه (صلى الله عليه وآله) في سبعة مواطن فوجدني فيهن من غير تركية لنفسي بمته ونعمته صبوراً...» (٣).

المظلوم والرأي العام

مسألة: يستحب للمظلوم أن يشرح ما جرى عليه من الظلم، وما تركه الظلم عليه من آثار جسدية أو نفسية، شخصية أو نوعية، فان ذلك يوجب التنفر من الظالم، بالإضافة إلى انه يدفع الناس للاقتداء بصبره واستقامته - كما سبق -، وبذلك يكون له أجران، أجر التنفير من الظالم وأجر الأسوة، فيكون داخلاً في ملاك (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها) (٤).
وبذلك يعرف ان ما يقوم به المظلومون من عرض ما صار بهم، كأثار مظلوميتهم - كأثر التعذيب في سجون الطغاة وغيره - على منظمات حقوق الإنسان وعلى الملأ العام وعبر الوسائل الإعلامية، هو مما يؤجر عليه الإنسان لأنه من طرق النهي عن المنكر، وقد يكون ذلك نوعاً من التآسي بالسيدة الزهراء وسائر أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام).
وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «ما من مؤمن يعين مظلوماً إلا كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام» (٥).

١- نهج البلاغة: الخطبة ٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٥٦٩ ب ٣٠ ح ٧٢٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ١٧٢ ب ٦٢ ح ١.

٤- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٣٠ ب ١٥ ح ١٣٩٦٢.

٥- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٣٨٩ ب ٢٢ ح ١٤٣٧٣.

وقال (عليه السلام): «من قدر على أن يغير الظلم ثم لم يغيره فهو كفاعله، وكيف يهاب الظالم وقد أمن بين أظهركم لا ينهى ولا يغير عليه ولا يؤخذ على يديه» (١)، وما ذكرناه مما يوجب ردع الظالم كما لا يخفى.

صبر القائد

مسألة: الصبر - الواجب منه والمستحب - كسائر الحقائق التشكيكية له مراتب، وكما يجب الصبر على من هو في موقع القيادة، كما قالت (ونصبر منكم)، يجب على القاعدة والعامّة الصبر أيضاً، إلا أن الفرق في المراتب إذ الصبر في القائد أكد وأشد وأولى.

ثم ان صبرها (عليها الصلاة والسلام) كان واجباً - كما سبق - لأجل المحافظة على كلمة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إذ من الواضح أن الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه الصلاة والسلام) لو كان يجرد السيف في وجوه الغاصبين لكانت تضعف شوكة المسلمين ويستغل الفرس والروم الفرصة لشن هجوم كاسح على المسلمين، مضافاً إلى أنهم كانوا يشوهون موقف الإمام (عليه السلام).

لا يقال: بأن كلمة التوحيد كانت موجودة.

لأنه يقال: من الواضح أن المسيحيين يقولون بآلهة ثلاثة والمجوس يقولون بالهين اثنين، وكلاهما على خلاف كلمة التوحيد.

أسلوب مواجهة الطغاة

مسألة: كما يستفاد المصداق من الكلي (٢)، يمكن أن يستفاد الكلي من المصداق أحياناً (٣) وكلامها (صلوات الله عليها) هاهنا: (ونصبر منكم) وان كان ذكراً للمصداق إلا انه يستفاد منه الكلي في أشباه تلك المواطن. وذلك هو ما نذهب إليه في أمثال هذه الأزمنة حيث نلتزم بضرورة سلوك طريقة اللاعنّف والسلم في مواجهة الحكومات الجائرة.

وكما كان حمل السلاح بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ضد الذين انقلبوا عليه منهياً عنه لمخاطره الأكبر، كذلك نرى النهي عن حمل السلاح ضد الحكومات في هذا الزمن وضرورة الالتزام بالمواجهة السلمية، من إضرابات ومظاهرات ونحوها، فان ذلك أحمد عاقبة، وتجربة غاندي (٤) في الهند من شواهد ذلك، وتفصيل الحديث في محله (١).

١- مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ١٨٤ ب ١ ح ١٣٨٣٤ عن السيد المسيح (عليه السلام).

٢- أي كما يستفاد حكم المصداق من الكلي.

٣- وذلك بتنقيح المناط - عندما يكشف الجامع - ومن المصاديق ما عبر عنه المناطقة بالاستقراء المعلل.

٤- موهانداس كرامشاند (١٨٦٩-١٩٤٨م) فيلسوف ومجاهد هندي، يعتبر من دعاة السلام المشهورين في العالم، ولد في بور بندر، اشتهر بلقب (المهاتما) أي النفس السامية، دعا إلى تحرير الهند من الاستعمار البريطاني وذلك بالطرق السلمية والمقاومة السلبيّة بعيداً عن العنف، وكان قد تعلم كثيراً من أساليبه الناجحة

بيان مظلوميتهم

مسألة: يستحب - وقد يجب - بيان مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) للعالم، تأسيساً بهم (عليهم السلام) حيث ذكروا ذلك، مضافاً إلى أنه من إحياء أمرهم وفضح أعدائهم.

قولها (صلوات الله عليها): (ونصبر منكم على مثل حز المدى).

المدى: جمع مدية وهي السكين والشفرة ونحوهما، يعني: إن صبرنا ليس بالصبر الهين، وإن ما صدر (منكم) أمر فادح عظيم وظلم فاحش كبير، فصبرنا على ما صدر منكم تجاهنا كصبر الإنسان الذي يقطع بالمدية وهو صابر كاظم للغیظ.

وكلامها (عليها السلام) إشارة إلى عظم الخطب عليهم وشدته، والتمثيل في كلامها (عليها السلام) تمثيل للأقوى بالأضعف والأعلى بالادنى وهو من مصاديق البلاغة كما ذكر في محله (٢) إذ إن صبرهم (عليهم السلام) في مواجهة ذلك الظلم الفاحش كان أمر وأصعب وأقسى من صبر من يحز بالمدية كما وكيفاً (٣) كما لا يخفى.

من سياسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام)، أدت جهوده إلى استقلال الهند عام ١٩٤٧، اغتاله برهمني متعصب.

١- للتفصيل راجع (السبيل إلى إنهاض المسلمين)، و (الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرجاء والسلام) و (اللاعنف في الإسلام)، (إذا قام الإسلام في العراق) و (الفقه: النظافة) للإمام المؤلف (دام ظله).

٢- راجع (البلاغة) للإمام المؤلف (دام ظله).

٣- فإن الحز بالمدية عادة لحظات، والمصائب التي تواترت عليهم كانت شهوراً طويلة واستمرت لسنوات، ثم إن عمق الألم بالحز بالمدية لا تقارن بعمق الألم بإحدى تلك المصائب العظيمة، ك: (جر) ولي الله الأعظم في الكون وحجته الكبرى بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالحبال أو كما قال العلامة آية الله الشيخ الأصفهاني (رحمه الله) في قصيدة له:

أنضم النار بباب دارها*** وآية النور على منارها

وقال أيضاً:

لكن كسر الضلع ليس ينجبر*** إلا بصمصام عزيز مقتدر

إذ رض تلك الأضلع الزكية*** رزية لا مثلها رزية

ومن نبوع الدم من ثدييها*** يعرف عظم ما جرى عليها

وجاوزوا الحد بلطم الخد*** شلت يد الطغيان والتعدي

وقال أيضاً:

ولا تزيل حمرة العين سوى*** ببيض السيوف يوم ينشر اللوا

وللسياط رنة صداها*** في مسمع الدهر فما أشجأها

والأثر الباقي كمثل الدمج*** في عضد الزهراء أقوى الحجج

ومن سواد متنها اسود الفضا*** يا ساعد الله الإمام المرتضى

وهناك جهة أخرى أيضاً، فإن صبر العاجز أهون من صبر القادر، وصبر القادر على الرد والتحدي - وكانوا (عليهم السلام) كذلك - أصعب وأمر من صبر غيره، فإن القادر يصبر صبرين: صبراً على الألم، وصبراً على عدم الرد، وقل ونذر من يصبر وهو قادر على الرد (١).

الساكت على الظلم

مسألة: الساكت على الظلم شريك فيه - كما سبق - وذلك يستفاد من قولها: (منكم) (٢) فهم جميعاً في ظلم أهل البيت (عليهم السلام) شركاء.

وانتم الآن تزعمون ان لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟!

قولها (عليها السلام): (ووخز السنن في الحشى)، الحشى: داخل الإنسان، والوخز عبارة عن: الطعن. يعني: إننا نصبر على ما صدر منكم كصبر إنسان يطعن بالرمح أو الخنجر، ويغرز في داخله، فإن الأمر - كما ذكر - صعب جداً وهو بحاجة إلى درجة مثالية من الصبر حتى يتحملة. وانتم الآن تزعمون ان لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟!

ووكز نعل السيف في جنبها***أتى بكل ما أتى عليها
ولست أدري خبر المسمار***سل صدرها خزانة الأسرار
وفي جنين المجد ما يدمي الحشا***وهل لهم إخفاء أمر قد فشا
والباب والجدار والدماء***شهود صدق ما به خفاء
لقد جنى الجاني على جنبها***فاندكت الجبال من حنينها
أهكذا يصنع بابنة النبي***حرصاً على الملك فيا للعجب
أتمنع المكروبة المقروحة***عن البكا خوفاً عن الفضيحة
تالله ينبغي لها تبكي دما***مادامت الأرض ودارت السما
لفقد عزها أبيها السامي***ولا هتضامها وذل الحامي.

١- ولنتصور شخصاً يكيل لك الضربات بكل قوة وأنت قادر على الدفاع ببساطة ولكن تحجم عن الدفاع ويستمر هو في الضرب متجبراً...!

٢- نظراً للتعميم في (تصبر منكم) وعدم تخصيصه بالأقلية الذين باشروا الظلم.

تطويق الباطل

مسألة: من اللازم تطويق الباطل من جميع جوانبه ظاهراً وباطناً، صورة ومحتوى، بما يفنده ويبطله ويمحقه، كما صنعت (صلوات الله عليها) حيث قالت: (وأنتم الآن تزعمون) فلم تكتف بالاستدلال على المطلب بل أظرت دعوى الخصم بإطار (الزعم) الدال على كونه خلافاً للحقيقة.

وذلك أقوى في الرد وأبلغ في الحجة وادعى للنهي عن المنكر، ومن مصاديق ((بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)) (١).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الحق سيف على أهل الباطل» (٢).

وقال (عليه السلام): «لا يجتمع الحق والباطل» (٣).

وقال (عليه السلام): «ثلاث فيهن النجاة: لزوم الحق وتجنب الباطل وركوب الجد» (٤).

وقال (عليه السلام): «من ركب الباطل أهلكه مركبه» (٥).

وقال (عليه السلام): «نحن أقمنا عمود الحق وهزمتنا جيوش الباطل» (٦).

قولها (عليها السلام): (الآن) فيه إشارة إلى أن هذه الدعوى منهم كانت وليدة يومها ولم يقل أحد منهم بها زمن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكفى بهذه الكلمة رداً عليهم، وإلا فلماذا لم يطرحوا هذه القضية في حياته (صلى الله عليه وآله) وعند مرضه ليحضوا بتأكيده؟!.

متى يجوز النقل بالمضمون

مسألة: يجوز تضمين الحديث بآيات من الذكر الحكيم مع تغيير في الضمائر أو شبهها بما يناسب الخطاب شرط أن لا تكون بدعوى أن ذلك هو نص الكتاب أو في مقام يوهم ذلك، وهذا من مصاديق النقل بالمضمون كما صنعت (عليها السلام) حيث قالت: (أفحكم الجاهلية تبغون) (٧).

الحكم بفسقهم

مسألة: يستفاد من تضمينها (عليها السلام) هذه الآية في خطبتها، حكمها بفسقهم تبعاً للقرآن الكريم من

١- سورة الأنبياء: ١٨.

٢- غرر الحكم: ص ٦٨ ح ٩٢١.

٣- غرر الحكم: ص ٦٨ ح ٩٤١.

٤- غرر الحكم: ص ٦٩ ح ٩٧٣.

٥- غرر الحكم: ص ٧١ ح ١٠٣٣.

٦- غرر الحكم: ص ١٢٠ ح ٢٠٩٦.

٧- والآية هي ((أفحكم الجاهلية يبغون)) (سورة المائدة: ٥٠).

قيل، حيث قال تعالى: ((وان كثير من الناس لفسقون * أفحكم الجاهلية يبغون)) (١). كما يظهر استنادها (عليها السلام) للآية بعض صفاتهم الأخرى من إتباعهم الأهواء ومحاولتهم الفتنة وتوليهم وإعراضهم عن الحق، إذ قال تعالى: ((وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)) (٢). وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ((ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)) (٣) أي: «كفر بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهم العاصون لله ولرسوله» (٤). كما ورد في قوله تعالى: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) (٥) أن أبي قحافة أول من منع آل محمد (صلى الله عليه وآله) حقهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم وهكذا كان الذين جاءوا من بعده (٦).

أحكام الله لا تتبدل

مسألة: كما أن من مصاديق استدلالها (صلى الله عليه وآله) بالآية الشريفة: ((أفحكم الجاهلية يبغون)) (٧) الرد على دعوى أن لا ارث لأبناء الأنبياء، كذلك من مصاديق الآية الشريفة (٨) دعوى التساوي في الإرث بين الرجال والنساء هذا الزمن بدعوى أن الزمن قد تغير وان المرأة أضحت هي التي تعيل وما أشبه ذلك من أنماط التعليل، ولعل في قولها (عليها السلام) (الآن) إشارة إلى هذا الجانب من الدعاوى التي تحكم بتغيير أحكام الله متعلقة بأن الزمن قد تغير وان (الآن) غير (ما كان). قال تعالى: ((لا تبدل لكلمات الله)) (٩). قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدور وان حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة» (١٠).

١- سورة المائدة: ٤٩، ٥٠.

٢- سورة المائدة: ٤٩ - ٥٠.

٣- سورة النور: ٥٥.

٤- راجع المناقب: ج ٣ ص ٦٣.

٥- سورة المائدة: ٤٧.

٦- راجع تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٢٥ ح ١٣٠ سورة المائدة.

٧- سورة المائدة: ٥٠.

٨- أي الحكم بالجاهلية.

٩- سورة يونس: ٦٤.

١٠- بصائر الدرجات: ص ١٤٨.

لا يجوز القول بعدم إرثها (عليها السلام)

مسألة: يحرم القول بان لا ارث لها (عليها السلام) فانه من مصاديق (قال الله وأقول)، وحكم بغير ما أنزل الله، وتكذيب لآل الله. وكذلك يحرم القول بكل ما يخالف الإسلام أصولاً وفروعاً، مع اختلاف درجات الحرمة قوة وضعفاً، بلحاظ المتعلق والمنسوب إليه والملابسات وما أشبه.

ابتغاء حكم الجاهلية

مسألة: يحرم (ابتغاء حكم الجاهلية) بصورة عامة، والتحريم في خصوص حكمها (عليها السلام) في الإرث نظراً لانتهاك عناوين أخرى محرمة عليه (١) أشد.

وابتغاء حكم الجاهلية له ثلاثة مصاديق:

١: العمل وفق حكم الجاهلية.

٢: القول بحكم الجاهلية.

٣: الاعتقاد بحكم الجاهلية فيما يضر فيه الاعتقاد على خلاف الحق.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك» وذلك في قصة خالد حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» (٢). وفي حديث سنن الإمام الصادق (عليه السلام): «أفيعتد بشيء من أمر الجاهلية؟ فقال (عليه السلام): إن أهل الجاهلية ضيعوا كل شيء من دون إبراهيم (عليه السلام) إلا الختان والتزويج والحج فانهم تمسكوا بها ولم يضيعوها» (٣).

قال تعالى: ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)) (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «ألا وكل ماثرة أو بدعة كانت في الجاهلية أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى» (٥).

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا أيها الناس إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، إن العرب ليست بأب ووالدة، وإنما هو لسان ناطق فمن تكلم به فهو عربي، ألا أنكم من آدم وآدم من تراب وأكرمكم

١- ككونه تكذيباً لسيدة النساء (عليها السلام)، وإيذاء لفاطمة الزهراء (عليها السلام)، وتضييقاً على آل البيت (عليهم السلام) بحرمانهم من مصدر اقتصادي كبير كان يصب على أيديهم لصالح الدين والفقراء وغير ذلك.

٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٧٣ المجلس ٣٢ ح ٧.

٣- علل الشرائع: ص ١٤٤.

٤- سورة الأحزاب: ٣٣.

٥- تفسير القمي: ج ١ ص ١٧١ سورة المائدة.

عند الله أتقاكم» (١).

ثم إن حكم الجاهلية أعم من الحكم الذي كان موجوداً في الجاهلية وخالف الإسلام، وما لم يكن بحكم الإسلام وإن لم يكن حكماً موجوداً في الجاهلية، ومن مصاديقه أنواع البدع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» (٣).

هذا وقد ابتدعوا صلاة التراويح وقال فيها: «بدعة ونعمة البدعة» (٤).

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيها الناس إن النافلة بالليل في رمضان جماعة بدعة... فان قليلاً من سنة خير من كثير في بدعة، ألا أن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار» (٥).

لا أحد أحسن من الله حكماً

مسألة: ينبغي بيان أنه ليس أحد أحسن من الله تعالى حكماً، فإنه العالم بجميع خصوصيات الإنسان وغيره.

(أحسن) وإن كان من باب أفعّل التفضيل إلا أن المراد به هنا المصدر وهو (الحسن)، إذ من الواضح أن حكم غير الله لا حسن فيه حتى يقابله حكم الله الأحسن، بل حكم الله - الذي تجلّى في الإسلام - هو الحسن بلا منازع.

وذلك مثل ((أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى)) (٦) ومثل ((أذلك خير نزلاً)) (٧) وأمثالهما من الآيات والروايات والتعابير البلاغية.

إن قلت: حكم العقل أيضاً حسن (٨).

قلت: حكم العقل شعبة من شعب حكم الله، إذ العقل حجة الله الباطنية كما أن الأنبياء (عليهم السلام) حجة الله الظاهرة (٩)، ولذا قيل: العقل نبي من باطن والنبي عقل من خارج، وورد أن أول ما خلق الله العقل وقال له: بك أثيب وبك أعاقب (١٠) هذا لو قيل بأن للعقل حكماً، وإلا فعلى القول بأنه مدرك لا غير فالإشكال منتفٍ موضوعاً.

١- تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٢٢ سورة الحجرات.

٢- علل الشرائع: ص ٤٩٢.

٣- كشف الغمة: ج ٢ ص ١٣٤.

٤- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٢ ص ٢٥٨ ب ٢٢٣.

٥- الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٢٦.

٦- سورة القيامة: ٣٤ - ٣٥.

٧- سورة الصافات: ٦٢.

٨- كحكمه بقبح الظلم وحسن العدل والإحسان و...

٩- قال الإمام الصادق (عليه السلام): «يا هشام إن الله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء (عليهم السلام) وأما الباطنة فالعقول» (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ٢ ص ٢٥، وتحف العقول: ص ٣٨٣).

١٠- مستطرفات السرائر: ص ٦٢١.

وليس المراد من القوم الجماعة فحسب، بل هو تعبير بلاغي يشمل كل فرد فرد أيضاً، كما انه ليس المراد به خصوص الرجال بل يشمل النساء أيضاً.

لا حسن في غير حكم الله

مسألة: يحرم القول، بان غير حكم الله حسن استناداً إلى أدلة استحسانية يؤدي إليها العقل القاصر، كالقول بان الشطرنج رياضة فكرية، وان الغناء محفز نفساني، وان الرقص رياضة جسمانية، وهكذا وهلم جرا. والمفاضلة بين حكمه تعالى وحكم غيره لاستنتاج أن حكم الغير حسن وحكمه أحسن أيضاً فيه إشكال. وقولها (عليها الصلاة والسلام): (وانتم تزعمون ان لا ارث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون).

فان عدم إرث البنات من الآباء كان حكماً جاهلياً (١)، والله سبحانه وتعالى نسف ذلك الحكم بحكمه: ((للذكر مثل حظ الانثيين)) (٢) فالإثبات يرثن أيضاً، إلا أن للأنثى نصف ما للذكر من الإرث. كما أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الصبي الصغير ولا الجارية من ميراث آبائهم شيئاً. وكانوا لا يعطون الميراث إلا لمن يقاتل. وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً..

فلما أنزل الله فرائض الموارث وصبروا من ذلك وجداً شديداً، فقالوا انطلقوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنذكره ذلك لعله يدعه أو يغيره، فأتوه فقالوا: يا رسول الله للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها! ويعطى الصبي الصغير الميراث! وليس أحد منهما يركب الفرس ولا يجوز الغنيمة ولا يقاتل العدو؟! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بذلك أمرت (٣).

كما أن الموارث كانت عند بعضهم على الأخوة لا على الرحم، وكانوا يورثون الحليف والموالي الذين اعتقوهم، ثم نزل بعد ذلك ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) (٤). قولها (عليها السلام): (أفلا تعلمون) أي: أفلا تعلمون بأن الله سبحانه وتعالى جعل للبنات الإرث، كما جعل ذلك للذكور، نعم لو كان له ولد واحد أو بنت واحدة فانه - أو إنها - يرث الإرث كله ولا يشترك معه - أو معها - من ليس في طبقته أو طبقته.

لا يقال: لماذا لم تتعرض الزهراء (عليها السلام) في الاحتجاج إلى ان فدك نحلة لها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع العلم أنها قد كانت نحلة لها بالفعل؟

لأنه يقال: هذه الخطبة كانت بعد يأسها عن قبول القوم (النحلة)، إذ كانت الخطبة كما ذكر جماعة من المحققين بعد ما رفضوا شهادة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ومن شهد معه على أنها، نحلة لها

١- راجع فقه القرآن: ج ٢ ص ٣٥٢.

٢- سورة النساء: ١١.

٣- تفسير القمي: ج ١ ص ١٥٤ سورة النساء.

٤- راجع تفسير القمي: ج ١ ص ١٣٧ سورة الأنفال.

فتمسكت بحديث الميراث لأنه من ضروريات الدين، مما صرح به في القرآن الحكيم.
وهذا من إلزام الخصم بما لا مفر له منه، وهو من الحكمة إذ كان يراد لهذه الخطبة ان تكون قوية مفعمة لا تترك ثغرة يمكن الغمز منها وعبرها وبها.

فحيث أنكر القوم بأن فدكاً نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) وصبوا كلامهم على انه لو كان لها فهو من باب الإرث، وان الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) (١) لذلك صبت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) كلامها حول إثبات الإرث لها، حتى انهم إذا أنكروا النحلة وجب أن يعترفوا بأن فدك إرث لها فلا وجه لاغتصابها منها.

لا يقال: إذا كانت فدك إرثاً ورثت منها مع الزهراء (عليها الصلاة والسلام) زوجاته (صلى الله عليه وآله) أيضاً فلم تكن لها وحدها؟

لأنه يقال: هذا الجواب من قبيل الاستدلال بمسلمات الطرف مما يسمى بالجدل بالاصطلاح المنطقي (٢) وحتى إذا فرض ان للزوجات معها شيء منها - على تقدير كونه إرثاً - فالقسم الأكبر من فدك يكون للزهراء (عليها الصلاة والسلام) دون شك فلماذا تمنع عنها بالكامل (٣)؟

وعلي أي حال، ففدك لها إما نحلة أو إرث - بكاملها أو بمعظمها - فلا وجه ولا مسوغ لمنعها كلاً عنها (صلوات الله عليها).

(أفلا تعلمون): استفهام إنكاري.

(يوقنون): أي بالله، أو بهذه الحقيقة، أو بالمآل، أو بجميعها.

(اليقين) كاشف عن الواقع ولا يطلق على الجهل المركب، فالموقن هو الذي يعلم أن حكم الله هو الحكم الأحسن.

والعلم في (أفلا تعلمون) يراد به المطابق للواقع وإطلاقه على الجهل المركب مجاز، ومن استخدام العالم الحقيقي كأهل البيت (عليهم السلام) كلمة العلم يستكشف أن مطابقه هو (الحق) دون ريب أو شك.

بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته

١- حيث افتراه القوم على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٢- إذ الطرف وهو أبو بكر ومن حوله، كزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) كانوا مذعنين بعدم حق لزوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) في فدك.

٣- خاصة إذا لاحظنا ان الزوجة - كما هو المعروف بين الفقهاء - لا ترث من الأرض لا من عينها ولا من قيمتها، وان ورثت من قيمة الأبنية والأشجار، قال الإمام المؤلف (دام ظله) في (المسائل الإسلامية) ص ٦١٢ ط ٣٨: (المسألة ٣٢٤٠: لا ترث الزوجة من الأرض، لا من عينها ولا من قيمتها، ولا ترث من عين الآلات والأبنية والأشجار ولكن ترث من قيمتها).

من أساليب الدعوة

مسألة: من أساليب الدعوة ومن طرق الحرب الإعلامية ومن وسائل النهي عن المنكر دغدغة وجدان الظالم وتذكيره بالحقيقة الصارخة من جهة، ومن جهة أخرى كشف القناع للشعب عن أن المعتدي يعرف الحقيقة بصورة كاملة ومع ذلك يجدها ويتخذها ظهرياً.

ولعل من هذين المنطلقين كان قولها (عليها السلام): (بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته) فهي تشير إلى أنهم أضحوا مصداق قوله تعالى: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم))^(١) وذلك مما يسبب التحريض ضد الظالم أكثر فأكثر وهو واجب في الجملة.

* * * * *

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

من مصادر التهميش

- * القرآن الكريم
- * نهج البلاغة
- * الصحيفة السجادية
- * مفاتيح الجنان / للمحدث القمي
- * الدعاء والزيارة / للإمام الشيرازي
- * إذا قام الإسلام في العراق / للإمام الشيرازي
- * إرشاد القلوب / للديلمي
- * أعلام الدين
- * إعلام الوري / للطبرسي
- * إلى حكم الإسلام / للإمام الشيرازي
- * إلى نهضة ثقافية إسلامية / للإمام الشيرازي
- * إنقاذ المسلمين / للإمام الشيرازي
- * الإرشاد / للشيخ المفيد
- * الأصول / للإمام الشيرازي
- * الإقبال /
- * الأمالي / للشيخ الصدوق
- * الأمالي / للشيخ المفيد
- * الاختصاص / للشيخ المفيد
- * البلاغة / للإمام الشيرازي
- * البلد الأمين / للشيخ الكفعمي
- * التحصين / للسيد ابن طاووس
- * التحصين / للشيخ ابن فهد
- * التوحيد / للشيخ الصدوق
- * الجعفریات
- * الجمل / للشيخ المفيد
- * الخرائج والجرائح / للراوندي

- * الخصال / للشيخ الصدوق
- * السبيل إلى إنهاض المسلمين / للإمام الشيرازي
- * الصراط المستقيم / للبياضى
- * الصوارم المهرقة
- * الصياغة الجديدة / للإمام الشيرازي
- * الطرائف / للسيد ابن طاووس
- * العدد القوية
- * العمدة / لابن بطريق
- * الغدير / للعلامة الأميني (رحمه الله).
- * الفصول المختارة / للسيد المرتضى
- * الفضائل: لابن شاذان
- * الفضيلة الإسلامية / للإمام الشيرازي
- * الفقه: الآداب والسنن / للإمام الشيرازي
- * الفقه: الإدارة
- * الفقه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- * الفقه: الاجتماع
- * الفقه: الاقتصاد
- * الفقه: الجهاد
- * الفقه: الحريات
- * الفقه: الحقوق
- * الفقه: الدولة الإسلامية
- * الفقه: السلام.
- * الفقه: السياسة
- * الفقه: العقائد
- * الفقه: القانون
- * الفقه: القواعد الفقهية
- * الفقه: المحرمات
- * الفقه: المرور
- * الفقه: المستقبل
- * الفقه: المكاسب المحرمة
- * الفقه: النظافة
- * الفقه: حول القرآن الحكيم

- * الفقه: طريق النجاة
- * الفقه: الأطعمة والأشربة
- * القطرات والذرات / للإمام الشيرازي
- * الكافي / للشيخ الكليني
- * اللهوف
- * المؤمن
- * المتخلفون ملياراً مسلم / للإمام الشيرازي
- * المحاسن
- * المزار
- * المسائل الإسلامية / للإمام الشيرازي
- * المسائل الجارودية
- * المسلمون يتضررون / للإمام الشيرازي
- * المقتعة
- * مناقب آل أبي طالب / لابن شهر آشوب
- * الهجوم على بيت فاطمة: لعبد الزهراء مهدي
- * الهدى إلى دين المصطفى: للإمام البلاغي
- * اليقين / للسيد ابن طاووس
- * بحار الأنوار: للعلامة المجلسي
- * بشارة المصطفى / للطبري
- * بصائر الدرجات / للصفار
- * بلاغات النساء / لابن طيفور
- * تأويل الآيات / للإمام الشيرازي
- * تحف العقول /
- * تفسير الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) / منسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)
- * تفسير العياشي / للعياشي
- * تفسير القمي / لعلي بن إبراهيم القمي
- * تفسير فرات الكوفي: للفرات الكوفي
- * تنبيه الخواطر ونزهة النواظر
- * ثواب الأعمال وعقاب الأعمال / للشيخ الصدوق
- * جامع الأخبار
- * جمال الأسبوع / للسيد ابن طاووس
- * خصائص الأئمة / للسيد الرضي

- * دعائم الإسلام / للقاضي النعمان
- * الدعوات: للراوندي
- * ديوان الإمام علي (عليه السلام) / منسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام)
- * روضة الواعظين / للفتال النيشابوري
- * سفينة البحار: للمحدث القمي
- * شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد
- * شرح منظومة السبزواري / للإمام الشيرازي
- * شواهد التنزيل / للحاكم الحسكاني
- * صفات الشيعة / للشيخ الصدوق
- * طب النبي (صلى الله عليه وآله)
- * عدة الداعي
- * علل الشرائع / للشيخ الصدوق
- * عوالم العلوم، مجلد فاطمة الزهراء (عليها السلام): للبحراني، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).
- * عيون أخبار الرضا (عليه السلام)
- * غرر الحكم ودرر الكلم / للآمدي
- * غوالي اللئالي
- * الغيبة: للشيخ الطوسي
- * فضائل الأشهر الثلاثة / للشيخ الصدوق
- * فقه القرآن
- * قرب الإسناد
- * قصص الأنبياء: للجزائري
- * كتاب سليم بن قيس: لسليم بن قيس الهلالي
- * كشف الريبة
- * كشف الغمة / للربلي
- * كشف اليقين / للعلامة الحلي
- * كفاية الأثر / للخزاز القمي
- * كلمة الله: لآية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (ت ١٤٠٠)
- * كمال الدين / للشيخ الصدوق
- * كنز الفوائد / للكراچكي
- * كيف ينظر الإسلام إلى السجين / للإمام الشيرازي
- * لاحتجاج / للطبرسي

- * لسان العرب / لابن منظور
- * لماذا تأخر المسلمون / للإمام الشيرازي
- * متشابه القرآن / لابن شهر آشوب المازندراني
- * مثير الأحرار
- * مسائل علي بن جعفر (عليه السلام)
- * مستدرك الوسائل / للنوري
- * مستطرفات السرائر
- * مشكاة الأنوار
- * مصادقة الأخوان
- * مصباح الشريعة: منسوب إلى الإمام الصادق (عليه السلام)
- * مصباح الكفعمي: للشيخ الكفعمي
- * مصباح المتهجد / للشيخ الطوسي
- * معاني الأخبار / للشيخ الصدوق
- * مكارم الأخلاق / للطبرسي
- * ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين / للإمام الشيرازي
- * من لا يحضره الفقيه
- * منية المريد / للشهيد الثاني
- * مهج الدعوات
- * نحو يقظة إسلامية / للإمام الشيرازي
- * وقعة صفين / لنصر بن مزاحم
- * ولأول مرة في تاريخ العالم ج ١-٢ / للإمام الشيرازي